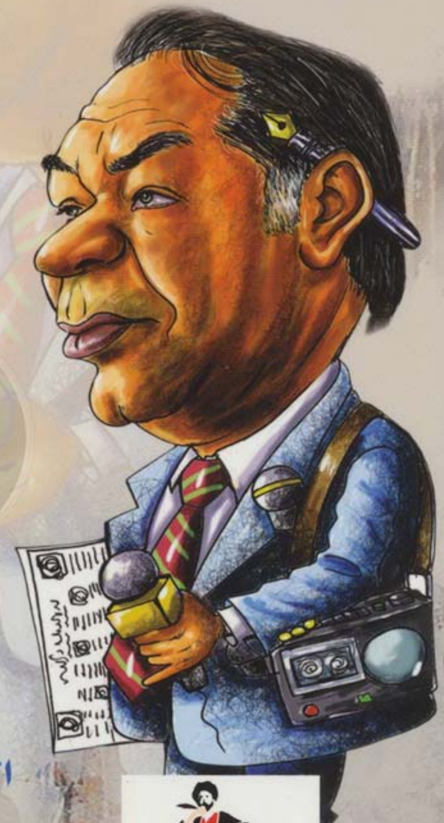
نجم عبد الكريم

شخصيات عرفتها وحاورتها

أحاديث في الفكر والسياسة والفن



الجزء الأول

رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

نجم عبد الكريم

شخصيات عرفتها وحاورتها

أحاديث في الفكر والسياسة والفن

الجزء الأول

رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

شخصيات
عرفتها وحاورتها
الجزء الأول

Najm Abdel-Karim

Personalities I Have Known and Interviewed
Discussions in Thought, Politics and Art
Part One

First Published in June 2012

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 978 - 9953 - 21 - 531 - 0

الطبعة الأولى: حزيران (يونيو) ٢٠١٢

لشراء النسخة الإلكترونية:
www.arabicebook.com

لوحة الغلاف: للفنان حسن أدلبي (سورية)
تصميم الغلاف: هوساك كومبيوتر برس

تم تبويب هذا الكتاب

بحسب الأحرف الأبجدية للأسماء الواردة فيه .

الناشر

المحتويات

إلى جميع الأصدقاء

الذين نصحوني بتجميع هذه المقالات في كتاب

استهلال

لم تهزني نشوة النجاح الكبير الذي حققه برنامج «من سيربح المليون» باعتباري كاتب أسئلته، لإيماني بأن هذا النوع من الأسئلة يكرس قشرية الثقافة التي تحول دون النفاذ إلى لبابها!!.

وتعمق إيماني بذلك أكثر فأكثر أثناء معايشتي لمستوى الكثير من المشاركين كضيوف على البرنامج، وما أظهروه من ضحالة مخجلة وجهل كارثي في معلوماتهم العامة.

لكن شيوع هذه النوعية من هذه البرامج في الفضائيات العالمية كان مبرراً لي أن أستمر بالإسهام فيها كمورد للرزق التماساً للعيش.

إلا أن خطيئة كهذه ظلت تلاحقني لتشعرني بأنني ساهمت باقتراف جريمة بحق الثقافة الحقة، رغم أنني أمضيت ما يقرب من نصف قرن من حياتي أعمل في حقول الإعلام والثقافة المختلفة، حيث بدأت أول ما بدأت في أوائل ستينيات القرن الماضي بالوقوف وراء المايكرفون مُعداً،

ومقدماً، ومخرجاً، ومحاوراً، وكاتباً للبرامج. ثم تابعت نفس المهام في التلفاز، إلى جانب نشاطاتي الأخرى في المسرح والسينما ثم الصحافة، حتى استأثرت الكتابة على معظم اهتماماتي، فكرست لها أغلب الوقت.

الكتابة بالنسبة لي لم تعد أداة كمالية، بل أداة عمل ضرورية.. فكان من نتائجها ولادة هذا الكتاب.

وكم كانت ولادة متعسرة، لولا أن الذي خفف من ألم عسرها إلحاح عدد من الأصدقاء ممن كانوا يتابعون مسيرتي الإعلامية، وهم على بيّنة كذلك من حجم ذلك الكم الكبير من الشخصيات الفكرية والأدبية والسياسية والفنية والشعراء والنقاد ممن حاورتهم عبر تلك المسيرة.

إذاً هل أكتفي بنشر لقاءات من حاورتهم في هذا الكتاب فقط؟!. بيد أن لديّ المئات من الشخصيات الأخرى، وفيهم السيّاب الذي حاورته عام ١٩٦٤ في المستشفى الأميري في الكويت قُبيل وفاته بأيام، وفيهم كذلك نيلسون مانديلا الذي لقيته في مؤتمر قمة دول مجلس التعاون في أبو ظبي، والحديث بلا حرج عن نجيب محفوظ، وبنت الشاطئ، ونزار قباني، وسهير القلماوي، وزكي نجيب محمود، وأم كلثوم، والجواهري.. وقائمة طويلة من الشخصيات.

فمن المنطقي اعتبار النماذج التي حاورتها في صفحات هذا الكتاب بمثابة المجموعة الأولى، وأرجو أن تتبعها ـ بعون الله ـ مجموعات أخرى، لأن العمل في القاهرة طيلة سنوات الستينيات وجزء من السبعينيات مندوباً لإذاعة

وتلفزيون أكثر من محطة عربية أتاح لي فرصاً قلَّ أن تُتاح لأحد.

أما في الثمانينيات وحتى الآن حيث انتقلت للإقامة في لندن، فإن العمل في كبريات الصحف والمجلات العربية التي تصدر فيها يسّر لي فرصاً نادرة، إذ التقيت بالعديد من الشخصيات ذات الاهتمامات المتنوعة أثناء سنوات الحراك الدائب التي كانت تعج بها العاصمة البريطانية، وخصوصاً عندما كنت أدير إذاعة «كل العرب».

* * *

ورغم الإرهاق الذي لازمني لأكثر من عام كي أنجز هذا الكتاب، فإن المتعة التي استشعرتها أثناء العمل على إعادة صياغة محتوياته ما بعدها متعة! بل لا أغالي عندما أقول: إن الوقوف ثانيةً على الكثير من الآراء التي سبق لي أن حاورتهم فيها، شعرت وكأنني أسمعها وأقرأها للمرة الأولى، رغم أن البعض منهم كررها كثيراً في لقاءاتٍ مع أجهزة إعلام أخرى وبصيغ أخرى مختلفة.

هنالك مَن توجس خيفة من أن لا يحظى هذا الجهد بالقبول عند القراء مبيناً أسباباً لا يخلو البعض منها من وجاهة، كشيوع خدمات الإنترنت المتعددة التي تقدم الثقافات الحديثة والكلاسيكية القديمة، وهي تسعى الى الناس كي تكون في متناول أيديهم ولا يسعون هم إليها، كما هو الحال مع الكتاب.. الى جانب أن معظم ضيوفك الذين حاورتهم لم تعد معطياتهم تشغل حيزاً من اهتمامات أبناء هذا الجيل، أو الوقوف على حياتهم!!..

في ما يتعلق بالنقطة الأولى فإنّ الكتاب وإنّ تأثر الإقبال عليه قليلاً بسبب خدمات الإنترنت عند شريحة معينة من القراء، لم يزل محتفظاً بمكانته، بدليل هذا الإقبال المتزايد على معارض الكتب التي تقام في مواسم لا تكاد تنقطع في الوطن العربي، بل إن الانترنت صار إحدى الوسائل للترويج لهذه الكتب واقتنائها.

أما في ما يتعلق بعدم اهتمام أبناء هذا الجيل بالحياة الأدبية والفكرية والفنية التي كانت سائدة في زمن من حاورتهم، فهذا مجانب للصواب أيضاً، فالإحصاءات تؤكد أن الإقبال على معطيات جبران، ونجيب محفوظ، وأشعار درويش، وغيرهم في ازدياد مطّرد، بل إن أم كلثوم وعبد الحليم حافظ هما الأكثر مبيعاً عند أبناء هذا الجيل.

أما إذا كان هناك من يفضّل قراءة ومتابعة حوارات تجري مع أبسط ما يقال عنهم أنهم سُقط متاع من أولئك الذين يتحاورون عبر الفضائحيات التي تقدم ضيوفاً كأنهم يتصارعون كما الديكة، مفضلين إياهم على حوار يجري مع طه حسين والعقاد والبياتي وغيرهم من أيام الزمن الجميل، فهؤلاء هم ضحايا الثقافة القشرية التي تسود في هذا الزمن الأغبر، فلا حاجة لي بهم لقراءة هذا الكتاب.

كان يفترض أن أشير في هذا الاستهلال الى فحوى محتويات الكتاب، لكنني اكتفيت بالمقدمة الموجزة التي كتبتها عن كل شخصية التقيتها قبل أن ندخل في الحوار.

نجم عبد الكريم

لندن/ آذار ٢٠١٢

ابراهيم العريّض

كتب الدكتور محمد جابر الأنصاري:
«لقد ظلت البحرين مشهورة لدى المثقفين
العرب باثنين: اللؤلؤ وابراهيم العريّض».

واللقاء مع الأستاذ ابراهيم العريّض - الذي تجاوز التسعين من عمره - ليس ميسوراً لكائن من كان، فللرجل ظروف متعددة تحول دون أن يفتح أبوابه لوسائل الإعلام، رغم محاولات كثيرة بُذلت من أجل ذلك.

إلا أنني وبمساعدة الصديق كريم شكر مدير الادارة الدولية في وزارة الخارجية البحرينية، والذي كان يشغل منصب سفير البحرين في لندن، قد تمكنت من إجراء هذا اللقاء الطويل مع الأستاذ ابراهيم العريّض.

انجازاته الفكرية:

وقبل أن ندخل في الحوار، لا بد من الإشارة إلى بعض إنجازات

الأستاذ ابراهيم العريّض الأدبية والفكرية، إذ إن له ما يربو على الخمسين من الأعمال الأدبية تتنوع ما بين الشعر والترجمة والبحث والمسرحية والقصة، منها على سبيل المثال:

١ ـ العرائس: وهي مجموعته الشعرية الثالثة وقد صدرت عام ١٩٤٦ في بيروت.

٢ ـ قبلتان: قصة شعرية عن الأندلس صدرت في بيروت عام ١٩٤٨.

٣ ـ الأساليب الشعرية: بحث تحليلي صدر عام ١٩٥٠ في بيروت.

٤ ـ أرض الشهداء: عن المأساة الفلسطينية، صدر عام ١٩٥١ في بيروت.

٥ ـ الشعر والفنون الجميلة: صدر في القاهرة عام ١٩٥٢.

وهناك الكثير من الأعمال الفكرية والأدبية الأخرى، من أهمها ترجمته لرباعيات الخيام، وكتابه عن فن المتنبي بعد ألف عام.

■ وابراهيم العريّض يرتبط بوشائج محبة وصداقة مع العديد من رجال الفكر والأدب في العالم العربي، ونلمس ذلك في الكثير من الرسائل بينه وبينهم، فهذا جزء من رسالة بعث بها إليه نزار قباني عام ١٩٥٠ من أنقرة يقول فيها:

«وهكذا يا ابراهيم كنت سبّاقاً فاتحاً، فإن كتابك الصغير يُعتبر دائرة معارف للشعر العربي منذ أن كان حداءً ودمدمة، إلى أن صار همساً وهوساً وفتوناً».

أما ميخائيل نعيمة فإننا نجتزئ من رسالة طويلة كان قد بعث بها إلى ابراهيم العريّض حيث قال:

«أنت تأخذ بيد القارئ برفق لتسير به في شعاب يطل منها على مواطن الجمال في الشعر، وأنعم بك من رفيق دليل».

شهرته:

وقد كتب ابراهيم العريّض يوماً يقول:

«إنني خارج من دائرة الشعور بالمحلية، فلقد عرفني العالم العربي، قبل أن يعرفني أحد في البحرين، ولن يستطيع أحد أن يتصور مدى المشقة التي عانيناها لفتح منافذ للنشر على العالم العربي».

وقد صدق الرجل!! فلو كان هناك من هو بحجم ابراهيم العريّض في إحدى العواصم العربية يتاح لمفكّريها ممن يكونوا على سطح الأحداث، لكان ابراهيم العريّض أكثر شهرة من كثير من الأسماء التي لمعت في سماء الثقافة العربية.

□ □ □

■ لم يشمل قانون التقاعد المعمول به في العالم الأستاذ إبراهيم العريّض، فهو يتوجه في الساعة السابعة من صباح كل يوم إلى مكتبه في وزارة الخارجيّة البحرينية، باعتباره سفيراً توكل إليه المهمات ذات الطابع الفكري والثقافي، وفي ذلك المكتب التقيته، ودار بيننا الحوار التالي:

□ تجاوزت التسعين من عمرك، وأنا أريد العودة بك لاستذكار أهم المحطات في حياتك؟.

ــ ولدت من أبوين عربيين عام ١٩٠٨ في مدينة بومباي بالهند، والدي من عشيرة العريّض المعروفة في البحرين، ووالدتي عراقية من مدينة كربلاء.. وقد أقام والداي السنين الأولى من حياتهما الزوجية في البحرين، ثم نزحا الى الهند لأن والدي كان يعمل في تجارة اللؤلؤ.

وعلى أثر ولادتي، توفيت أمي دون أن أستطيع أن أرضعها.. وقد تعهدت تربيتي مربية هندية، حيث أولتني عنايتها لمدة سنتين كاملتين بعيداً عن الوالد الذي كان متفرغاً لأعماله.

وعندما بدأت أدبُّ على الأرض في قرية مربيتي الهندية التي كانت تسافر بي في داخل الهند، وكنت وأنا طفل صغير أقف الى جانب نهر كانت تأخذني إليه.. وكثيراً ما كانت تنزلني فيه وتصب الماء على رأسي فكنت أشعر وكأنني على وشك الغرق.. ومن بعيد وراء هذا النهر كان يمتد شريط من الجسر الذي تمر عليه القاطرات، فإذا نظر الإنسان إليه ليلاً يجد المنظر وكأنه حيَّةٌ من الأنوار تسير سيراً حثيثاً من الشرق وحتى الغرب. هذه صور من ذكريات عايشتها وسمعتها عن طفولتي وهي ما زالت عالقة في ذهني وأنا الآن في التسعينيات من عمري. إنها ذكريات السنوات الأولى من حياتي قبل أن أدخل المدرسة.

□ تلك الصور المحفورة في الذاكرة لأيام طفولتك في الهند، ماذا اكسبتك من تجارب في سني حياتك؟.

ــ التجارب التي تتعلق بالإنسان ـ أي انسان ـ سواء في مراحل الطفولة أو في ما بعد الطفولة، لا تأتي لمجرد أن ذلك الإنسان يطمح أو يريد أن يتذكرها، وإنما هي هنا رهناً بالمناسبة التي تجيء إلى الذهن لكي يتذكر.

ولا زلت أذكر حينما دخلت المدرسة في بومباي، كيف كنت أشعر وكأني أحمل غربتي معي، فالتلاميذ لم يكونوا يرونني واحداً منهم إذ إن هناك بوناً شاسعاً أو قُلْ جداراً أو برزخاً بُني بيني وبينهم، وكان حتماً عليَّ أن أعبر كل تلك الحواجز حتى أندمج معهم، فكنت أحرص على التفوق في المراحل الدراسية، وأن أتخطى زملائي كي يكون لي موقع في الصفوف لقهر تلك الغربة التي كنت أستشعرها آنذاك.

وكنت أحب الرسم والتصوير بالألوان، وكنت أحرص على أن أحرز نجاحاً في المباريات التي كانت تجري في المدرسة بصورة مستمرة في نهاية العام الدراسي، وأتذكر أنني رُشحت من قِبل مدرستي التي اختارت بعض رسومي للدخول في مسابقة تشمل جميع المدارس في الولاية، وكنت أنتظر النتيجة بفارغ الصبر، الى أن جاءني المدرس الذي يشرف على مادة الرسم وقال لي:

«يا عرباه لقد فشلت في المسابقة!! وستأتي النتائج التي تؤكد خيبتك». .

فعدت الى البيت، وظللت حائراً مشغولاً بالتفكير طوال الليل.

وفي الصباح لما ذهبت الى المدرسة، وإذا بالنتائج قد جاءت

بعكس ما قال المدرس حيث حصلت على الجائزة الأولى في المسابقة، ولكن بالرغم من ذلك قد تغيّرت مشاعري الداخلية، وأحسست بكراهية لمادة الرسم بسبب تصرف الاستاذ!!.

وهذا الذي جعلني أتحول من الرسم إلى حب الشعر، فبدلاً من أن أرسم اللوحات بالألوان أخذت منذ ذلك الحين أرسم اللوحات بالكلمات.

□ **هذا الانقلاب العاطفي من الرسم الى الشعر، وأنت في مستهل سنواتك الأولى، هل هو الذي ثبَّت أقدامك فوق أرضية صلبة حفلت بفنون الشعر والأدب في ما بعد؟**

ــ تلك التجربة لا أستطيع نسيانها، وفي الفترات الأولى من أيام المدرسة وما تلاها عندما كنت أتذكر هذه الحادثة كنت دائماً أذرف الدمع، ولكن ما عساي أن أفعل غير الاندماج بالشعر الذي بدأت أحبه برغبة وعناد وإصرار.

ولما انتقلنا الى مرحلة أخرى من الدراسة، حيث كانت المواد تُعطى لنا باللغة الإنكليزية الخالصة.. أخذت أتعرف إلى المزيد من الشعراء، وخاصةً الرومانسيين من أمثال شيللي، ييتس، بايــرون، كوليردج، وكنت عندما أقرأ قصيدة لأحد هؤلاء الشعراء ضمن مناهج الدراسة أشعر بأن ذلك لا يكفي، فكنت أسعى لاستعارة دواوين الشعراء وآتي بها الى البيت، وأقرأها صفحة صفحة أكثر من مرة، حتى حفظت شكسبير ومسرحياته،

وكنت أردد الكثير من أبياته الشعرية، بل حفظت الكثير من قصائده كاملة.

□ **في تلك السن المبكرة تمكنت من قراءة الشعر الإنكليزي الرومانسي، فأين تعرفت على رباعيات الخيام؟.**

ــ عن طريق متابعة شعراء الرومانسية هؤلاء، جاءت معرفتي برباعيات الخيام، حيث قرأت ترجمة لها بالإنكليزية لفيتزجيرالد، وكان عدد الرباعيات المخصصة (٤) ومقتبسة من كتاب واحد، لكنني اكتشفت في ما بعد عندما حفظت رباعيات الخيام والمترجمة عن الفارسية إلى الإنكليزية، أن هناك الكثير من الرباعيات لأكثر من مترجم، لكن الإنكليز يعتبرون ترجمة فيتزجيرالد إنما هي من عيون الشعر المترجم الى لغتهم. . وهذا الذي حفزني الى حفظها من أولها الى آخرها، وكنت عندما أصل الى قراءة هذه الرباعية:

إلهي عقدت رجائي عليك

وأطرقت رأسي بين يديك

فإن أنت لم تعفُ عني هلكت

وهل مَفزع منك إلا إليك.

أبدأ بذرف الدموع متأثراً بالشعر، وهذا يدل على أن تعلقي بالخيام منذ بداية طفولتي يفسر ظاهرة سيطرته عليَّ كلياً منذ ذلك

الحين، ولم أكن أعرف الخيام، سوى أنه عاش حياة معينة، وتُرجمت أشعاره إلى اللغة الإنكليزية، أما معرفتي لعمر الخيام الحقيقية، فقد جاءت في ما بعد وستتحدث عن ذلك لاحقاً.

□ اذاً كان تأسيسك الثقافي باللغتين (الأوردو) و(الإنكليزية)، فكيف دخلت الى عالم اللغة العربية؟.

ــ كان زادي من اللغة العربية مجرد التقاطات قليلة لحوارات تحدث بين الحين والآخر، الى أن قُدّر لي أن أرافق عمي في رحلتي الأولى الى البحرين لقضاء فترة الصيف، وكان ذلك عام ١٩٢٢، ثم عُدت الى بومباي بعدما عشت في البحرين لأشهر قليلة.

وفي سنة ١٩٢٥ جاء عمي الى الهند محملاً باللؤلؤ ليبيعه، ثم اصطحبني معه عند عودته الى البحرين.. ودخلت المدرسة الابتدائية التي تأسست قبل مجيئي بسنة واحدة، ولأني لم أكن أعرف اللغة العربية فقد وضعوني في الصف الأول، مع أن عمري آنذاك كان أكثر من ١٤ عاماً، وقد تجاوزت الصف الثانوي في بومباي.

وبدأت الدراسة بسرعة متناهية بحيث تيسر لي أن أتجاوز أكثر من صف في الموسم الدراسي الواحد، فوصلت الى الصف السادس وكنت متميزاً على زملائي، علماً بأن الدروس في ذلك الوقت كانت تعتمد اللوح والدفاتر، فأتقنت في تلك الفترة الوجيزة علوم الفقه والجغرافيا والتاريخ.

□ معنى ذلك أنك تعلمت اللغة العربية بعدما تجاوزت الرابعة عشرة من عمرك؟

ـ كما قلت كنت أعرف من اللغة العربية بعض الكلمات، لأن الوالد كان يحادثني باللغة الهندية (الأوردو)، وفي السنة الأولى لوجودي في البحرين درست النحو العربي وعكفت على قراءة العديد من دواوين الشعر العربي. ولما كان لزاماً عليَّ أن أعود الى الهند لكي أحصل على الشهادة الثانوية، فقد عدت وكانت نتيجة ورقتي هي الأولى على أقراني، خاصةً في ميداني الشعر والرياضيات.

□ لنختزل الزمن أمام محطتك التي انطلقت منها (البحرين).

ـ عندما جئت الى البحرين بعدما حصلت على الشهادة الثانوية، كانت المدارس مغلقة في ذلك الحين بسبب إجازة الصيف، فطلب مني بعض التجار أن أقوم بتدريس أبنائهم اللغة الإنكليزية.

وفي ذلك الوقت كان يشرف على التعليم الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة، الذي كلفني بالقيام بمهمة التدريس في نفس المدرسة التي كنت طالباً فيها قبل أن أعود الى الهند، وظللت منذ عام ١٩٢٧ وحتى عام ١٩٣٠ مدرساً للغة الإنكليزية.

□ لم تجبني عن سؤالي الخاص بعلاقتك باللغة العربية!

ـ كنت خلال الثلاث سنوات التي قضيتها مدرساً قد أقمت علاقة

طيبة مع الشيخ عمر يحيى الذي كان كثيراً ما يقرأ الشعر العربي، فمالت نفسي الى نظم الشعر باللغة العربية، لأنني كنت أنظم الشعر باللغتين الإنكليزية والأوردو ـ وقد نُشرت أعمالي بهاتين اللغتين ـ وكان الشيخ عمر يحيى يشجعني في هذا الميدان، وأذكر أن البيت الأول الذي نظمته، كان من الوزن الطويل، غير أن الشطرين متصلان، وحينما قرأته على الشيخ عمر.. ضحك مني وقال لي:

«هذا لا يجوز!! لأن (فعول مفاعيل فعول مفاعل تختلط مع مفاعيل فعول مفاعل في الشطر الثاني» وهذا لا يجوز أن يحدث في الوزن الطويل. وأفهمني أن هناك أشياء أخرى متعلقة بالوزن والقافية.

□ **فكيف إذن تربعت على ناصية الشعر بعد سنوات قليلة من مجيئك الى البحرين، بالإضافة الى جدة علاقتك باللغة العربية؟.**

ــ قد يكون السبب ناتجاً من الغربة. نعم، فالغربة لم تفارقني إطلاقاً حتى لما وجدني أهلي ووجدتهم، فإنهم وجدوني كإنسان نشأ في ظروف غير ظروفهم، ويحمل ذوقاً يختلف عن مذاقهم، فكان أهلي يعتبرون كتابة الشعر مثلاً شيئاً عبثياً قد يصل الى درجة التحريم!

علماً أن الشعر الذي كان ينشر في العالم العربي ـ في ذلك الوقت ـ كان دون المستوى بمراحل عندما نقارنه بالشعر هذه الأيام، فما

كان سائداً من الشعر آنذاك هو على غرار شعر القرنين الثاني عشر والثالث عشر، أي شعر العصور المتأخرة.

وقد بدأ الشعر نهضته الحديثة في مصر على يد محمود سامي البارودي، الذي كان ينظم على غرار الشعر الكلاسيكي الذي نظم في أفضل العصور العباسية، وقد وضح أثره في المختارات التي أصدرها في مجموعته التي تناولت ثلاثين شاعراً بدءاً ببشار بن برد ثم يكمل السلسلة التي تحتوي على أساطين الشعراء.

ولما جئت الى البحرين لم يكن فيها شاعر يرقى الى مستوى الرصافي أو الزهاوي في العراق، أو شوقي وحافظ في مصر، وبشارة الخوري في لبنان، وبدوي الجبل في الشام، وبذلك لا أستطيع أن أصنفه أو أن أضعه في خانة الشعر الإبداعي، لأن الحياة في البحرين في ذلك الوقت كانت متواضعة والشعر بطبيعته انعكاس لواقع المجتمع، ولذا فقد كان شعراً متواضعاً.

□ مَن مِن شعراء العربية ممن قرأت لهم قد استهواك في تلك السنين؟.

ــ كانت تقع في يدي مواد شعرية لإلياس فرحات وإيليا أبو ماضي وجبران خليل جبران، كذلك كنت شغوفاً بتلك المذكرات التي كان يكتبها أمين الريحاني.

وقد بدأ حبي يزداد للشعر العربي عندما كنت أقرأ شعراء المهجر الذين من خلالهم استطعت الدخول على حديقة الشعر العباسي

والشعراء العذريين كجميل بثينة وكثيّر عزة، الى أن وصلت في نهاية المطاف لكتاب الحماسة لأبي تمام فقرأته كله..

وكنت أنظم الشعر باللغة العربية وجمعت أشعاري ومحاوراتي مع الأساتذة والأصدقاء وخاصةً الأستاذ عمر يحيى، وذهبت إلى بغداد كي أطبعها في كتاب كان خلاصة لتجاربي الأولى، وقد سميت ذلك الكتاب «الذكرى» وضمنته مراثي ومدائح وخواطر أخرى.

□ **ماذا كان إنتاجك بعد «الذكرى»؟**

ــ كتبت مسرحية شعرية باللغة الإنكليزية للطلبة، وكذلك كتبت مسرحية باللغة العربية بعنوان «وامعتصماه»، وكان ذلك في أوائل الثلاثينيات.

□ **وهل مُثلت تلك المسرحيات؟.**

ــ نعم.

□ **أين؟.**

ــ في المدرسة الأهلية التي قمت على تأسيسها.

□ **قلت إنك قمت على تأسيس المدرسة الأهلية في أوائل الثلاثينيات في البحرين، هل وراء ذلك قصة؟.**

ــ نعم. لقد عدت من بغداد فوجدت اسمي ضمن القائمة السوداء بسبب اشتراكي في الإضراب مع الطلاب، وكان الإضراب

لأسباب شرحها يطول، وهذا الذي دفع بي لتأسيس المدرسة الأهلية التي التحق بها عدد من الطلبة المفصولين من المدرسة الحكومية، حيث جاءوا جميعاً وعلى مختلف السنوات الدراسية، وكانوا يشكلون نسيجاً يؤكد على تعايش أبناء البحرين بعضهم مع بعض كل الانتماءات الروحية، حيث كانوا من اليهود والمسيحيين بالإضافة الى المسلمين من مختلف المذاهب، ولك أن تتخيل المستوى الثقافي الذي كانوا عليه.. اذ إنهم كانوا يمثلون المسرحيات باللغة الإنكليزية وباللغة العربية وخاصةً مسرحية وامعتصماه.

□ **ماذا عن المناخ الثقافي في البحرين في إبان عودتك من الهند وأنت في عنفوان الشباب، وكيف تعايشت معه؟.**

ـ كما أسلفت أنني جئت الى البحرين وكان عمري ١٤ سنة، وكنت بعد أن أنتهي من القيام بدراستي لا أعود الى منزلي، بل أذهب الى مكتبة «بيت التاجر»، وهي مكتبة ضخمة كانت تضم كتباً كلاسيكية، وكنت أُمضي فيها معظم ساعات وقتي الى أن يغلب عليَّ النوم.

ولم يكن ذلك يستثير حفيظة بيت التاجر، فالتاجر والعريّض بينهما صلات قرابة ونسب.

في هذه المكتبة قرأت أمهات الكتب والدواوين الشعرية، ومع أنها كانت مكتبة خاصة، الا أن الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة

كان يشرف عليها بالاضافة الى الحاج محمد علي التاجر. وبالمناسبة، الشيخ عبد الله كان شاعراً.

ومن الكتب التي وضعت أقدامي على التشرب بروح اللغة العربية كتاب «**القواعد الجلية**» لأحد الأدباء اليسوعيين، وقد قرأته على الشيخ عبد الله في البداية لكي يعينني على ما يستعصي عليَّ استيعابه.

□ **هل لنا أن نأخذ فكرةً عن الحياة الثقافية في البحرين عام ١٩٢٧؟.**

ــ الفترة التي نتحدث عنها في الواقع تنقسم الى جزءين:

الأول بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣.

أما الجزء الثاني فهو يرتبط بالفترة التي جئت بها الى البحرين عام ١٩٢٦، ولما بلغت الثامنة عشرة من العمر حيث أسست المدرسة التي أشرت اليها منذ عام ١٩٣١ وحتى عام ١٩٣٤، وهنا يجب أن أقف أمام فصل لمسرحية تصور حياة الشاعر تشيللر عندما كانت سويسرا مُحتلة من قبل المجر والتي عكفتُ على ترجمتها وقمت بتحفيظها لطلابي، وقد أدّوها باللغة الإنكليزية خير أداء.

والحياة الثقافية في ذلك الوقت لم يكن فيها ما يُذكر باستثناء نشاط الشيخ ابراهيم بن محمد الذي كانت له مراسلات مع الأدباء في الخارج، كذلك الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة الذي أهديت إليه مسرحيتي «وا معتصماه» وكان من الشعراء..

وكان هناك المنتدى الاسلامي في المنامة، والنادي البحراني في المحرق، وهو الذي احتفل بأمين الريحاني عندما زار البحرين في طريقه الى السعودية.

□ **وماذا حل بمدرستك الأهلية؟.**

ـ اضطررت لإغلاقها لأسباب اقتصادية، لأننا كنا نتقاضى من الطلاب مئة فلس عن الشهر الواحد.. والمشكلة أن الطلاب كانوا معظمهم من أبناء التجار، لكن القليل منهم من كان يدفع رسوم الدراسة.

ونظراً لما كنّا نعانيه من أزمات اقتصادية، اقترحت على آباء الطلاب إقامة مجلس للمدرسة من التجار الذين يشرفون على مصالح المدرسة، وأن يقوم المجلس بإقرار بيع تذاكر يانصيب لتباع التذكرة بروبية واحدة، ونرصد جوائز بحدود الألف روبية، على أن يكون ما يباع من التذاكر بحدود ١٥٠٠ روبية، بحيث تستفيد المدرسة من الـ ٥٠٠ بعد توزيع الألف روبية على الرابحين.

لكن الفتاوى بتحريم هذه العملية قد صدرت من كل حدب وصوب، مع العلم أن العملية هي أقرب ما تكون الى جمع تبرعات بشكل تحفيزي تشجيعي، ويعود الريع لمصلحة المدرسة والطلاب والأساتذة، لكنهم عدّوا ذلك حراماً.

□ **من أين كان يأتي الأساتذة الى البحرين؟.**

ـ كانوا يأتون من العراق وبلاد الشام كفلسطين والأردن وسورية،

وفي أواسط الثلاثينيات بدأ الأساتذة المصريون يصلون الى البحرين.

□ **هل كتبت هذه الذكريات لتؤرخ بها تلك الحقبة؟!**

ـ في معظم كتاباتي كنت أرجع لذاك التاريخ اذا كانت طبيعة الموضوع الذي أتناوله تقتضي ذلك، وتحضرني الآن تجربة تربوية كنت قد استحدثتها للطلاب، وهي أنني كنت أدعو أولياء الأمور ليحضروا الى المدرسة أثناء تأدية الطلاب لامتحاناتهم النهائية بحيث يكتبون إجاباتهم أمام ذويهم!

□ **وما المقصود من تلك العملية؟.**

ـ المقصود أن الأهل الذين يقوم نجاح المدرسة على رضاهم بالمستوى الثقافي الذي وصل إليه أبناؤهم، لابد أن يطمئنوا إلى هؤلاء الأبناء أثناء تأدية الامتحان أمامهم، ومن الناحية الأخرى فإن الأبناء يجتهدون أكثر ويجدّون أكثر عندما يشاهدون ذويهم معهم في غرفة الامتحان.

□ **هل كانت البحرين ترسل أبناءها للدراسة في الخارج في ذلك الوقت؟.**

ـ نعم. لكن كثيراً من الناس كانوا يتشددون في الحرص على عدم إيفاد أبنائهم الى الخارج.

وأذكر على وجه التحديد حينما بدأت الحكومة ترسل الشباب لتلقّي العلم في الخارج، كان من بين المرشحين الدكتور علي فخرو الذي أصبح وزيراً ويشغل الآن منصب سفير البحرين في

فرنسا ـ أثناء إجراء هذا الحوار ـ. كان والده يرفض إرساله الى الخارج، ولما ذهبت إليه وخاطبته في هذا الأمر مشدداً عليه للسماح لابنه بالسفر قال لي:

«ربما سيعلمونه شيئاً هناك فيه مخالفة للدين، ولا نريد أن نفقد ابننا».

فقلت له: «اجعله يعيش زمانه، ودعه يذهب ليتعلم».

وبعد جهد جهيد وافق على مضض وهو غير راضٍ.. فإذا كان هذا هو حال أبي علي فخرو، وهو من المثقفين، وآل فخرو قد عُرفوا بثقافتهم، وصلتهم بالعالم الخارجي عن طريق ناديهم، فكيف هي الحال مع من هم دون ذلك؟!

□ **هل كانت البعثات مقتصرة فقط على الطلاب دون الطالبات؟.**

ــ نعم. كان ذلك في البداية، لكن لما جاء تعليم البنات في الأربعينيات، بدأت الحياة تنحو منحىً أكثر تطوراً.

□ **إلى جانب اهتماماتك الأدبية، هل كان لك نشاط آخر بعدما أقفلت المدرسة؟!**

ــ نعم. لقد فرضت عليَّ ظروف الحياة أن أتنقل في عدة وظائف ومهام أنيطت بي، فقد اشتغلت في شركة النفط التي كانت تنقب في قطر والإمارات، حيث قمت بترجمة معظم الاتفاقات التي أُبرمت مع شركات النفط العالمية.

□ **متى قفزت بنتاجك الأدبي من فوق أسوار البحرين، لتنطلق الى الآفاق الأرحب؟.**

ــ في أيلول/ سبتمبر ١٩٣٩. أذكر صبيحة ذلك اليوم كنت ذاهباً الى البريد، أنتظر أن ينزل من المركب البريد الذي يأتي من القاهرة عن طريق البحر، حيث الرحلة تستمر ١٥ يوماً، وتسلّمت مجلة «**الرسالة**» التي كان يصدرها الدكتور أحمد حسن الزيات، ووجدت احدى قصائدي قد نُشرت فيها.. ثم بدأت بعد ذلك بموافاة مجلة **الرسالة** بالموضوعات والقصائد التي كانت تأخذ طريقها الى النشر.

□ **هل كان اتصالك بعالم النشر في الخارج قد بدأ في مجلة الرسالة؟.**

ــ كلا. فكما قلت لك، سافرت الى بغداد وطبعت ديواني الأول «ذكرى» وهناك التقيت بالزهاوي، واتصلت بالعديد من الصحف العراقية، وكذلك التقيت بالرصافي والشعراء الآخرين، كما التقيت بعدد كبير من الأدباء في بغداد والنجف، حيث بدأت نشاطي الأدبي في العديد من الصحف العراقية.

ثم انتقلت بعد ذلك لنشر إنتاجي الأدبي في الصحف السورية واللبنانية، الى أن وصلت الى «**الرسالة**» في مصر، علماً أنني بدأت أرسل إنتاجي إلى «**الرسالة**» عام ١٩٣٤، وقد نُشرت ولكنني لم أطّلع عليها بسبب عدم وصولها الى البحرين.

□ **عندما كتبت مسرحية «وا معتصماه»، هل كان ذلك**

بسبب تأثير أمير الشعراء أحمد شوقي عليك، إذ إنه كتب العديد من النصوص المسرحية حينذاك؟.

ــ كلا!! أنا قرأت الكثير من المسرحيات بلغاتها، وكنت قد حضرت العديد من المسرحيات في الهند، أينعم قرأت «مجنون ليلى» لشوقي، ولكنني على اتصال بعالم المسرح، وليس كما كتب بعض النقاد المصريين من أنني قد تأثرت بشوقي.

□ **بماذا يتميز ابراهيم العريّض في شعره ونثره؟.**

ــ بالشعر القصصي، ولا أعتقد أن هناك من سبقني في هذا المجال، فما أكتبه هو بمثابة قصة، وما كتبه سواي عبارة عن حكايات اعتيادية لها بداية ووسط ونهاية..

أما قصصي التي أضمّنها أشعاري فهي التي طبعتني بخصوصية عُرفت بها بين أوساط الأدباء، وعلى سبيل المثال في المجموعة التي كتبتها في الثلاثينيات رواية عنوانها «**التمثال الحي**»، وهي عبارة عن فتاة بائسة وتعاني من الجوع، ويلتقطها فنان لكي يصورها نحتاً وينسى أنها جائعة.. أقول فيها:

تمت الدمية لا ينقصها غير الحوار

فانثنى يضحك للغادة في شبه اعتذار

انظري صنع يدي، فهو جدير باعتبار

انها معجزة خالدة.. مثل النهار

ورآها لم تحرك شفة والجسم عار

فدنا منها وفي أضلعه جمرة نار

وإذا بالخود في موضعها مثل السوار

جسد من غير روح مستمر في انتظار

إنما الثغر، كما يهواه، في حال افترار

***

وانحنى بين يديها باكياً سوء مآله

وطوى حاشية الثوب عليها، في اعتلاله

أنا أدعوك.. وهل يسمع ميت صوت آله؟!

.. إلى أن يقول:

ومضى يعثر بالشيء ويهذي في اختباله

عندما ألقيت هذه القصيدة في الستينيات في الاسكندرية في مؤتمر شعري، كان هناك أحمد رامي وبنت الشاطئ ومحمود أمين العالم وغيرهم ممن يهتمون بالشعر، حيث لقيت تلك القصيدة لديهم إعجاباً منقطع النظير.

□ كتابة الشعر القصصي التي تميزت بها، هل لها أتباع يسيرون بها بعد ابراهيم العريّض؟.

ــ اذا أنت اقتصرت على الأدب العربي فلا تجد فيه شيئاً من هذا النوع، وإنما تجد نماذج للشعر القصصي، فهناك الشعر

المسرحي والشعر العاطفي.. وهذا الذي يسميه الأوروبيون شعراً غنائياً.

والشعر القصصي له طور خاص، فالغربيون لا يخلطون بين الشعر القصصي والشعر الغنائي على أساس أنه يختلف، لأنه في الشعر القصصي يشرف الشاعر على الأحداث من علٍ، يعني يقف الشاعر موقفاً موضوعياً، فإذا وصف حالة العشق التي يعانيها الحبيب، فلا بد من أن يسترسل في الظروف التي أحاطت بهذه الحالة، دون أن يسترسل بكلام تفرضه عليه طبيعة القافية كما نلاحظ في الكثير من القصائد العربية.

□ هل نستطيع أن نحدد لأعمالك ملامح فلسفية خاصة بها؟.

ــ الناس في ما يتعلق بالأذواق التي يتذوقون بها الأشياء، يعتمدون على خلفيتهم مهما تكن تلك الخلفية، إلا أنهم يصبغونها بأبعاد نابعة من ذواتهم!. وفي سنة ١٩٤٦ كتبت فصولاً في الشعر كنت حريصاً على أن أعبّر فيها عن ذاتي، ولماذا أنا أختلف عن الآخرين، فوصلت الى نتيجة عبّر عنها الشاعر أبو نواس عندما قال:

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظرا

فإذا ما وجدت أمامك كلاماً لا تشتهيه عليك أن تعيد النظر وترجع إليه لتحقق منه موقفك.

□ أستاذ عريّض، أنت في التسعين من عمرك،

ومفرداتك لا تزال مفعمة بالشعر، في حين أن العالم من أمامنا ـ بل اقتحمنا ـ بثورة علمية تكنولوجية، فأين الشعر من عالم الكمبيوتر والانترنت والوسائل التكنولوجية الأخرى؟!

ـ التكنولوجيا انتقال بالإنسان من ظروف العاطفة الى ظروف بعيدة عن تلك العاطفة، الشعر أساساً هو تلك الحلاوة التي تأتي عن خفقات القلب، والتكنولوجيا.. اذا جئت مثلاً الى لعبة الشطرنج لأنها تقتضي التفكير، والتفكير كما تعرف ينطـوي على مجالات الحزن والخوف أو التـأثر والتأثير والرغبة.. وهذه كلها مشاعر من العواطف الانسانية لا تستطيع التكنولوجيا التعامل معها أو التعبير عنها، فالتكنولوجيا التي أحالت لعبة الشطرنج الى الآلة غير قادرة على أن تتعامل مع الشعر مهما تعددت فنونها.

□ **إذن أنت ترى أن هناك حالة من التصادم بين ما يمنحك إياه الشعر من عاطفة تعبر عن معتلجات النفس الانسانية، وبين الثورة التكنولوجية التي يعيشها انسان القرن الحادي والعشرين..**

ـ في التكنولوجيا يحدث التطور على شكل قفزات، أما في الشعر فالأمر مختلف.

□ **هل من الممكن أن توضح هذه النقطة؟!**

ـ في التكنولوجيا كان الإنسان يطمح الى الطيران، واستطاع الاخوان رايت أن يحققا هذا الإنجاز، ثم حاول الانسان النزول بالبراشوت، ولم يكتف بالنزول فقط، بل أخذ يقوم بأعمال

بهلوانية في الجو، والطائرة أصبحت تسير في سرعة أقوى من الصوت!

وهكذا تسير الأمور في عالم التكنولوجيا، حيث تكون البداية متواضعة ثم سرعان ما تتطور..

لكن الشعر، وهو أداة التعبير عن طبيعة النفس البشرية، يختلف في تطوره عن التكنولوجيا. نعم، دخلت عناصر الشعر أشياء شبه مصطنعة، قال عنها المتأخرون إنهم تجاوزوا بالشعر عهد العاطفة ووصلوا به الى الصنعة، عندما كثرت عمليات الجناس والطباق وما شابه ذلك.. وعلى سبيل المثال:

اذا ما امرءاً لم يكن ذا (هبة) فدعه، فدولته ذاهبة

أو

أيها القاضي بـ قم ... قد عزلناك فـ قم

والشاعر هنا يتصور أنه قد تجاوز الشعر الى خطوة أعلى، ولكن هيهات اذ لا يمكن أن يتم تعبير الانسان عن خلجاته بهذا النوع من الجناس والطباق.

فتعبير الخنساء عن معنى الأخوة ومشاعر الأخوة عندما تقول:

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمسِ
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

... فالخنساء ماتت، وأخوها مات، لكن هذا الشعر لا يموت.

□ **ماذا تقول عن الشعر الحر؟**

ــ إن الشعر الحر هو أصعب ألوان الفن لأنه لا يعتمد ـ كالشعر القديم على الإيقاع والتناسب وتوازن أجزاء البيت، والألاعيب البلاغية.. إنه كصور (بيكاسو) تأخذ جمالها من انعدام النسب واضطراب الخطوط، وتداخل الظلال وموت المسافات في بعضها. هذا ما قاله لي نزار قباني.

□ **بمناسبة نزار قباني، ما رأيك بشعره؟**

ــ التقيت نزار عندما كان ملحقاً للسفارة السورية في أنقرة، ولا شك في إنه من الشعراء، وكان قد اطلع على كتابي «**الأساليب الشعرية**»، الذي عرّفت فيه المستويات التي يمكن أن يظهر فيها الشعر، وأثبتُّ أن (الذات) هي التي تفضي بالحديث، و(الذات) هي التي تتلقى الحديث. وعرّفت الوجوه المختلفة والكثيرة التي يمكن أن تكون عليها (الذات)!! فهناك (الذات) التي تخطب ودّ الجمهور لتحقيق غرض خاص، و(الذات) القائدة التي يطمح صاحبها إلى أن يوصل ما يريد إيصاله الى السامعين، وهناك المؤرخ الذي يقف بموضوعية أمام السرد للأحداث، وهناك (الذات) التي تعتبر نفسها نديماً وتخاطب الإنسان.. وعلى هذا الأساس هناك المهرج، وهناك الإنسان الذي يتعبد، والإنسان الذي يهيم في نفسه ولا يعرف إلا نفسه، وهناك الروائي الذي يأخذ بجميع المذاهب.

ثم بحثت في العلاقة بين الذاتين المتلقية والتي تُلقي، وفي كل هذا كان بحثي مقصوراً على الشعر فقط، وكان لا بد لي من أن

أعرض الى الشعر الغنائي، وأتعرض للشعراء وخاصةً الأكفاء منهم ممن يعيشون في حالة دهشة، ووقفت في دراستي تلك أمام الشاعر المسحور بنفسه، أو الشعر الرمزي.

وكنت أستشهد بنزار قباني الذي كان في أول عهده بالشعر في ديوانيه «طفولة نهد» و«قالت لي السمراء»، فأنا إذن صحبت نزاراً منذ سنين طويلة واستشهدت بمعطياته في ما كتبت، وظللت متابعاً له الى أن كتبت له قصيدتي الأخيرة على إثر وعكته ودخوله المستشفى وقلت فيها:

أفي عنفوانك؟.. ها أنت حقاً

على الجنب في بعض مثواك ملقى

سلامة عمرك!!.. عشت لتبقى

جلجل بصوتك رعداً وبرقا

ثم لا تنس أن السنين قد جعلت بيننا من الود والتواصل والصداقة.

□ هناك من الشعراء من يُسرف في الرمزية، أتوافقهم على ذلك؟

ــ لا. القضية هي الصنعة في الإنسان نفسه، اذ إن الناس طبائع، فإذا ما عشق الانسان فهو يجعل من معشوقته أسطورة في شعره.

بيد أن بعض الشعراء يكتفون بكلمات يأخذونها من القواميس وهي محدودة المعاني، والبعض منهم يحمّل الكلمات بالمعاني

والرموز ما لا طاقة لإنسان على استيعابه، فتجده كأنه يخاطب نفسه، وهذا هو الذي يجتاح الساحة الآن للأسف، بيد أن الشعر في جوهره لا يحتمل التراكيب الكيماوية والأحاجي والألغاز، فأنت إذا ما جئت الى تلميذ ابتدائية وقلت له هذا البيت من الشعر:

كلنا طيره في قفص   إنما يطلقه المجذوب منا

فلو قلت للتلميذ: (قفص) يعرف موقعها من الإعراب وما ترمز إليه في ثنايا البيت الذي جئنا عليه.. هذا المعنى شعري، استعان به الشاعر كي يمرره عن طريق الكلمة المفهومة عند الناس.

فالمتنبي عندما رثا أخت سيف الدولة (خولة) قال:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ   فزعت فيه بآمالي الى الكذب

حتى إذا لم يدعني صدقه أملاً   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

هذه العبارة الشعرية اذا قرأها أحد لا يعرف أو يستوعب الشعر، فإنه لن يدرك مضمونها.

□ **محطة هامة في تاريخك وهي علاقتك بـ عمر الخيام؟.**

ــ عرفت عمر الخيام وأنا في الرابعة عشرة من عمري، وكنت أذرف الدمع إذا ما قرأت أبياته المترجمة عن فيتزجيرالد، وكنت مفتوناً به الى أبعد الحدود، وعندما جئت الى البحرين قمت بجمع التراجم التي طُبعت للخيام آنذاك بدءاً من البستاني ومحمد السباعي وأحمد الصافي النجفي وأحمد رامي وغيرهم..

وقرأت أكثر من ثلاثين ترجمة سواء باللغة العربية أو الإنكليزية والأوردية، واكتشفت أن فيتزجيرالد ووديع البستاني والسباعي قد انصبّت ترجمتهم على اللغة الإنكليزية، فخشيت أن أتأثر بهم أو أصاب بحالة (التكهرب) التي تحدث للإنسان عندما يقرأ شيئاً ثم يتشبع به.. فعكفت على دراسة أصول الرباعيات التي كُتبت بالفارسية، وتبيّن لي من دراساتي أن الغربيين قد ترجموا الخيام منذ (٢٥٠) سنة، ووقعت أقدم مخطوطة للخيام في يد فيتزجيرالد والتي يفخر بها قراء الإنكليزية، باعتبارها من عيون الشعر المترجم.. لكنني لم أقتنع بها!!

وأخذت أُنقب عن تاريخ الخيام الرجل، الشاعر، والذي تخصص في الرياضيات والفلك، وكان يتقن اللغة العربية.. وأحب هنا أن أقول: إن الرباعيات التي تُرجمت الى الإنكليزية كان عددها (١٥٠) رباعية، ثبت لي أن البعض منها كان موجوداً في دواوين كُتبت قبل الخيام!!

والبعض الآخر وجد في دواوين شعراء عاصروا الخيام، بل وجدت بعض الرباعيات لمتأخرين عن الخيام، وقد نُسبت إليه!

وتحت يدي أكثر من ثلاثين كتاباً، أحدها مطبوع في برلين احتوى على (٧٥٦) رباعية.. وكتاب آخر بالفارسية احتوى على (٨٠٠) رباعية! وفيتزجيرالد نفسه قد وجد المخطوطة التي ترجم عنها رباعيات الخيام في الهند.

□ **هذا المنسـوب والمنحـول الى الخيام من رباعيات،**

اذا ما قورن مع ما كتبه الخيـــام، هل هناك أوجه للشبه؟!

ــ هناك رباعيات ربما كانت أجمل مما كتبه الخيام، لكن الفارق بينهما شخصية الخيام، فهذا الرجل نظر الى حياة الإنسان كفرد، وما مدى حياة هذا الفرد في علاقتها بالكون، وتساءل عما هو الكون والوجود وما هي الرابطة بين الإنسان والحيوان والمادة. هذه الحالة الوجودية في شعر الخيام ميّزته في رباعياته عما نُسب إليه، خاصةً تلك الرباعيات التي أسرفت في تصوير الخمريات، مما جعل البعض يتصور أنه زنديق متهتك، بينما في واقع الأمر أن الخيام ليس كذلك.

فهو الذي بقول:

إلهي! رحماك أين الصباح؟

فقلبي يكاد أسىً يستباح

وغفراً. . لساق سعت بي إليها

جنوناً وراح تمادت براح

فالخيام بريء من الكثير الذي نُسب إليه من الرباعيات والتي تصل الى (٥٠٠) رباعية معظمها مزورة!.

□ **هل أبرزت ذلك المزور على الخيام، وأظهرته للناس؟!**

ــ نعم. في كتابي «**الدراسات الفنية عند مترجمي الخيام**»، أتيت

على (١٤٥) رباعية من الأصل الفارسي، وهي التي يؤكد عليها جوسل الألماني، وجاء من بعده فيتزجيرالد فجمعها تقريباً، وأجريت مقارنة في الاختلافات الموجودة فيها.

وأحمد رامي يقول إنه ترجمها عن الفارسية، ولست أدري عن أيّها، فهناك أكثر من (٥٠) نسخة فارسية مطبوعة!. وفي واقع الحال فإنه من الصعب تحديد النسخة غير المشكوك فيها!!

بل إن الايرانيين أنفسهم لم يكونوا مهتمين إلى وقت قريب بعمر الخيام الا بعدما بزغ ذكره في سماء الغرب. وللأمانة العلمية أنا ترجمت (١٤٥) رباعية، ولكنني أقول للقارئ لا أزعم لك إنها كلها للخيام!!

وذلك أنني انتقيتها من كتب مطبوعة منسوبة للخيام، وهناك أكثر من (٢٠) مترجماً قد أخذوا من نفس المصادر التي أخذت منها، مثل أحمد الصافي النجفي الذي ترجمها عن الفارسية أو رامي أو عبد القادر المازني.. وغيرهم ممن وضعتهم في اعتباري عندما قمت بترجمتي للرباعيات.

□ لو لم تكن قد تجاوزت التسعين من عمرك، لما طرحت عليك هذا السؤال الخاص بمعركة القديم والحديث في الشعر العربي!!

ــ أنا أدليت بدلوي في هذه المعركة، وقد تناولت هذا الموضوع أولاً بأول.. وقلت: إن العرب كانوا يعتقدون أن الشعر العربي يُكتب للعرب فقط، كأنهم ينظمونه لأنفسهم فحسب، مع أن

العرب قد اهتموا بالفلسفة وبالحكمة وبالعلوم المختلفة التي انتشرت من خلالهم لتعم الإنسانية جمعاء الا في الشعر.. ما أريد الوصول إليه: لو أن العرب قد كتبوا القصيدة ووضعوا في حسابهم أنها ستُقرأ بجميع اللغات، لأصبح للشعر العربي مكانته العالمية، ولتفاعل الناس مع الشعر عن مأساة فلسطين وكأنهم يتحدثون عن مأساتهم، في حين أننا قرأنا ترجمات عن مأساة الفييتناميين ومأساة البولنديين مما كتبوه من أشعار بلغته الأصلية. ونظراً لما كان يحمله هذا الشعر من قوة ومتانة فقد فرض نفسه وترجم الى مختلف اللغات في العالم. والشعر الافريقي خصوصاً الذي عبّر فيه الشعراء الأفارقة عن تطلعهم الى حياة أفضل، مع أن اللغات الأفريقية ليست في ذلك الثراء الذي تتمتع به اللغة العربية!

وقد كانت لمحة ذكية من نزار قباني الذي كتب قصيدة بالأسلوب الجديد وليس الأسلوب القديم، وعنوانها:

«من شاعر سوري الى مواطن أمريكي».. يحدثه فيها عن الحروب التي تجرعها العرب، وقد استشهدت بهذه القصيدة في القاهرة في مؤتمر الأدباء العرب، وأثنيت على هذا النوع من الشعر الجديد الذي لو تُرجم الى اللغات الأخرى لأوصل صورتنا الى أسماع العالم، لأن الإنسان يتفاعل مع القصيدة أكثر من تفاعله مع البيان السياسي.

□ **لكي أكون أكثر دقة في معركة القديم والحديث، أسألك عن شعر أدونيس؟.**

ـ أدونيس مثقف، وهو يفهم ماذا يقول. وأنا لا أتذوق شعره، لكن ثقافته عالية، ويعرف المأساة في الشعر.. كل ما هناك أن الشاعر يعطي معنى الكلمة في اللغة، فإذا كان يحس بعاطفة شديدة وقادراً على أن يعرض الكلمة، لا أن يحمّلها معنى غير عادي على أساس أنه على علم بخصائص اللغة، فهذا ما يجعل قارئ القصيدة يسير في متاهات تُباعد بينه وبين تذوق الشعر.

□ قاسم حداد ـ وهو من البحرين ـ يُعد واحداً من أقطاب شعر الحداثة. هل تقرأه؟!

ـ قاسم حداد مثقف ولكن أنا لا أعتبره شاعراً، لأنه يريد أن يُلغي الشعر العربي من أوله الى آخره. يريد شطبه بالقلم الأحمر. المفروض أن من يكتب الشعر العربي يبدأ من الصفر.. وظاهرة قاسم حداد قد جنت على شبابنا في البحرين، لأنها أدخلت في خلدهم أنهم يستطيعون أن يكتبوا الشعر الحديث دون المرور بالأصول الأولى للشعر العربي!

□ كما اعتنيت بـ عمر الخيام، فإن عنايتك بالمتنبي جعلتك تنفرد بآراء ما قال بها أحد من قبلك!!

ـ أنا أول من درس شخصية المتنبي بعد محمود شاكر، ودرست المتنبي من خلال شعر المتنبي، والحمد لله أن باباً للحرية مازال مفتوحاً في أن نقول في الشعر ما نقول، وأن نفسر الكلمات على أكثر من معنى، بعدما أصبحنا متشبثين بالأصولية والسلفية المتشددة.

فنحن نستطيع القول أن أعذب الشعر أكذبه!!

واستطاع نقاد الشعر والأدب في تاريخنا استغلال فسحة الحرية في مجال البحث في الشعر، فألفوا الكثير من الدراسات عن الشعر والشعراء. فالجرجاني مثلاً وجد أن المتنبي مغروراً ومقهوراً في عصره، فكتب في القرن الخامس كتابه «**الوساطة بين المتنبي وخصومه**».. وقال: اذا كان المتنبي يهبط بالشعر كما يقول خصومه فإن الشعراء أكثرهم لديهم ذلك الهبوط. ثم أخذ الجرجاني (١٣) بيتاً من شعر المتنبي، وأبرز أخطاءه فيها وكتب أن المتنبي قال: كذا.. وكان ينبغي له أن يقول: كذا..

ومن جملة الأبيات التي ذكرها الجرجاني هذا البيت:

وإني لمن قوم كأن نفوسنا بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما

فصححه وقال: لو أن المتنبي قال:

وأني لمن قوم كأن نفوسهم (بدلاً من نفوسنا)، لكانت أقوى..

□ من غيرك وغير محمود شاكر ممن اعتنوا بدراسات المتنبي؟!

ــ هنالك الكثير: الاستاذ عبد الرحمن عزام طبع كتاب «ذكرى المتنبي»، وكذلك طه حسين والعقاد، وكُتبت عن المتنبي العشرات بل المئات من الدراسات.

□ هنـاك من يتهـم الدكتور طه حسين بأنه أخلص للمعـري في كتابـه «مع أبي العلاء في سجنه» ولكنه

لم يُعطِ المتنبي حقه من البحث!!

ــ طه حسين لا يعرف شيئاً عن المتنبي!! بدليل أنه يعتبر احدى روائع المتنبي شطحة من شطحات الشباب، وإلا فهل يُعقل أن أبا الطيب يقول:

شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي.. ثم يأتي من هو بحجم طه حسين ليتساءل: كيف يشرق الدمع بالانسان؟!.. مع أن طه نفسه يحاول نظم الشعر، وشعره مضطرب ولهذا فإن دراسته عن المتنبي أو دراسته عن أبي تمام في حديث الأربعاء لم يصل فيها الى الدقة!!

يبدو لي أن طه ما كان له أن يخوض في الشعر والشعراء، ولكنه قد أبدع في كتاب الأيام أو الفتنة الكبرى.. أما الشعر فلا!!

□ قال الثعالبي - وهو من أعداء المتنبي -: إن شعر المتنبي يجمع بين الدرة والبعرة»، فما قولك في ذلك؟!

ــ أكتفي بما جاوبه المعري يوم ألف كتاباً باسم: «معجز أحمد».. ويعني بأحمد: أبو الطيب المتنبي.. وعندما كان يستشهد بأبيات له في ذلك الكتاب يقول: «قال الشاعر»، أما اذا استشهد بغيره فإنه يقول: «قال فلان»، والكل يعرف قصة المعري عندما وصل الى بغداد وقام بزيارة لبيت الشريف الرضي، فكانت بينهما خصومة بسبب المتنبي.. وهي قصة:

لك يا منازل في القلوب منازل

. . . إلى أن تصل لـ:

وإذا أتتك مذمتي . .

□ هل نستطيع القول أن لابراهيم العريّض مدرسة لها تلاميذ وأتباع؟!

ــ أنا أؤمن بأن الشعر موهبة من الله. بل حتى تذوق الشعر موهبة، فاذا كان لي ممن أفخر بهم وأصبحوا شعراء يُشار اليهم بالبنان مثل الدكتور غازي القصيبي وابنتي ثريا، فليس لي في ذلك فضل عليهما ولا على سواهما، وإنما هي الموهبة.

ثم إن الشعر منازل ودرجات، فهناك الشعر المسرحي، والشعر القصصي، والشعر الملحمي، وهناك أيضاً الطبقة أو البيئة التي يترعرع فيها هذا الشعر.

فشعر الصعاليك عند العرب له نكهة خاصة يتميزون بها، وكذلك شعر الملوك، وشعر الفقراء، وشعر المقاتلين، وهناك الكذابون والمداحون . .

فالشعر عالم قائم بذاته. وأنت ذكرت فيما اذا كانت لي مدرسة أو أتباع!!. وأنا لا أؤمن بأن تكون لي مدرسة أو أن يكون لي أتباع، لأن العصر والمزاج يختلف!. فلو أخذنا رجلاً مثل الدكتور غازي القصيبي، وهو من الشعراء المشهود لهم، نجد أنه يمتاز بصفتين:

الأولى: أنه معايش لزمانه.

والثانية: أنه منفتح على جميع الأفكار.

وغازي انسان مرح يتحدث بمرح وأحياناً ينظم شعره بمرح، مع أنه لم يكن من تلامذتي، إلا أنني درّست أشقاءه فهد وخليفة وابراهيم ومصطفى وعادل ونبيل. وغازي كتب العديد من الدواوين الجيدة أرّخ فيها لمرحلته وعصره.

□ **وابنتك ثريا العريّض؟!**

ـ ثريا تعيش عصرها، وأنا أترك لها مطلق التصرف لتعيش حياتها كما تريد، وعلى ما يبدو لي فإن ثريا منسجمة مع نفسها في ما تكتب سواء ما تكتبه نثراً كان أو شعراً. ولي الكثير من الأصدقاء ولا أقول المريدين ممن يكتبون الشعر مثل: تقي البحارنة وهو من تلامذتي، وغيره ممن أتمنى لو أن المجال يتسع للإتيان على أعمالهم الشعرية، ولكنني بدأت أُرهق وذاكرتي لا تسعفني.

□ **قبل أن نختتم هذا اللقاء، ما الذي يريد أن يقوله ابراهيم العريّض؟!**

ـ أقول: العطية من الله، ونحن بصدد الامتحان في هذه العطية، كيف نتصرف بها؟!.

وأؤمن بأن اللغة ما خُلقت إلا من أجل اتصال الإنسان بأخيه الإنسان، فيجب العناية باللغة حتى يكون الاتصال بين البشر على الوجه الأكمل.

وفي نهاية هذا اللقاء أقول هذه الرباعية التي أتوجه بها الى عمر الخيام:

أخيامُ أما في الورى من يعي

همو سخرة الجاهل المدعي

فلو همُ يعون لما ضللوا

ببدعة جيل.. عن الأبدعِ

□□□

أحمد بهاء الدين

كُتبت عن أحمد بهاء الدين العديد من الدراسات والبحوث، تناولت مجمل مسيرة حياته، إلاّ أن ما يميّز الحوار معه هنا هو تلك الخصوصية والعفوية الصادرة في إجاباته.

حاولت كثيراً أن أرتب لقاءً إذاعياً مع أحمد بهاء الدين في القاهرة، في أواسط الستينيات، فلم يحالفني الحظ.

فالرجل كان يعتذر لكثرة مشاغله من ناحية، ولعدم ميله للظهور في أجهزة الإعلام من الناحية الأخرى.

لكن الفرصة كانت مواتية عام «١٩٧٦» عندما كان أحمد بهاء الدين يعيش في الكويت رئيساً لتحرير مجلة «العربي»، حيث توطدت بيننا الصلة، فسجلتُ له يوماً برنامجاً إذاعياً، لم يذع لأسباب كان يراها الرقيب معكرة لصفو العلاقات الكويتية ـ المصرية. وهذا هو الحوار بعد تفريغه كاملاً..

□□□

الخلاف مع السادات!

□ يدور الحديث عن خلافات بينك وبين الرئيس أنور السادت، دفعت بك إلى ترك مصر والعمل في الكويت؟!

ـ لقد اتهمني الرئيس أنور السادات بأنني كنت المحرك وراء بيان وقّعه عدد من الأدباء يتضمن انتقادات للسياسة المصرية بقيادة السادات، وخصوصاً في ما يتعلق بالموقف من إسرائيل، وكانت النتيجة أنه أصدر قراراً بمنع نشر مقالاتي، وأعقبه بقرارات أخرى، نُقلتُ بموجبها لعدة مؤسسات، ليُحال بيني وبين الكتابة وقد فُصلت من العمل أكثر من مرة. بصراحة أقول: هذا وغيره من مضايقات أخرى، هو الذي دفع بي للخروج من مصر!!. ثم إن رئاسة تحرير مجلة «العربي» تعدّ البديل الموضوعي لمعظم المناصب التي توليتها، ولما لها من أهمية، فهي واسعة الانتشار، بل تكاد تكون الوحيدة المتميزة في الوطن العربي.

مراكز القوى!!..

□ أليس لك علاقة بمن أطلق عليهم الرئيس السادات مراكز القوى؟ خصوصاً تيار علي صبري، وسامي شرف، وهما من أبرز أقطاب هذه المراكز في مواجهة الرئيس السادات.

ـ هذا كلام غير دقيق، فأنا علاقتي بهذين الاثنين سيئة جداً، أقصد علي صبري، وسامي شرف، بل على العكس تماماً فقد

قمت بنشاط كبير وواسع للدفاع عن قضايا مصر بشخص الرئيس السادات، ويعرف ذلك جيداً بعض المقربين من السادات مثل سيد مرعي، وإسماعيل حافظ، ومراد غالب، والدكتور عبد القادر حاتم.

العلاقة باليسار

□ كيف تكون علاقتك سيئة بتيار علي صبري وأنت من المحسوبين على اليسار؟!

ــ سأروي لك حاجة هامة تبيّن لك البون الشاسع بيني وبين تيار علي صبري: هاتفني هيكل، وطلب مني بموجب توصية من عبد الناصر أن أستعد لترشيح نفسي لعضوية اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، يعني مسألة مضمونة النجاح مئة بالمئة خصوصاً عندما تكون بتوصية ورغبة من جمال عبد الناصر. وعندما شرعت بالفعل بالاستعداد لهذه الانتخابات، فوجئت بتوصيات لدى أعضاء اللجنة المركزية بعدم انتخابي، وعلمت أن اسمي قد حُذف تماماً من الترشيح ليحل محلي محمود أمين العالم!! وكتبت على أثر ذلك خطاباً، أحمّل فيه مسؤولية هذا التلاعب كلاً من علي صبري وسامي شرف! فكيف بالله عليك أكون معهما في الخندق نفسه لكي أتهم بأنني ضمن تيار من مراكز القوى؟!.

بعيداً عن مصر

□ مصر الآن تمور فيها الأحداث السياسية، وتمر

بأحداث جسام، وابتعاد منظّر سياسي وصاحب تجربة ثرية كأحمد بهاء الدين يثير التساؤل؟!

ـ والله إذا كانت هناك من أسباب، فهي لأنني شعرت بالامتهان والإذلال، بعدما تنقلت في عدة مواقع، وأوقفت مقالاتي عن النشر. كتبت في هذا للسادات رسالة أطالبه بالعمل على حفظ كرامتي إلى أن أجد الوقت المناسب والعمل المناسب الذي يليق بي وباسمي، وبتاريخي. . والحمد لله كانت النتيجة بأنني أعيش الآن بين أهلي وأحبائي، وأصدقائي في الكويت.

البدايات

□ **بدأنا حوارنا معك أستاذ أحمد من النهاية، بيد أن المفترض أن ترجع إلى البدايات، بدايات أحمد بهاء الدين؟!**

ـ إذا كنت تقصد البدايات، فإن الأمر يقتضينا ساعات وساعات!

□ **إذاً لنقف أمام أهم المحطات في تاريخ أحمد بهاء الدين.**

ـ يا سيدي أنا أنتمي لأسرة تعيش في إحدى قرى أسيوط بصعيد مصر في قرية «الدوير»، وكان والدي يعمل في وزارة الأوقاف، ونقل إلى الاسكندرية التي والدت فيها في عام ١٩٢٦، ولأنني كنت الابن الوحيد على أربع بنات، كان الاهتمام والحرص يحيطان بي من كل جانب، فقد كانوا يخافون عليَّ من اللعب مع أطفال الحي، ولم أشارك في الرحلات المدرسية ذهاباً وإياباً،

وكانت والدتي تشرف بنفسها على إطعامي وأناقتي، ومذاكرتي، وتعلّقت بها كثيراً بحكم هذه العلاقة الحميمة. وعندما فقدتها وأنا في سن العاشرة، فقدت كل معنى للحياة، إذ خيّم الحزن على حياتي، وتصرفاتي، واتسمت تصرفاتي بالخجل والانطواء، والصمت لساعات طويلة. هذه السلوكيات صارت ملازمة لي إلى حد كبير في معظم سني عمري!

□ هل هذا الموروث المليء بالحياء والحزن والخجل، قد انعكس على معطياتك العملية؟!

ـ ربما هناك شيء من هذا، لكن والدي أحدث توازناً في حياتي لأنه كان وفدياً متحمساً، وكان ككل المصريين من أبناء جيله، يتحدثون عن سعد زغلول كبطل أسطوري لأنه ـ أي سعد ـ كان يقف بشراسة في وجه الاستعمار، كما كان يحارب الجهل والتخلف والفقر والمرض.

الحذر من الأحزاب

□ ولكنك لم تكن وفدياً يوماً؟!

ـ هذا صحيح، فأنا بعد تخرجي من كلية الحقوق في جامعة الملك فؤاد في سنة ١٩٤٦ بدأت نشاطي في مجلة «رابطة الشباب» وكانت تضم أعداداً من الشخصيات التي تنتمي إلى تيارات فكرية وثقافية وسياسية مختلفة، وكنت أتعايش معهم في ما يدور بينهم من صراعات حتى داخل التيار الواحد، فالعناصر الماركسية مثلاً كانت في صراع في ما بينها، فالتروتسكيون،

واللينينيون، وغيرهم من العناصر الأخرى كنت أراهم في شدٍ وجذبٍ وتفاخرٍ. مما جعلني أتخذ الحذر بالاقتراب من الأحزاب.

العلاقة مع حزب البعث

□ ارتبطت بعلاقات وطيدة مع زعماء حزب البعث العربي الاشتراكي؟

ــ قلت لك إنني لم أكن مرتبطاً بأي حزب من الأحزاب، لكن مسيرتي العملية مكّنتني من الاطلاع والالتقاء بالعديد من الشخصيات العامة في الحقل السياسي، في الوطن العربي، وغيره، وممن التقيت بهم وارتبطت معه بصداقة، الأستاذ صلاح الدين البيطار أحد مؤسسي حزب البعث العربي الاشتراكي، وظللت على علاقة طيبة بهم، لكن عندما دخل حزب البعث في متاهات مخالفة للأهداف التي كان ينادي بها، تغير موقفي تجاههم.

خلافات مع الشيوعيين

□ علاقتك على ما يبدو مع الشيوعيين بين مدٍ وجزر، فهم طوراً يهاجمونك بعنف، وطوراً آخر يكاد المرء يلمس مما تكتبه عن اليسار واليساريين، أنك واحد منهم، فما سر هذه العلاقة غير الثابتة على موقف؟

ــ يا سيدي أنا أقول لك: في أوائل الخمسينيات، قمت بزيارة للاتحاد السوفياتي حيث أمضيت هناك شهراً وبضعة أيام. سجّلت

انطباعاتي عن تلك الرحلة وأبرزت المثالب التي وجدتها هناك، فاعتبرني البعض في التيار المعادي للثورة الأممية العالمية، وأصبحت هدفاً سهلاً لمعظم أنصاف الكتّاب من ديدان الماركسية، فرددت عليهم في عام ١٩٥٧ في مقال في مجلة «صباح الخير» كان عنوانها «ستالين»، ودحضت آراءه الفكرية في نظريته المستقبلية، من أن الرأسمالية ستدخل في تناقضات تقودها إلى حروب مدمّرة، وأثبت عكس نظريته القائمة على أن المعسكر الرأسمالي لا بد أن يتحالف مع المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي!!

وقد استشهدت بأفكار مُنظّرٍ اقتصادي هو «أبوجين فارجا»، الذي كانت له وجهة نظر مخالفة لرأي ستالين. على أثر ذلك ازدادت هجمة الشيوعيين والماركسيين عليّ شراسة، وأخذوا يصنّفوني بتصنيفات ما أنزل الله بها من سلطان، فوصفوي بزعيم تيار البرجوازية الصغيرة، وهناك من وضعني ضمن دائرة الخونة، من هنا كانت العلاقة بيني وبينهم قائمة على هذا النمط من الشدّ والجذب. ولأن البعض من الشيوعيين والماركسيين، والإخوان المسلمين تعرضوا للسجن في فترات متفاوتة، بينما أنا لم أسجن، فقد استخدموا عدم سجني ورقة يلوّحون بها لاتهامي بالعمالة والخيانة.

□ صحيح. لماذا لم تسجن؟!

ــ لأنني لم أقم بما يقود بي إلى السجن.

السياسة الأميركية

□ إذا كنا قد جئنا بنتفٍ عن علاقاتك بالتيار الشيوعي والماركسي، فماذا عن علاقتك بالتيار الأميركي؟!

ـ سنة ١٩٥١ صدر لي كتيّب عنوانه «النقطة الرابعة. . استعمار جديد»، كتبت فيه: تحت ستار المساعدات الاقتصادية، اتخذت أميركا أسلوبها للزحف باتجاه الشرق الأوسط منطلقة من الدور الذي لعبته في مساعداتها للصهاينة. . ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن، تجد أن علاقتي بأميركا وبالتيارات الأميركية لم تكن على وفاق في يوم من الأيام، لكنني كمراقب للأحداث بنظرة واقعية لا بد لي من الإشارة إلى تسجيل بعض المواقف العقلانية التي صدرت عن الإدارات الأميركية المتعاقبة، كوثيقة حقوق الإنسان في عهد ويلسون، والموقف من العدوان الثلاثي في عهد أيزنهاور وغير ذلك.

تقديم تنازلات

□ يقال إن الكاتب المرضي عنه عند جميع الناس لا بد أنه أرضى الجميع في كتاباته، أو وجهات النظر التي يطرحها، وغالباً ما يكون ذلك على حساب الحقائق، أو تقديم التنازلات؟

ـ أنا أرفض هذا السؤال، وأرفض أن أُصنّف من ضمن هؤلاء.

□ إذاً هل تُصنّف ضمن الكتّاب الإصلاحيين؟

ـ ليس هناك من كاتبٍ إلاّ ويظن نفسه إصلاحياً!

□ ما دفع بي للسؤال إعجابك بـ غاندي، ونهرو، وهما من عُرفا بسياسة اللاعنف الإصلاحية!

ـ بالعكس أنا قد أكون من المعجبين بغاندي ونهرو وغيرهما، ولكنني كنت وما زلت وسأبقى من أشد المتحمّسين لحقوقنا القومية والوطنية، حتى لو أدى بنا إلى حمل السلاح.

إقامة دولة فلسطينية

□ ألهذا السبب نجدك قريباً جداً من القيادات الفلسطينية؟!

ـ بل لإيماني المطلق بأن فلسطين هي المفصل الذي من الممكن أن يجتمع عليه العرب لتحقيق طموحاتهم، ولهذا فقد طالبت بضرورة إقامة دولة فلسطينية في الأراضي الفلسطينية غير المحتلة لينطلق منها الفلسطينيون لتحرير باقي الأراضي. نعم، لقد تشرفت بالارتباط مع العديدين من المناضلين الفلسطينيين في معظم الفصائل الفلسطينية!

مواجهة مع عبد الناصر

□ أرجو أن لا يكون سؤالي الخاص بتقديم التنازلات قد أزعجك؟

ـ لقد أزعجني، ولكنني سعيد بأنك طرحته، لأن البعض يعتقد أن الواحد منا إذا كان ناجحاً في عمله لدى أصحاب القرار، فإنه يكون بذلك قد قدّم تنازلات، ولكنني عندما كنت نقيباً للصحافيين المصريين سنة ١٩٧٥، كتبت خطاباً للرئيس

جمال عبد الناصر، أُبدي فيه اعتراضي على نظام الرقابة على الصحف، كما كتبتُ له خطاباً آخر أطالب فيه بالعدالة والمساواة في التعامل ما بين الجرائد اليومية، وألا يكون هناك تفاضل ما بين جريدة وأخرى. . فكيف يُقال عن أحمد بهاء الدين أنه يكتب ما يُرضي الجميع على حساب الحقائق؟! أو أنه يقدم تنازلات؟!

وقد شرحت لك منذ قليل مواجهتي مع السادات، فأين هي التنازلات التي قدمتها؟ وأُحب أن أؤكد مرة أخرى أنني كتبت علانية وأرسلت خطابات خاصة في عهد عبد الناصر، أُطالب فيها بإعادة التنظيمات السياسية في مصر، وتوسيع القاعدة الديموقراطية على أسس سليمة، وكذلك طالبت بالمزيد من الضمانات للحريات، وبرفع الرقابة نهائياً عن الصحف. كل هذا حدث في عصر قيادة عبد الناصر؟

طعنة في الظهر

□ وماذا كان رد فعل عبد الناصر؟

ــ عدّها طعنة في الظهر سدّدها أحمد بهاء الدين في ليلة مظلمة!! هذا التعبير حرفياً قاله عبد الناصر للدكتور سامي الدروبي الذي كان يشغل منصب سفير سورية في مصر، وقد كان من أعزّ أصدقائي وكذلك كان من أصدقاء عبد الناصر، وهو الذي أخبرني برد فعل عبد الناصر.

□ على ذكر عبد الناصر، هل صحيح أنك توسطت

لديه كي يسمح للشاعر نزار قباني بدخول القاهرة بعد الحظر عليه وعلى أعماله؟

ـ هذه حكاية طويلة.

□ **ليتك تسمعنا طرفاً منها!**

ـ بعد هزيمة ١٩٦٧ كتب نزار قباني قصيدة «هوامش على دفتر النكسة» ونشرتها مجلة «الآداب» البيروتية، ولقيت صدىً واسعاً في الوطن العربي. كذلك اتخذت إجراءات صارمة بمقاطعة نزار قباني ومنع بث أغانيه في الإذاعة. وقد هاجمت أجهزة الإعلام في مصر الشاعر نزار قباني وتزعّم الشاعر صالح جودت حملة شعواء في مقالات تحريضية ضدّ قباني. وفي بيروت التقى الناقد رجاء النقاش بنزار قباني الذي حمَّله رسالة مكتوبة موجهة للرئيس جمال عبد الناصر يشرح له فيها موقفه. وجاءني رجاء بالرسالة فأوصلتها إلى الرئيس عبد الناصر الذي اتخذ قراراً بإلغاء كافة الإجراءات التي اتخذت ضد نزار قباني، وسُمح لقصيدة «هوامش على دفتر النكسة» أن تُنشر في مصر. هذه كل الحكاية.

□ **لا يا سيدي، هذا اختصار خالٍ من التفاصيل التي يود الناس سماعها منك!!**

ـ والله قلتُ الحكاية كما هي.

□ **هذا صحيح، ولكن أليس هناك بعض سطور مما جاء برسالة نزار قباني لجمال عبد الناصر؟**

ــ هذه رسالة طويلة ولكني أستطيع أن أوجز لك بعض عباراتها «بعدما اطّلع على أحد الملفات أخرج الرسالة وبدأ يقرأ:

«سيادة الرئيس جمال عبد الناصر:

في هذه الأيام التي أصبحت فيها أعصابنا رماداً، وطوقتنا الأحزان من كل مكان، يكتب إليك شاعر عربي يتعرض اليوم من قبل السلطات الرسمية في الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لا مثيل له في تاريخ الظلم.. فالقصيدة التي أودعتها خلاصة ألمي وتمزقي، وكشفتُ فيها عن مناطق الوجع في جسد أمتي العربية لاقتناعي أن ما انتهينا إليه لا يُعالج بالتواري والهرب، إنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا.. وإذا كانت صرختي حادة وجارحة بحجم الطعنة ولأن النزيف بمساحة الجرح.

من منّا يا سيادة الرئيس لم يصرخ بعد ٥ حزيران..

من منّا لم يخدش السماء بأظافره..

من منّا لم يكره نفسه وثيابه وظلّه على الأرض..».

في رسالة طويلة، ويختمها بالآتي:

«يا سيدي الرئيس لا أريد أن أصدق أن مثلك يُعاقب النازف على نزيفه، والمجروح على جراحه، ويسمح باضطهاد شاعر عربي أراد أن يكون شريفاً وشجاعاً في مواجهة نفسه وأمته، فدفع ثمن صدقه وشجاعته.

يا سيدي الرئيس لا أصدق أن هذا يحدث في عصرك.

نزار قباني»

فما كان من عبد الناصر بعدما قرأ الرسالة إلاّ أن أمر بتوجيه دعوة رسمية لنزار قباني إلى القاهرة، وتمّ فوراً رفع الحظر عنه.

□ ورد في إحدى مقالاتك أنك قلت: «أن المتنبي كان أعظم الشعراء وأحط الشعراء في آنٍ واحد». ماذا تقصد بهذا؟

ـ المتنبي تعرض لهجومٍ ضمَّ المجلدات، وآخر من هاجموه الدكتور طه حسين. لكن الظروف التي قلتُ أنا فيها كلمتي تلك لا علاقة لها بالمتنبي، إنما ضربتُ به مثلاً على انتهازية بعض المثقفين.

□ أحمد بهاء الدين صحافي أم سياسي؟

ـ لا فرق، لكن السياسيين يريدون من الكاتب أن يعبّر عن أفكارهم التي لا يكون مقتنعاً بها.

□ لم أفهم ماذا تقصد؟

ـ أضرب لك مثلاً: عندما عُرضت فكرة أن يكون مجلس الشعب مكوناً من خمسين بالمئة عمالاً وفلاحين، أبديت اعتراضي على هذا القرار، وحملت ذلك الأعتراض إلى عبد الحكيم عامر، فقال لي إن هذا قرار نهائي ولا رجوع عنه. ومن خلال التنظيم الطليعي تقدمت أنا والدكتور إبراهيم الشربيني وفتحي فودة

بمناقشة الموضوع وشرحنا المبررات الموجبة لعدم جدوى وجود خمسين بالمئة من العمال والفلاحين في مجلس الشعب.. فكانت النتيجة أن تمّ إبعادنا نحن الثلاثة عن كافة الاجتماعات السياسية.

الاشتغال بالصحافة

□ إذاً نعود لأحمد بهاء الدين الصحافي، وكيف كانت بدايته مع الصحافة؟

ـ هذه حكاية طويلة هي الأخرى، بدأت منذ عام ١٩٧٦، في مجلة «فصول» التي كان يرأس تحريرها محمد زكي عبد القادر، يوم توجّهت وأنا في العشرين أحمل مقالة إلى تلك المجلة، وكانت بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة جمال الدين الأفغاني، ونُشرت كاملة، وبعدها وجدت نفسي زميلاً لنعمان عاشور، وفتحي غانم، ويوسف الشاروني، وغيرهم، وما هي إلاّ سنتان حتى ترك لي محمد زكي عبد القادر مسؤولية المجلة وأنا في الثانية والعشرين من عمري.

وفي عام ١٩٥١ كتبت مقالة دون أن أذكر فيها اسمي، وسلّمتها إلى بواب مجلة «روز اليوسف» إلى أن حلّ عام ١٩٥٦، فأُسندت لي رئاسة تحرير مجلة جديدة هي «صباح الخير»، وكان عمري آنذاك ٢٩ عاماً

ثم توليت رئاسة تحرير جريدة «الشعب»، فـ«أخبار اليوم»، و«آخر ساعة»، إضافة إلى المسؤوليات الصحافية والإعلامية التي

أسندت إليّ في المؤسسات الكبرى كـ«دار الهلال»، «والأهرام» «وأخبار اليوم».. ثم هاأنذا في مجلة «العربي». أما الخوض في تفاصيل الأحداث والمعارك التي واجهتها في تلك المناصب، فشرحه يطول، لكن التاريخ المصري المعاصر سيذكرني كأصغر رؤساء التحرير سناً.

□ **هل من الممكن أن نحكي قليلاً عن حياتك الخاصة؟!**

ــ أنا يمتزج عندي الخاص بالعام، وأظنني قلت لك من المعلومات عني بما فيه الكفاية.

□□□

الشيخ أحمد حسن الباقوري

قمت بتلبية دعوة عشاء عائلية أقامتها المطربة فايزة أحمد وزوجها محمد سلطان. كان من بين الحضور السيدة عزة الباقوري، وزوجها الدكتور إسماعيل صبري اللذان كانا يقطنان بنفس العمارة المطلة على النيل في الزمالك. وبعدما تأكد لي أن السيدة عزة هي كريمة الشيخ أحمد حسن الباقوري صاحب التاريخ الحافل مع الثورة المصرية، وموضع ثقة جمال عبد الناصر، كما أنه كان يُعتبر واحداً من المقربين إلى مرشد الأخوان المسلمين حسن البنّا، ثم أصبح وزيراً للأوقاف، إضافةً إلى أنه تولى منصب مدير جامعة الأزهر، فضلاً عما له من مؤلفات ودواوين شعرية، كل هذا وغيره دفع بي إلى أن ألتمس من كريمته أن ترتب لي لقاءً معه.

وما هي إلا فترة وجيزة حتى تلقيت دعوة عائلية في منزل الشيخ أحمد حسن الباقوري، الكائن في ٥ شارع «نكروما» بمصر الجديدة.

ومنذ اللحظات الأولى لذلك اللقاء ساد جوّ من المرح الذي اشتهر به المصريون، والسبب أن عزة التي ارتبطت بصلة صداقة مع زوجتي أحبت أن تضفي جواً مرحاً على الحضور، فقالت لوالدها بصوتٍ عالٍ: بابا إسأل الاستاذ نجم عن اسم مراتو؟!.. وتحاشياً للحرج كنتُ أُقدم زوجتي بأم أمجد!!.. لكن عزة أصرت على أن أذكر اسمها!!.. وأمام انتظار الجميع نطقت بالاسم وهو «خولة».. فظهرت على الوجوه علامات استفهام مرحة نظراً لغرابة الاسم بالنسبة للمصريين، فأمسك الشيخ الباقوري بزمام الحديث حيث استخرج معنى الاسم من بطون أمهات الكتب وأشار إلى عدد من الشهيرات بهذا الاسم: كخولة بنت الأزور، وخولة بنت الإمام الحسين، وخولة حبيبة طرفة بن العبد.. ثم قام بتفسير أحد معاني اسم خولة، وأشار إلى الأسباب التي جعلت من هذا الاسم يغدو غير محبب في مصر. وما قاله باختصار: إن اسم ولقب خولة يُطلق عند العرب على المرأة الطرية والأنثى الناعمة الندية المغناج، وهو اسم ولقب يليق بالنساء، ولكن إذا كانت سلوكيات وطباع أحد الشبان من الذكور تميل إلى النعومة، فإنهم في هذه الحالة يجعلون من اسم خولة «مذكراً» فيطلقونه على ذلك الشاب. من هنا أصبح اسم خولة غير مرغوب به عند المصريين.

□□□

ولما أبديت رغبتي بالتحاور مع الشيخ الباقوري للإذاعة وجدت منه كل الترحيب، لكنه نصحني قبل البدء بالحوار أن أستمزج

رأي مصلحة الاستعلامات، فقد يكون لهم وجهة نظر أخرى، فتصورت أن الرجل يريد التخلص من إجراء الحوار بطريقة مهذبة؟!.. ولكن عندما استفسرت عن الموضوع تبين لي أن الشيخ أحمد حسن الباقوري قد صدر قرار رئاسي بتجميد كافة نشاطاته في تلك الفترة.

فلجأت إلى إصدار تكليف من إذاعة الكويت للشيخ الباقوري أن يسجل ثلاثين حديثاً دينياً لتُذاع يومياً ضمن برامج شهر رمضان، مما أتاح لي فرصة القيام بزيارته بمعدل ثلاثة إلى أربعة أيام في الأسبوع لإتمام التسجيلات. وفي هذه الأثناء أُتيح لي اللقاء بالعديد من كبار الشخصيات السياسية والدينية والفكرية والإعلامية التي كانت تتوافد يومياً لزيارته، خاصةً وأنه قد تعرض لظروف صحية أثقلت إحدى يديه عن الحركة.

ثم توطدت بيننا علاقة، مما مهد لإجراء هذا الحوار دون عوائق.

□ □ □

□ بوصفك من أعماق الصعيد..

ـــ مقاطعاً ـ لا يا سيدي، إننا، أقصد أفراد أسرتي، قد وفدنا على مصر من المغرب الأقصى بعدما طُرد العرب من الأندلس، ومن ثم استيلاء الاستعمار على تلك البلاد، فجئنا إلى مصر وتنقلنا في عدة قرى، إلى أن استقر بنا المقام في قرية «باقور». فجدنا الشيخ عبد القادر بدوي شديد الاعتزاز بنسبه، وعندما ماتت زوجته أثناء الهجرة إلى مصر حرص على الزواج من مهاجرة مغربية ولدت له

جدي الشيخ أحمد عبد القادر. وهكذا ظللنا مستقرين في باقور، فأصبحت «باقوري»!

□ **بماذا تتميز باقور عن سواها من قرى الصعيد؟**

ـ اجتماعياً واقتصادياً لا تختلف عن بقية القرى. لكن باقور تمتاز بكثافة السكان الأقباط، وشدة تآلفهم مع المسلمين، وكان التعليم في باقور أكثر تطوراً منه في القرى الأخرى خصوصاً بتعليم اللغات الإنكليزية والتركية، مما دفع بأعيان القرية لإيجاد صيغة توازن في تعليم المواد الإسلامية، فشجعوا على اتساع رقعة الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم التي ألحقني والدي بأحدها، ولستُ أنسى قسوة الشيخ الذي كان ينهال على قدمي بالعصا!!.. وعندما آتي إلى أهلي متورم الأقدام يكون الجواب: إن عصا سيدنا من الجنة، فعلى قدر ما تصبر عليها تكون منزلتك في الجنة يوم القيامة.

□ **هل كانت لديك خيارات لتحديد مصيرك العلمي وأنت في القرية؟**

ـ كانت أعز أمنياتي هي أن ألتحق بمدرسة البوليس، والسبب هو أن أحد أقرباء والدتي كان يأتي لزيارتنا بالزي الرسمي، فكان موضع إعجاب جميع أهل القرية، لكن والدي أصرَّ على أن ألتحق بالمعهد الديني في أسيوط، التي كانت تبعد عن قريتنا عشرة أميال، والبركة في الحمار الذي كان وسيلتي بالذهاب والإياب.

□ متى انتقلت من الصعيد إلى القاهرة؟

ـ كانت مدة الدراسة في معهد أسيوط الديني أربع سنوات، بعد أربع للقسم الابتدائي، وخمس للقسم الثانوي، حصلت بعدها على الشهادة الأهلية ـ أي ما يعادل الثانوية ـ وفي هذه الأثناء توفي الشيخ أمين الرافعي فأقيم له إحتفال تأبين ساهمت فيه بقصيدة طويلة أذكر منها:

عزيزٌ على من كان بالأمس مادحاً

أميناً ـ معافىً ـ أن يرى اليوم راثيا

يغالب آلاماً يرى عند ذكرها

بكاء الدِما إثر الدموع تباكيا

رويدك يا دهر آنئذ لست منصفاً

إذا أنت حاولت المصائب ثانيا

نعيتُ أميناً وأهوال أمةِ

فأمسكتَ صوتاً كان في الحق عاليا

وبعد ذلك التحقت بالقسم العالي بالأزهر، ولما كان ترتيب طلاب الأزهر مقسماً إلى أروقة مثل رواق المغاربة، ورواق الشوام، ورواق الصعايدة، فمن الطبيعي أن أنضم إلى رواق الصعايدة حتى يكون لي الحق بالحصول على أربعة أرغفة في صباح كل يوم. ولست أنسى اليوم الأول الذي دخلت فيه إلى

رواق الصعايدة لأتعرف إلى سائر إخواني، وقد رأيتهم يتحدثون عن تأثيرات ثورة ١٩١٩، ويذكرون القمُّص سرجيوس والشيخ محمد عبد اللطيف دراز، وأذكر مما قالوه أن الشيخ الزنكلوني كان إذا حضر أثناء الثورة ويكون معه سرجيوس يتلقاهما الطلاب الأزهريون بنشيدٍ يقولون فيه: «**الشيخ والقسيس قسيسان، وإن تشأ فقُل هما شيخان**». .

□ كأنك دخلت في المعترك السياسي مبكراً في القاهرة؟

ــ كان لا بد من ذلك، فمشيخة الأزهر كانت تعج بالأحداث السياسية، وكان لها موقف من الصراعات الدائرة في ذلك الحين، لدرجة أن الملك فؤاد طلب الشيخ المراغي ليقول له: «اسمع يا شيخ مراغي. . إنكم تقولون للطلاب أن الله واحد أحد لا شريك له، وتقولون لو كان مع الله إله آخر لفسد الكون واختل نظامه، وأنت بهذه الاقتراحات تريد أن تكون أنت ملكاً آخر مع ملك مصر، وأنا لا أرضى ذلك، وأنت لا ترضى إلا به فأحدنا هو الملك».

فما كان من شيخ الأزهر أمام منطق الملك إلا أن قال:

«يبدو يا صاحب الجلالة أن رجال القصر هم من أوحوا إليك بهذا الكلام، وإلا فإن المسؤول أمام الله وأمام الناس لا يسعه أن يقول هذا الكلام، لأن من وراءه جماعة لا يعنيهم الإصلاح، ولا يريدون خيراً للملك ولا للأزهر، فكنْ ملكاً كما تشاء وتخيَّر من

البطانات من يقبل منك هذا الكلام، ولستُ أنا ذلك الرجل، ولم أكنه في ما مضى، ولن أكونه في ما يأتي من الزمان، وأرجو أن يوفقك الله إلى ما فيه خير البلاد والعباد».

ثم قدَّم الشيخ المراغي استقالته، فحدث بعد ذلك إضراب تام شلَّ حركة الأزهر في كل الأقاليم، فاجتمع على أثر ذلك مجلس الأزهر وأصدر قرارات نشرتها صحف شهر آذار/ مارس عام ١٩٣٤ وفي مقدمتها قائمة تحمل أسماء الطلاب المفصولين، وفي مقدمتهم أحمد حسن الباقوري.

□ **فماذا فعلت؟**

ـ لما عاد الشيخ المراغي لمشيخة الأزهر ثانيةً، بدأ أول ما بدأه بإعادة المفصولين. ثم بدأت مرحلة جديدة من العمل الشاق في مواجهة حركة الإصلاح في الأزهر تخللها شدٌّ وجذبٌ وسجالات كان لي فيها النصيب الأوفر من الصدامات التي لم تكن تخلو من مواجهات مع الآخرين، مما أكسبني صيتاً بين أقراني.

□ **هل مهَّد ذلك الصيت طريقك إلى أن تكون واحداً من المقربين إلى حسن البنّا مرشد الإخوان المسلمين؟**

ـ عام ١٩٣٣ التقيته ـ رحمه الله ـ بمناسبة الاحتفال بذكرى الإسراء، حينما ألقى حديثاً علمياً بعيداً عما اعتاده الناس، فشدني بقدرته وبلاغته، وصادف أن ألقيت أبياتاً من الشعر في تلك المناسبة أذكر منها:

صوتٌ طربنا له قد بات يُشجينا

ما نرى شخصاً ذا صوتٍ يغنينا

أَرهف خليليَّ سمعاً طالما نعبت

فيه الهمومِ وخلِّي الصوت يشجينا

إن الأغاني ما هزت لمكرمة

لا أعلم العقل يأباها ولا الدنيا

فوجدت من المرشد إقبالاً بالحديث معي والحفاوة بي، ومضى يحدثني في صوت خفيض بآماله الكبار في إصلاح المجتمع الإسلامي في ظل دعوة الإخوان المسلمين. وقد لاحظت في حديثه معاني تحتاج إلى مزيدٍ من إيضاح، فكنت أطرح ما يجول في خاطري، وكان يجيبني بكل رحابة صدر. وتعددت بيننا اللقاءات إلى أن أصبحت واحداً من الملازمين له في رحلاته الإرشادية، فصحبته إلى أسوان وبورسعيد، وسافرت معه في بعض رحلاته خارج القطر المصري. وأذكر في بعض زياراتنا كانت تُلقى الأناشيد للترحيب بنا، فطلب مني أن أنظم أبياتاً من الشعر تصلح أن تكون النشيد الرسمي لحركة الإخوان المسلمين، فكانت هذه الأبيات:

آن للدنيا بنا أن تطهرَ نحن أُسْدَ الله لا أُسْدَ الشرى

قد قطعنا العهد أن لا نُقبرا أو نرى القرآن دستور الورى

كل شيءٍ ما سوى الدين هباء

غيرنا يرتاح للعيش الذليل وسوانا يرهب الموت النبيل
إن حيينا فعلى مجد أثيل أو مُنينا فإلى ظلٍّ ظليل

حسبنا أنّا سنفنى شهداء

وأضفتُ إلى هذا النشيد هذه الكلمات نثراً:

«الله غايتنا.. والقرآن دستورنا.. والرسول زعيمنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا»..

وصار ذلك الشعر والنثر شعاراً رسمياً لحركة جماعة الإخوان المسلمين بعدما لقي استحساناً من المرشد.

□ **هل يتسع المجال للحديث ولو قليلاً عن الشيخ حسن البنّا؟**

ـ الحديث القليل أو الكثير عن حسن البنّا لا يفيه حقه. فهذا الرجل تعرض في حياته إلى أعتى صنوف القهر والإرهاب حتى انتهت به الحال إلى الشهادة.

□ **ما هي ملابسات اغتياله؟**

ـ قصة طويلة، تبدأ منذ أن تدخلت الدولة للحؤول دون دخوله قبة البرلمان نائباً، مما دفع بعض أعضاء حركة الإخوان إلى الانتقام ممن فعل ذلك. وانتهى بمصرع الخازندار الذي أصدر أحكاماً جائرة إلى أن وصلت الحال لاغتيال رئيس الوزارة النقراشي، فكل هذه التفاصيل المعقدة هي التي أدت إلى اغتيال الشهيد رحمه الله وقد كُتب الكثير حول هذه القضية.

□ **كأنك لا تريد الخوض في هذا الموضوع؟**

ــ يثير بداخلي مشاعر جمة من الحزن والألم.

□ **ولكن حقبة عملك مع المرشد ومع جماعة الإخوان المسلمين كانت حافلة بالأحداث؟**

ــ وحافلة كذلك بالسجون والمعتقلات وبالعداوات والأحقاد. دعنا نطوي هذه المرحلة.

□ **سؤال واحد فقط: هل صحيح أنك اعتُقِلت مع أنور السادات؟**

ــ نعم، في معتقل الأجانب في ماقوسة. كنتُ أشارك مجموعة من المعتقلين فيهم أنور السادات، والطيار حسن عزت، وموسى صبري، ونجيب الراهن، وغيرهم.

□ **بما أنك كنت في تنظيم الإخوان المسلمين قبل قيام ثورة يوليو، فما صحة الأخبار التي يرددها البعض عن انضمام جمال عبد الناصر لحركة الإخوان؟**

ــ هذا صحيح، والأخ عبد المنعم عبد الرؤوف زميل عبد الناصر في الجيش قال لي إن عبد الناصر بدأ صلته بالحركة قبل ثورة يوليو بسنوات طويلة، وكان على اتصال بالتنظيم الخاص الذي يرأسه عبد الرحمن السندي، ووقف على الطريقة والأسلوب الذي كان ينتهجه ذلك التنظيم، ولكنه رفض العمل معهم بأسلوبهم. أخذ هو وجماعته طريقاً للتعاون مع الإخوان في بعض القضايا والمواقف التي يمكن التعاون فيها.

عبد الناصر قبل ثورة يوليو كان نشطاً في التعرف إلى أحوال الأحزاب والحركات الوطنية في مصر. وثبت أنه كان على اتصال بـ«حزب الوفد» و«مصر الفتاة» وجماعة الأحزاب اليسارية. وقال لي حسن العشماوي أن عبد الناصر اختار لنفسه اسماً مستعاراً وهو زغلول عبد القادر يستخدمه في اتصالاته شبه السرية مع قيادات الأحزاب التي كان يتعامل معها.

□ الشيخ أحمد حسن الباقوري كان صاحب العمامة الوحيد بين العسكر الذين أطاحوا النظام في مصر. كيف تسنى له ذلك؟

ــ شوف يا سيدي، كنتُ في صبيحة يوم الأربعاء السابع من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٥٢ في طريقي إلى الإذاعة لأسجل حديثاً دينياً، لكن شرطي الحراسة أصرَّ على عدم دخولي، وكان صعباً عليَّ العودة إلى حلوان حيث أُقيم فذهبت إلى منزل صديقي الشيخ يوسف عمر المدرس في الأزهر، الذي اعتدت الذهاب إليه حينما أكون في القاهرة. وبينما نحن جلوس وإذا بطرق على الباب وكان الطارق الأستاذ موسى صبري، جاء ليخبرني أن الرئيس محمد نجيب يريد التحدث إليَّ برقمه الخاص الذي لدى مصطفى أمين. وفي دار «أخبار اليوم» أخبرني مصطفى أمين بنبأ اختياري عضواً في وزارة اللواء محمد نجيب. وقد سألت الأخوين مصطفى وعلي أمين رأيهما في قبولي الوزارة فقالا: إنها خدمة وطنية، وحثَّاني على القبول بالمنصب لما لي من تاريخ في الإصلاح الاجتماعي، وقال لي مصطفى: «إنك كنت تكتب

سلسلة مقالات في «الأخبار» كانت موضع إعجاب قطاعات كبيرة من القراء». ثم قام الأستاذ مصطفى أمين بطلب اللواء محمد نجيب عبر الهاتف وأخبره أنني موجود الآن في دار «أخبار اليوم» ثم أعطاني السماعة لأتحدث مع اللواء نجيب الذي بادرني بالقول: «أرجو أن نتعاون معاً من أجل مصلحة الوطن».

ثم طلب مني اللقاء في قصر عابدين في تمام الساعة السابعة من مساء نفس اليوم. ذهبت إلى قصر عابدين وكان يصحبني موسى صبري، وفي القصر التقيت بصديقي فتحي رضوان الذي انتحى بي جانباً وحدثَّني عن الظروف التي أدت لاختياري في المنصب الوزاري. ثم حلفنا اليمين أمام مجلس الوصاية، ووجدت أن الواجب يدعوني للقيام بزيارةٍ لمرشد الإخوان المسلمين الأستاذ حسن الهُضيبي، الذي لم يكن راضياً تمام الرضا لقبولي بالمنصب إذ تبين لي في ما بعد أنه رشح ثلاثة أسماء من الإخوان لم أكن من بينهم فلم يلقوا قبولاً من مجلس قيادة الثورة.

□ لا شك في أنك توصلت إلى معرفة الظروف التي أدت إلى اختيارك؟

ــ قال لي المحامي محمد المسماري الذي يعمل مع حسن العشماوي إنه شهد حديثاً بين جمال عبد الناصر والعشماوي، وسمع جمال يقول:

«الإخوان شوية مشايخ ليس فيهم من يصلح للوزارة». . فأجابه العشماوي: «أنا أعرف في تنظيم الإخوان شيخاً اسمه أحمد

حسن الباقوري أظنه يصلح للوزارة بجدارة». . فسأله عبد الناصر: «بماذا يتميز الباقوري عن سواه من الشيوخ؟».

فشرح له العشماوي المبررات التي جعلته يرشحه، فكتب عبد الناصر في مفكرته اسم أحمد حسن الباقوري.

□ هل كانت مهمتك مع رجال ثورة يوليو هي إضفاء الجانب الشرعي على الأحكام التي تصدر في قراراتهم؟

ـ المهمات التي كانت تُناط بي تجاوزت هذا المفهوم كثيراً، فضباط يوليو كانوا يستعينون بالخبرات والكفاءات القانونية والشرعية والعلمية والاقتصادية والتكنوقراط، وأنا كنت واحداً من هؤلاء، لكن أكثر المهام التي كنت أقوم بها في سنواتي الأولى في الوزارة هي تلك الأسفار المتلاحقة لكافة أرجاء المعمورة، والتي كنت أمثل فيها القيادة المصرية في حضور الاحتفالات والمناسبات، والمشاركة في المؤتمرات، ففي خلال ثلاث أو أربع سنوات غطت رحلاتي كل القارات، وأذكر أن عبد الناصر زارني في بيتي يومياً بعد قدومي مرهقاً من إحدى السفرات فقال لي: «إنك في أسفارك الكثيرة في أنحاء العالم المختلفة أنفع لنا ولك من بقائك وزيراً للأوقاف في مصر لتشغلك أمور يستطيع أي مواطن أن يقوم بها، في حين أن أسفارك داعياً لمصر ولثورتها أمر لا يستطيعه كل المواطنين، وأنا أرى أن تقدم اقتراحاً بتغيير اسم وزارة الأوقاف إلى وزارة الشؤون الدينية».

□ وهل حصل ذلك فعلاً؟

ــ لم يحصل، لأنني خشيت أن تغيير المسمى من الأوقاف إلى الشؤون الدينية يكون فرصة لمن يطمعون في إدارة أراضي الأوقاف الزراعية، لذا آثرت أن أُبقي على وزارة الأوقاف لأنفذ المشروعات الإصلاحية.

□ باعتبارك مدنياً في حكومة عسكرية، أما كنت تجد بعض الصعوبات في عملك؟

ــ أروي لك حادثتين كنماذج لبعض الصعوبات: ذات ليلة وبعد منتصف الليل في شتاء قارص جاءني الحارس مرعوباً ليخبرني أن هناك ضابطاً كبيراً جاء في سيارة السجن الحربي وفيها جنود يرتدون زي البوليس الحربي، ثم أمره أن يخبرني بمقدَمهم وأنهم يطلبون مقابلتي لأمرٍ في غاية الأهمية. قمت من فراشي وهبطت السلّم ووساوس السوء تملأ صدري، وخوف المجهول يسيطر على أفراد عائلتي، وفي الصالون وجدت عسكرياً من رجال الثورة وقد اتخذ لنفسه مكاناً، ثم خاطبني بلهجة آمرة حيث قال: «إن وزارة الأوقاف توجد فيها وظيفة وكيل وزارة غير مشغولة، وأنا هنا الآن مع قريبي هذا لكي أطلب منك أن تصدر قراراً بتعيينه في تلك الوظيفة؟» وأضاف: «أنا آسف أنني جئتك في وقت غير مناسب، ولكنكم علمتونا أن الضرورة لها أحكام».

أما النموذج الثاني، ففي بولاق في القاهرة يوجد مسجد السلطان أبو العلا، وكان هذا المسجد يُسمى مسجد الخطيري. مع مرور الزمن ونتيجة لعدم العناية بالمسجد تحول إلى ما يشبه الخرابة

يأوي إليه المتسولون والمتشردون، فجاءني ذات يوم أحد الضباط ممن ينتسبون إلى الثورة ودار بيننا حديث طويل، كان يطلب مني فيه أن يستأجر المسجد ـ الخرابة ـ كأرضٍ لكي يقيم عليها محطة لبيع البنزين وأنه مستعد لدفع المبلغ الذي تطلبه وزارة الأوقاف! ولما أخبرته باستحالة تأجير مسجد خرج من مكتبي بالتهديد والوعيد. لقد أخبرت عبد الناصر بالحادثتين وبغيرهما، لكن الرجل على ما يبدو كان يسعى إلى ألا تُلصق برجال الثورة تهم أو فضائح بسبب التجاوزات التي تصدر من زملائه العسكر، كان يكتفي بمعاتبتهم شفاهة، وكنت أدرك شدة معاناته أمام الكثير من هذه التجاوزات وغيرها.

□ أفهم مما تفضلت به أن الأجواء لم تكن صحية مع رجال ثورة يوليو؟

ـ عدم صحة الأجواء كان مهيمناً بسبب القلق وانعدام وضوح الرؤية، فضلاً عن القسوة في تطبيق قوانين الإصلاح الزراعي، وحلّ الأحزاب، وتعطيل الدستور، واختلاف الكلمة بين الثائرين أنفسهم، حتى كان أحد الضباط يقول في نقده لزملائه: لقد خلعت الثورة ملكاً واحداً لكي تضع مكانه ثلاثة عشر ملكاً. وكان محمد نجيب موضع تَندر بعض ضباط الثورة، وقد أدرك عبد الناصر بحسه الثاقب أن الأمر أصبح من الخطورة حيث يحتاج إلى التدارك قبل فوات الأوان، لذلك قرر أن يلتقي بالجماهير في مختلف المدن والقرى، فمضى ومضينا معه نطوف طول البلاد وعرضها، نتحدث إلى الناس. وقد تألفت لهذا

الخصوص هيئة باسم «ركب التحرير»، تتكون من أحمد حسن الباقوري، وأحمد عبده الشرباصي، وابراهيم الطحاوي. ولعل عبد الناصر الذي اقترح ذلك قد تعب من مواجهة الجماهير التي لم تكن على قناعة بالمنجزات التي وعدتهم بها الثورة.

□ هل كانت بين ضباط الثورة شللية؟. وهل كانت لعبد الناصر شلّة؟

ــ أشهد أن عبد الناصر بدأ حياته السياسية زعيماً متزن الرأي عميق الفكر، محبوباً من الجماهير. لكن العد التنازلي في كل ذلك بدأ بسبب البطانة أو «الشلة» التي كانت تحيط به. لقد كانت من أسوأ البطانات، كانوا يحرصون على استغلال قربهم منه، وهم من أسسوا وبشكل مسرف وسائل التجسس فازداد سوء الظن بين رفقاء الأمس واستحالوا إلى خصوم.

□ هل أصابك شيء من طشاشهم؟

ــ أصابني الكثير، لأن عبد الناصر كان يستشيرني في بعض القضايا التي لم تكن تلقى هوىً عندهم.

□ مثل ماذا؟

ــ قال لي يوماً: إن سيد قطب جدير بأن يتولى سكرتارية هيئة التحرير، فأجبته بأن الأستاذ سيد كفء لذلك لأنه يملك حساً أدبياً ولديه ثقافة واسعة وأسلوب أدبي. وبعد أيام أطلعني على تقرير ساهم في وضعه أكثر من مفكر وأديب فحواه: «إن سيد قطب سوف يستغل منصبه في هيئة التحرير ليجعلها شعبة من

شُعب الإخوان المسلمين، وسيتم كل ذلك بمباركةٍ من المرشد حسن الهضيبي»؟! هذه واحدة.

والثانية، طلب مني عبد الناصر أن يلتقي بالأديب عباس محمود العقاد وتم الاتفاق على أن يكون اللقاء في حفل عشاء أقيمه في منزلي، وطرحت الموضوع على العقاد أمام عدد من مريديه في ندوة الجمعة التي يقيمها في منزله، فأجابني بقبول الدعوة، ولكنه اشترط أن يكون حضوره إلى منزلي بعد أن يتكامل المدعوون. وقال إن ما حملني على هذا الشرط علمي أن جمال عبد الناصر شديد الكبرياء وقد يصافحني بغير اكتراث، وأخشى إذا حدث ذلك أن يتملكني الغضب وأترك المكان.. فوافقته على رأيه مطمئناً إياه إلى أن ما يجول بخاطره لن يحدث. وبينما أنا في غمرة الاستعداد لإقامة ذلك الحفل وإذا بعبد الناصر يطلعني على ما قاله العقاد من شرط مكتوباً في تقرير مفصل. كان يمكن أن يحصل ذلك دون اللجوء لمثل هذه الأساليب، لكنها بطانة السوء التي لا يخلو عبد الناصر من تحمل بعض تبعاتها.

□ **أفهم مما لمّحت إليه أن علاقتك بعبد الناصر قد اضطربت؟**

ـ ليس بشكل فاقع، ولكنها أخذت بعداً اجتماعياً كان له أثر سلبي في علاقتي به.

□ **كيف؟**

ـ جرت العادة أن عبد الناصر يكون شاهداً على زواج أيٍّ من أبناء

أو بنات الوزراء، ولكنه تعمد عدم حضور حفل زفاف ابنتي الكبرى ليلى، فمكثت في منزلي وأقللت من نشاطي. وبعد فترة كلمني محمد أحمد مدير مكتب جمال عبد الناصر وأخبرني أن الرئيس يرغب في أن يراني في منزله في الساعة الثامنة مساء اليوم. وفي الموعد المحدد كنت أجلس في مكتبه، ولما حضر، وبعد السلام والمصافحة، ساد بيننا صمت كسره عبد الناصر بالقول: «مبروك زواج ليلى». . فأجبته: «لكن هذه البركة كانت ناقصة لعدم حضورك. . بعدما كان الحرس الجمهوري قد انتشر في حديقة المنزل والجميع كان في انتظار حضورك، ولكن للأسف طال الانتظار وانصرف الناس وسط الكثير من علامات الاستفهام والتساؤلات. . فقال بلهجة صادقة: «أنا فعلاً كنت مُصراً على الحضور لولا ما بلغني عنك من أنك حضرت مجالس تناولوني فيها بالسب وكذلك نالوا من الثورة وأنت علم من أعلامها، ولا يخفى عليك أن الناس إذا رأوا مسؤولاً ينال من الثورة فإن ذلك يسبب ارتباكاً للرأي العام، وقد رُفعت لي تقارير كثيرة حول هذا الموضوع. . وأن حركة الإخوان المسلمين العالمية قد خصصت حملات مكثفة للنيل مني ومن الثورة في العالم العربي والإسلامي». بعدما قال لي عبد الناصر ذلك رجوته أن يأذن لي بورقة أكتب فيها استقالتي، فلم يجبني. . ثم وقف إيذاناً بانتهاء المقابلة فقلت له وقد وقفت في مواجهته: «إنني أعتقد أن لي عليك حقاً، فرجائي أن تبحث عن كل ما تريد البحث عنه، فإن وجدته صادقاً فأرجوك باسم الوطنية أن تحاكمني علانيةً لأدافع عن نفسي، وإن لم تجد فرجائي إليك

باسم الوطنية أيضاً أن تكون الحقيقة أكبر همك، فأنا وأنت زائلون وحرام أن ندمر مصر ونزعزع الثقة في أقدار رجالها». فأجابني بما يشبه المزاح: «أنا عندي رجاء وهو ألا تُحرج الحكومة وتخرج إلى الجمعيات لتُلقي فيها الخطب حتى لا ينتهز البعض الفرصة ليجعلوا منك واحداً من الخارجين عن الثورة». فوعدته بأن ألزم داري.

□ ماذا حدث بعد ذلك؟

ـ بعد فترة على هذا اللقاء أُعلنتْ إستقالتي، فأصبح بيتي مزاراً لأعداد لا يدركهم الحصر من الأصدقاء والزملاء وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين. وظللت ملتزماً بوعدي لعبد الناصر ولم أخرج من بيتي إلا بمناسبتين اجتماعيتين. وبعد فترة حمل لي الهاتف صوت محمد أحمد مدير مكتب عبد الناصر ليخبرني بأن عقد قران هدى بنت عبد الناصر بعد ثلاثة أيام، فقلت له: «هدى ابنتي ولا بد من حضور هذه المناسبة». وما هي إلا ساعات على هذه المكالمة وإذا بسيارة الرئاسة تحمل لنا الدعوات، وفي منشية البكري كان عبد الناصر وزوجته يتلقيان التهاني، فلما أبصرني مقبلاً مع زوجتي قال: «أهلاً عم الشيخ أحمد». مددت يدي أصافحه لكنه عانقني عناقاً شعرت معه بأن إنسانية الإنسان تعلو فوق كل الاعتبارات.

وكان عبد الناصر يعرف مدى حرصي على تطوير الدراسة في الأزهر، وما هي إلا أيام حتى صدر قرار يقضي بتعييني مديراً لجامعة الأزهر.

أدونيس

كان ديوان «مهيار الدمشقي» أول أثر أدبي أتعرف من خلاله إلى أدونيس الذي كانت الصحف والمجلات تحمل أخباره ومعاركه منذ مطالع الستينيات، إذ كانت المعركة في أوجها بين أنصار الحداثة ومناوئيهم، وكانت المطبوعات لا تخلو من المعارك التي تدور حول مجلة «شعر» وأنصارها، وفي مقدمتهم أدونيس، الذي كان ما إن يخرج من معركة واذا بمعركة أخرى أشد ضراوة تنتظره، فالحملة التي شُنت عليه بعدما أنهى رسالته للدكتوراه والتي كان موضوعها مثيراً للجدل «الثابت والمتحول»، وكان أدونيس يتصدى لخصومه بكل ثبات ورباطة جأش.

وبحكم متابعتنا ـ نحن أبناء ذلك الجيل ـ للحياة الثقافية والفكرية في عالمنا العربي، كان أدونيس يحتل موقعاً بارزاً من الاهتمام.

وقد التقيته للمرة الأولى عام ١٩٧٣عندما حضر إلى الكويت للمشاركة في ندوة «أزمة التطور الحضاري»، وقدّم ورقةً أخذت حيزاً من المناقشة والجدل الذي ارتفعت شدته إلى صراخ كاد أن

يؤدي الى عراك بين المتحاورين من ذوي الاتجاهات المناوئة لأفكار أدونيس، الذي ربط بين الصراع الذي تعانيه الأمّة العربية منذ قرون، وبين فكر كل من أبي حامد الغزالي وابن رشد، واعتبر ذلك الصراع مقياساً ينعكس على واقعنا المعاش. وبالتالي فإن أدونيس يقف وبكل ضراوة إلى جانب فكر ابن رشد، بعدما قدّم إدانة لأطروحات أبي حامد الغزالي، واعتبرها مصدراً من مصادر التخلف.

كنت في تلك الحقبة أعمل في إذاعة الكويت، وتيسّر لي أن أتوجه إليه بعدد من الأسئلة ـ لحس الحظ ظللت محتفظاً بأصولها لنفاستها ـ قلت لأدونيس:

□ **حدثنا عن تجربتك الشعرية المتميزة!**

ــ أنا أسوأ من يتحدث عن تجربته، لأنني لا أستطيع أن أوضح الصورة الشعرية، أو أرسم الصورة الشعرية في تجربتي، وأعتقد أنه لكي أخوض بهذا الصدد فلا بد لي من الانفصال عن شعري، وأن أجعل مسافة وبعداً بيني وبين قصيدتي، حتى يتسنى لي رؤيتها موضوعياً، ثم أتمكن من رؤيتها نقدياً، وبالتالي من الممكن أن أحللها بروح الناقد، إنما أستطيع أن أحيلك إلى عدد من الدراسات، وهي كثيرة، كشفت عن طبيعة الصورة الشعرية عندي، وتحديداً الدراسة التي كتبها كمال أبو ديب. وسأصدقك القول عندما أعترف بأنني شخصياً كثيراً ما تعلمت من هذه الدراسات التي تناولت شعري، لذلك أرجو أن تقبل معذرتي لعدم تمكني من إجابتك عن السؤال.

• حيثما يكون أدونيس تجده محاطاً بنوعية معيّنة من المعجبين، جلّهم من جيل الشباب، إذ التقيته في أماكن متعددة وبلدان مختلفة، فوجدت نفس النوعية من الشبان والشابات، تحيط به من كل جانب وتنظر إليه بعيون الزهو والإعجاب. وكأنه العرّاب الذي يمنحهم بركاته عندما يتحدث إلى الواحد منهم أو يبدي له رأياً في بعض إنجازاته.

يتردد أدونيس على لندن وفي إحدى زياراته ألقى أمسية شعرية في كلية الدراسات الشرقية «soas» كان نزار قباني من بين من حضروا تلك الأمسية، وما أن دخل أدونيس إلى الصالة حتى بادره نزار قائلاً: **«إن الصعب جداً يا أدونيس على واحد مثلي أن يخرج من بيته ليستمع إلى ندوة شعرية! أللهم إلا في حالة استثنائية واحدة، وهي عندما تكون أنت صاحب هذه الأمسية»!**

ظهرت أمارات الخجل على وجه أدونيس من كلمات نزار، وبعد الانتهاء من إلقاء أدونيس لقصائده، انتهزت فرصة وجودي إلى جانبه فتوجهت إليه بسؤال عما اذا كان يرى نفسه في خندق شعري واحد مع الشاعر نزار قباني؟!

قال:

ــ ليس في عالم الشعر خنادق، وإنما هناك قصائد، ومن الممكن أن تنطبق ملاحظتك هذه على بعض القصائد التي كتبتها في مرحلة متقدمة من إنتاجي الشعري.

ووجدتها فرصة سانحة لأسأله عما إذا كان ينوي نشر ما لم ينشره من إنتاجه الشعري الأول؟!

قال:

ــ شعري القديم لا يحمل قيمة فنية، إنما قيمته في التوثيق والتأريخ، فـ«قصائد أولى» هي تجربتي الأولى في النشر والانتشار، ولكن قصائد أخرى ـ أيضاً ـ أخذت مكانتها لتنشر في الصحف والمجلات في أواخر الأربعينيات، أذكر منها قصيدة «دليلة»، وقصيدة أخرى عنوانها «قارب الأرض».. هذه هي المقدمة التي قادتني إلى طريق صعب الانتهاء، أعني طريق الشعر، وهو طريق مخالف لكل الطرق، إذ كلما توغلت فيه انتابك الإحساس بأنك لم تصنع شيئاً! ولا أستطيع نشر إنتاجي الأول الذي كتبته في الريف، فأنا كما هو معروف ابن قرية عشت فيها حياتي في فقر مدقع، وكانت مدرستي الأولى هي «الكُتّاب» ومعلّمي الأول كان والدي، أما القرآن فقد كان القاعدة التي انطلقت منها لاستنشاق ذلك العبق الروحي والثراء اللغوي. وفي تلك السن وتلك الأجواء قرأت أيضاً الشعر الصوفي، فكانت نشأتي مفعمة بالأجواء الروحية والشعرية منذ نعومة أظفاري، ولكن لكي أُنقب عن تجاربي الشعرية في تلك الحقبة، فهذا ما لا أفكر فيه.

• عام «١٩٧٥» توجهت الى بيروت للقيام بعمل مونتاج «توليف» لفيلم كنت قد كتبت قصته وأخرجته، يحمل عنوان «لأ.. نعم»،

أتناول فيه القضية الفلسطينية من منظور ارتباطها بالسلم العالمي، وكان المرحوم الشاعر أحمد العدواني الأمين العام للثقافة والآداب في الكويت قد زودني برسالة شخصية لأدونيس لكي يساهم بكتابة مقدمة لهذا الفيلم. . وقد استقبلني الرجل في بيته استقبالاً طيباً، وبعدما اطلع على الرسالة أبدى استعداداً تاماً للتعاون، وفي الموعد المحدد التقينا ثانيةً وسلمني المقدمة وعنوانها «المجد للإنسان» هذه بعض سطورها:

هو ذا إنسان يحب، يحلم، يبني المستقبل ولكن ها هي قنبلة تفاجئه وتمزقه. تلك هي صورة عالمنا البعيدة، وتلك هي صورة عالمنا القريبة أيضاً.

اقرأوا ما فعله الظلام، والدمار في حروب الإنسان. كم من ملايين أبادتهم هذه الحروب؟! وما أبادته من ثروات الإنسان كان يكفي لأن ينشئ في كل قرية ومدينة على وجه الأرض، مصنعاً، ومدرسة، ومستشفى، ومكتبة عامة. اقرأوا كذلك ما تفعله الحروب المستمرة في كل مكان، الوحش ما زال يلتهم الأرض، ومأساة «هيروشيما» و«ناغازاكي» لم تعظ الإنسان.

ولكن اقرأوا أيضاً ما تفعله إرادة البشر الأحرار، يلتقون رغم تباينهم، ويتّحدون رغم تمايزهم، ويرفعون راية الأخوّة الإنسانية، وتحت هذه الراية يكافحون من أجل سعادة الإنسان. إنهم الضوء الذي يقتلع الظلام وينير العالم. يقولون للشر «لا» ويقولون للخير «نعم»، ويفتحون بوابات الرجاء.

للزهرة والمقصلة، للسلام والحرب، زمن واحد، أرض واحدة، ولكن ليس لهما تاريخ واحد.

وكل ما لا تصنعه الحرية، العدالة، الحب، الفن، جزء من الظلام والعبودية، ومن زمن الغابة والوحش.

لذلك ليس للغابة وليس للوحش تاريخ. التاريخ لإنسان الحرية والسلام والحب، ولهذا الإنسان وحده مجد وبهاء المستقبل».

- وكانت بداية فيلمي «لأ.. نعم» عبارة عن شاشة سوداء ظهرت عليها كلمات أدونيس البيضاء.

- وتيسر لي أن ألتقي بالشاعر والمفكر أدونيس أثناء زياراته المتكررة إلى لندن، إذ كانت تربطه صداقة وطيدة بزميلي المرحوم عوني بشير، فكان يتردد على مجلة «المجلة».

- ومن قبيل المصادفة أن الأخ عثمان العمير الذي كان يدير حفل تأبين المثقف العربي المرحوم نجيب المانع، أوكل إليّ إلقاء الكلمة التي كتبها أدونيس لتلك المناسبة.

وفي كل مرة أجلس فيها الى أدونيس كانت تحدوني رغبة محاورته في قضايا كثيرة تعتلج في خاطري، وأسأله عن شعوره عندما وقف يلقي شعراً أمام رئيس الجمهورية السورية في الخمسينيات وهو لم يزل في شرخ الصبا، وعن الظروف التي أدت إلى انضمامه للحزب القومي الاجتماعي السوري، ثم عدم احتلاله موقعاً حزبياً كبيراً، وعدم استمراره في عضوية ذلك الحزب؟!

وكنت أتمنى أن أحاوره عن تأثير قيام الثورة الإسلامية في إيران في مساراته الفكرية والمنهجية التي انعكست آثارها على بعض كتاباته لفترة زمنية معينة.

وكانت تشغلني كثيراً معرفة رد فعله إثر إيقاف عضويته في اتحاد الأدباء السوري والعربي، بسبب مشاركته في مؤتمر حضره يهود. كل هذا وغيره إضافةً إلى تطلعه للفوز بجائزة نوبل.

لكن الشاعر أدونيس كان كثير الانشغال والارتباطات، مما يعيق الالتقاء به لفترة تسمح بمحاورته وطرح أسئلة عليه، إلا أنني كنت أتحيّن تلك اللقاءات القصيرة و«المشردة» هنا وهناك، فأطرح عليه بعضاً مما أشرت إليه آنفاً من تساؤلات. وأتذكر أنني سألته يوماً عن التصوف وأثره الذي بات واضحاً على قصيدته فقال:

ــ الحالة الصوفية لا تجعل من الشاعر يكتفي بالتعبير عما هو معلوم، وإنما تدفع به الى استشراف المجهول والتعبير عنه، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فإن الحالة الصوفية تجعل من الشاعر يلجأ الى عناصرها كـ «الانخطاف» و«النشوة» و«الحلم» و«التخيّل» وهذه عناصر تجعل من الشعر أكثر قدرة، ومن الشاعر أكثر استشفافاً للعالم والغوص في أسراره.

والتجربة الصوفية قد أثرت في شعري متاخرة، إلا أنها أيقظتني وفتحت أمامي واقعاً وأفقاً جديداً لما أستطيع أن أطلق عليه «الحساسية الشعرية»» في القصيدة العربية، وهي ذات تأثير على اللغة أيضاً، وكل هذا يصبّ في وجدان القارئ للقصيدة، لأنه

يشعر دائماً بأنه أمام عالم جديد الرؤية، وأنه ـ أي القارئ ـ هو نفسه يتجدد مع القصيدة، لأن هذا القارئ عندما يُقدَّم له عالم يعرفه، فإن ذلك العالم لا يؤثر في نفسه ولا يغير في أحاسيسه، إنما يبقيه كما هو، بمعنى آخر: إن القصيدة تقدم له معلومات يعرفها، ربما يستلذ من دغدغتها لمشاعره، لكنها في النهاية لا تفتح له آفاقاً جديدة للتعبير.

الحالة الصوفية في القصيدة الشعرية تجربة استفدت منها شخصياً لما أحدثته من تأثيرات في طبيعة العلاقات بين الكلمة والكلمة وبين الكلمة والأشياء. والاستفاضة في هذا الموضوع تحتاج منا إلى شرح طويل، خصصت له كتاباً كاملاً، فمن الممكن الرجوع إليه.

□ **وفي جلسة أدبية كنت حاضراً فيها، سُئل أدونيس بمن تأثر من الصوفيين الكبار؟! فأجاب باختصار:**

ـ إنهم ثلاثة: ابن عربي، والحلاج، والنفري. فابن عربي قد بهرني باستشرافه النظرة الكونية التي سبق بها عصره، أما الحلاج فذكراه تأسرني على الصعيد الكياني لأنه تحمّل وحده معاناة عالم بأسره، ودفع ثمناً عظيماً وشهادةً أعظم للعالم برمّته. أما النفري فإنه يسحرني بتلك اللغة الشعرية الرائعة».

وما أن انتهى أدونيس من الأجابة وإذا بسؤال آخر يُطرح عليه:

□ **هل الغموض في قصيدتك مصدره تأثرك بالصوفية؟**
فأجاب:

ــ إلى حدٍ ما نعم، لأن الصورة الشعرية تُركّب عندي على أساس من التداخل والتواشج بين المرئي وغير المرئي، وذلك هو أحد الأسس الصوفية. وعندما نفعل ذلك تخرج القصيدة عن الطبيعة التي كانت سائدة في الشعر العربي برؤيتها الأفقية وتخرج كذلك عن لغتها الأفقية أيضاً. وأنت عندما تبتكر المزج بين الرؤية الأفقية والرؤية العمودية، حينذاك لا بد أن تتولد لغة تفصح عن العلاقة بين ما هو عمودي وما هو أفقي، لأن ذاكرة الإنسان التي ألفت قراءة الأفقي ستفاجأ بعناصر جديدة مصدرها الرؤيات العمودية، فيتصور البعض أن ما يقرأه غامض، والحقيقة أنه ليس غموضاً بقدر ما هو غير متآلف عليه».

□ □ □

• لاحظت من السنوات الأخيرة التي لقيت فيها أدونيس أنه أخذ يجنح إلى إشاعة أجواء من المرح بين من يحيطون به بإلقاء بعض النكات والطرائف ثم يقهقه لها بصوت عال واهتزازات جسد، مما يدفع المحيطين به إلى الضحك بحكم عدوى الضحك.

والذي يبدو أن أدونيس بات يظن أن النكات والطرائف التي يشيع فيها أجواء من البهجة والمرح حول من يحيطون به، لأن الرجل على ما يبدو قد سئم تلك الجدية المفرطة والحوارات المسرفة في أكاديميتها، فأخذ ينحو ذلك المنحى الطفولي البريء.

في الشارقة كان الحوار يدور حول المؤتمرات والمهرجانات الثقافية والأدبية، سأل أدونيس أحدُهم:

□ لماذا لم نسمع لك إسهامات في مهرجان الجنادرية السنوي الذي يحضره حشد من كبار الأدباء العرب وغير العرب؟!

ــ هناك من نصحني بألا أحاول الاقتراب من منطقة مهرجان الجنادرية، إذ ثمة الكثير من المعارضين لأفكاري سيغضبون لوجودي في المملكة العربية السعودية إن مكة والمدينة تشكلان لي قيمة عليا، هامة وكبرى.. وأنا أحلم بذلك اليوم الذي أزور فيه هذين الموقعين المقدسين.

ــ ثم إنني شاعر، ونجد هي عاصمتي.. فقصيدتي الأولى تعلمتها من استاذي امرئ القيس، وسفري الأول الذي تعلمت فيه مفردات الشعر كان مصدره النجديين من أصحاب المعلقات، فضلاً عن توقي للالتقاء بآثار ذلك الحشد الضخم من الشعراء والخطباء والفلاسفة، فهذا التراث يشكل هويتي كمسلم، كشاعر، كإنسان، فكيف لا يتيسر لي وأنا في هذا العمر زيارة مسقط رأس تاريخي وحاضري ومستقبلي القصير المتبقي من عمري الجسدي؟!

□□□

في لندن ـ منذ عشر سنوات تقريباً ـ طرحت موضوع رغبة أدونيس في زيارة المملكة العربية السعودية على رجل قريب من مواقع اتخاذ القرار، وممن يحظون باحترام الجميع لما له من مميزات مرموقة في عالم السياسة والأدب وهو المرحوم الشيخ «عبد العزيز التويجري»، الذي أبدى استعداداً طيباً

لبحث هذا الأمر، فوجدتها فرصة مناسبة ما دام أدونيس في لندن في تلك الأيام أن يلتقي الرجلان، لعل ذلك يقرب المسافة في تحقيق ما يصبو إليه.

وبالفعل حصل اللقاء ـ دون الخوض في تفاصيل ترتيبه ـ وكان السؤال الأول من الرجل المحافظ لزعيم الحداثة أدونيس:

□ لماذا أنت شخصية مثيرة للجدل؟! ودائماً هناك من يناصبك العداء بسبب آرائك!

ـ وهل تظن أن الإجماع أو الاتفاق على ما أطرحه من آراء يُعد ظاهرة صحية؟!

ـ ألست أنت شخصية مثيرة للجدل؟! وهل تعتقد أن إجماع الناس عليك ظاهرة صحية؟!

□ □ □

وكأن هذا المدخل قد فتح أبواباً واسعة ورحبة لمناقشات فكرية عميقة تخللتها روح المودة بين تيارين قد لا يلتقيان في منهجيتهما الفكرية والأدبية، لكنهما ارتقيا بحوارهما إلى قاعدة احترام الرأي والرأي الآخر، لأنهما قد اتفقا في مناقشتهما على وحدة الأهداف، وإن سعى إليها كل منهما بطريقته الخاصة. وكان ما يسيطر على مناقشتهما هموم كثيرة مشتركة لكن أهمها كان الإنسان وحريته وسعادته في ظل أجواء من الكرامة الإنسانية.

أما موضوع زيارة أدونيس للمملكة العربية السعودية، فقد كاد أن يُنسى في خضم تلك الأجواء التي اشاعتها المناقشات المتدفقة

بأحاسيس شتى، ولكنها تصبّ في رافد واحد هو الإنسان العربي والإحساس بالمسؤولية حيال نهضته وارتقائه.

ولمّا صدرت عني إشارة الى موضوع زيارة أدونيس للمملكة، نظر إليّ الاثنان نظرات عتاب، وقال لي أحدهما:

ــ لا تفسد علينا هذا اللقاء الذي لم يكن مرتباً بمحاولتك الإشارة الى موضوع هو أقل بكثير من هذه المصادفة الطيبة».

□□□

أدونيس برغم الحيوية التي يتمتع بها، قد هيأ نفسه لاستقبال العالم الآخر، إذ حدد مكاناً لقبره في القرية التي وُلد فيها، بل وكتب الشعر الذي سيُكتب على شاهدة ذلك القبر دون أن يُطلع عليه أحداً، والغريب أنه يتحدث عن هذا الموضوع لمن يحيطون به بمرح وكأنه أمر عادي، دون مراعاةٍ لحالة الانقباض التي يستشعرها أصدقاؤه.

□□□

أنيس منصور

التقيته أول مرة في مكتبه في دار «أخبار اليوم» عام ١٩٦٨، وقد رتب لذلك اللقاء الاستاذ فؤاد دوارة الذي كان يدرّسنا أصول النقد في المعهد العالي للسينما.

ويبدو أن دوارة لم يكن على وفاق مع الأستاذ أنيس بسبب أنه طلب منه أن يكون أحد الأدباء الذين يحاورهم ضمن كتاب أصدره بعنوان «عشرة أدباء يتحدثون»، لكن أنيس منصور رفض أن يكون من ضمنهم رغم أن الكتاب قد ضم أدباء كباراً في مقدمتهم الدكتور طه حسين.

ولما رجوت الناقد فؤاد دوارة أن يزودني ببعض المعلومات عن أنيس منصور أستعين بها في لقائي معه، ما كان منه إلا أن عكس مشاعره حياله وكتب لي عدة صفحاتٍ تضمنت معلومات عن أنيس كان البعض منها مستفزاً.

ورغم أنني أعددت أسئلتي الخاصة، لم أستطع مقاومة إغراءات

ما زودني به الأستاذ فؤاد دوارة باعتباره واحداً من كبار النقاد من ناحية، ومن الناحية الأخرى اعتقادي بأن الأسئلة المستفزة تلقى صدىً لدى المستمعين.

□□□

□ أستاذ أنيس، لماذا يُطلق عليكَ لقب العقاد الصغير؟

ـ أولاً: من هذا البعض؟. ثانياً: لماذا عقاداً وصغيراً.. بينما أنا أنيس منصور مدرّس الفلسفة في الجامعة، والكاتب والصحافي ورئيس التحرير، ولي من المؤلفات ما للعقاد وأكثر!!.

□ وهناك من يرى أن شهرتك قد اتسعت بسبب تبّنيك موضوع تحضير الأرواح بواسطة السلة؟.

ـ في السؤال الأول «البعض يُطلق عليك!!» وفي السؤال الثاني «هناك من يرى!!» يعني أنت تريد أن تجري معي حديثاً إذاعياً لتستخرج مني معلومات عن تجربتي الفكرية والثقافية لتزود بها مستمعيك معتمداً على «البعض» و«من يرى». يا أخي حرام عليك! ثم إن موضوع السلة هذا ما هو إلا نقل تجربة مررتُ بها في إحدى جولاتي في العالم فكتبتها فتلاقفها الناس، لأن طبيعة الإنسان هي البحث عن المجهول، وللأسف بولغ في هذا الموضوع بسبب سعة انتشاره بين كافة الأوساط، ودوري في هذا الموضوع ليس سوى ناقل لتجربة، وناقل الكفر ليس بكافر، هذا إذا افترضنا أن تحضير الأرواح بالسلة كفر.

□ لكنه ارتبط باسمك؟

ـ حنعيد تاني؟! طيب مسرحية «حلمك يا شيخ علام» وغيرها من المسرحيات مرتبطة باسمي!!. . نقل الفلسفة الوجودية إلى العالم العربي» مرتبطة باسمي! عشرات العناوين من الكتب التي أعيدت طباعتها أكثر من مرة مرتبطة باسمي. اشمعنا يُلغى كل هذا ويبقى نقل تجربة تحضير الأرواح بالسلة هو الشيء الوحيد الذي ارتبط باسمي؟.

□ **هل صحيح أنك حاولت أن تكون مطرباً في بداية حياتك؟**

ـ حصل!!

□ **ولماذا لم تواصل؟**

ـ ساهم الأستاذ عبد الوهاب بإجهاض التجربة، عندما كُنت عنده وهو يستمع إلى مطربة جديدة، وكان صوتها «وحش» فقال لها كلاماً مجاملاً. تذكرت أنه قال لي نفس الكلام لما سمع صوتي.

□ **أستاذ أنيس، المعروف عنك أنك شغوف بالقراءة، وبعدة لغات. كيف تسنى لك ذلك؟**

ـ كأنك تسأل طبيباً جراحاً كيف تجري عملياتك الجراحية! يا أخي أنا رجل أعيش للفكر وبالفكر، وإذا لم أكن مهياً لهذه المهمة فلست جديراً بها، وأنا أعتبر الإنسان العادي الذي لا يقرأ وكأنه يعيش خارج التاريخ، فما بالك بإنسانٍ يُطل على الناس كل يومٍ بموضوع جديد أو بمحاضرة أو بلقاء إذاعي أو تلفزيوني؟ ثم

لا تنس أن من لم يكن قارئاً جيداً لا يمكن أن يكون كاتباً جيداً، وليس بلغته فقط بل بأكثر من لغة.

□ كم لغة تجيد؟

ـ أجيد الإيطالية والفرنسية والألمانية والإنكليزية، وشيئاً من الإسبانية، ودرست شيئاً من العبرية، إلى جانب لغتي الأم.

□ ما سبب إحجامك عن الزواج مع أنك تجاوزت الأربعين؟

ـ لم يأتِ النصيب بعد! ثم إن طبيعة مهنتي تحتاج إلى أمرأة مجاهدة.

□ ألهذا السبب نجدك كثيراً ما تسخر من المرأة؟

ـ يا أخي «ما» المرأة أمي! ولكن هناك فرق بين السخرية والمداعبة، فالكثير من الأدباء في العالم يداعبون المرأة بحكم اختلاف السلوكيات. جورج برنادشو مثلاً كان يداعب المرأة ويسخر منها، وعندك هنا توفيق الحكيم والعشرات غيرهم ممن يداعبون المرأة إلى درجة السخرية في كتاباتهم.

□ ربما تفكر، باعتبارك من دعاة الوجودية أن تعيش مع نصفك الآخر على طريقة سارتر وسيمون ديبوفوار؟

ـ «هو أنا عايش في باريس؟». أنا يا أخي أعيش وسط مجتمع عربي مسلم له تقاليد وأعراف! ثم من قال لك أني معجب بطريقة سارتر وسيمون؟!.. سارتر له العديد من العشيقات، وكذلك سيمون لها العديد من العشاق. كما قلتُ لك النصيب لم يأت

بعد بتلك المجاهدة التي تقبل بي زوجة.

□ أستاذ أنيس، لماذا نجد أن حياة الأدباء والمشاهير الخاصة في بلادنا كثيراً ما يكتنفها التكتم والغموض، مع أنهم يأخذون على عاتقهم توجيه المجتمع نحو الوضوح والانفتاح والشفافية؟

ـ المفروض هو أن الناس كما يتعلمون من فكر الكاتب وأدبه، يجب أن يتعلموا من حياته أيضاً، ولكن ذلك لا يعني أن حياة هؤلاء الأدباء والمفكرين مثالية وخالية من الأخطاء أو الانحرافات لأنهم في النهاية بشر. عندك مثلاً: الكاتب العظيم أوسكار وايلد الذي دخل السجن لأسباب لا أخلاقية، لكنه جعل من تجربته تلك مثلاً عظيماً عندما سجلها في كتابٍ عنوانه «من الأعماق» عرض فيه الظروف والملابسات التي أدت به الى السجن بدرجةٍ كبيرة من الصدق، حتى أنه قد عرَّى نفسه أمام القارئ لكي يحذّر الناس من الانحرافات الشاذة، وصوّر حالته النفسية وتأثير ذلك الحدث على حياته بصراحة متناهية.

□ أين هو موقف الأديب العربي مما ذكرت؟

ـ الوضع في بلادنا يختلف كلياً، الناس هنا يثرثرون كثيراً ويلوكون الكلام كثيراً بما يرونه عيوباً في حياة الآخرين، ولذلك نجد أن المشاهير عندنا يتحفظون بحرص شديد ويحجمون عن اطلاع الناس على حياتهم الخاصة، أو الكتابة في هذا الموضوع.. بينما نجد في فرنسا أن جان جينيه يجاهر فخوراً بأفعال شاذة يقوم بها ويكتبها على رؤوس الأشهاد، وهناك من

يستقبلها باستحسان وقبول. . لا، لا، لا، الوضع عندنا يختلف. . بعدين يا أخي المثل يقول: إذا بُليتم فاستتروا!

□ لكن هذه البلوى كثيراً ما يُكشف عنها الستار بشكل أو بآخر عندما ينتقل ذلك الإنسان الشهير الى العالم الآخر!

ـ هذا صحيح، لكن ساعتها مش مهم. . يعني الكلام الذي قيل عن العقاد أنه كانت له بنت من زوجة غير معلن عنها ليس سراً لا أخلاقياً، ولكنها معلومة قد تكون صحيحة وقد لا تكون. وما قيل عن أمير الشعراء أحمد شوقي بعد وفاته كله من قبيل التخمينات، فليس في حياة المفكرين والأدباء والشعراء العرب ما يستحق الوقوف عليه وتقييمه كسلوك شاذ يعترف به مثلما فعل جان جاك روسو في اعترافاته.

□ ليس بالضرورة أن الكاتب والأديب يقوم بنفسه بكتابة تجاربه التي فيها انحراف على شكل اعترافات كما فعل روسو، بل ربما يقوم بذلك كُتاب آخرون ليستخرجوا منها حقائق كانت مخفية عن الناس؟!

ـ وهذا ما حصل مع أرنست همنغواي عندما انتحر عام ١٩٦١، فأصدر صحافي أميركي كتاباً عنه عنوانه «بابا همنغواي»، كشف فيه عن تفاصيل قلَّ أن يعرفها أحد في حياة الكاتب الأميركي الكبير، مما دفع بماري همنغواي زوجة الكاتب أن ترفع قضية على الصحافي وتحول دون نشر الكتاب، لأنه خاض في أسرار خاصة بهمنغواي وأسرته، وكذَّبت مزاعم ذلك الصحافي. لكن

المحكمة أصدرت حكمها برفض دعوى الزوجة بعدما تأكد لها أن الصحافي التقى مع همنغواي في يخته الخاص على شواطئ كوبا ليجري معه حواراً لإحدى الصحف، ومنذ ذلك اللقاء ارتبط الصحافي بأرنست همنغواي بعلاقة صداقة حميمة امتدت الى عدة سنوات، وكانت الزوجة تزعم أن زوجها قد أصيب بطلق ناري عن طريق الخطأ وهو يتفحص بندقيته مما تسبب في موته، إلا أن كتاب «بابا همنغواي» دحض هذا الزعم وذكر التفاصيل الكاملة والدقيقة لعملية انتحار همنغواي.. فكلامك عن أن هناك من يتصدى للكتابة عن المشاهير بعد موتهم صحيح، وهناك أمثلة كثيرة ولكنها قليلة في عالمنا العربي.

□ أستاذ أنيس، هل حاولت فعلاً القيام بترجمة كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون»؟

ــ اقترح عليَّ العقاد أن أقوم بترجمة ذلك الكتاب على أن يقوم هو بكتابة المقدمة. لكنني اكتشفت أن معظم من قاموا بترجمة هذا الكتاب من اللغة التي كُتب فيها الى لغتهم إما أن اغتيلوا أو تعرضوا للاغتيال! فقلت للعقاد: لا يا عم.. أنا مش عايز أموت.. فنصح أحد أصدقائه وهو محمد خليفة التونسي أن يقوم بترجمته، وقدَّم له العقاد، وكان كتاباً سيئاً بينما الترجمة التي قام بها الكاتب اللبناني عجاج نويهض كانت أفضل بكثير.

□ أستاذ أنيس، ما الذي يشغلك الآن؟

ــ أجمع معلومات عن أحد الصعاليك المصريين المعاصرين، وهو عبد الحميد الديب الذي توفي عام ١٩٤٣.

□ هل تنوي أن تكتب عنه كتاباً؟

ــ والله إذا توفرت لي مادة تحتمل كتاباً فسأفعل، وإلا أكتب عنه موضوعاً أو أكثر من موضوع.

□ مـا الجديـد الذي تقدمـه لقرائـك في مثل هذا الموضوع؟

ــ عبد الحميد الديب كان شاعراً، وقد أُطلق عليه الشاعر البائس، رغم أنه موهوب، إلا أنه عاش حياةً مأساوية. كان متسولاً وينام في الطرقات، وقضى معظم حياته ما بين المقاهي والأرصفة، وكان الناس يطربون لأشعاره، لكنهم لا يمدون له يد العون. والغريب العجيب أنه عند مماته أُقيم له احتفال حضره شعراء وأدباء وخطباء وأُلقيت كلمات نيابة عن وزراء الشؤون الاجتماعية والأوقاف، كلها ترثي الفقيد الذي لم يكن يجد في حياته مأوىً ينام فيه.. حتى أنه عبَّر عن حياته البائسة في هذه الأبيات التي حصلت عليها من أحد أصدقائه لأنه ليس له أثر مكتوب. يقول:

لقد كنتُ أرجو غرفةً فأصبتها ... بناءً قديم العهد أضيق من حظي
فأهداء أنفاسي تكاد تهدها ... وأيسر لمسي في بنايتها يردي
أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها ... فأرجله أمضى من الصارم الهندي
تساكنني فيه الأفاعي جريئةً وفي جوها ... الأمراض تقتل أو تُعدي
جوارك يا ربي لمثليَّ رحمة فخذني ... الى النيران أو جنة الخلد

□ أستاذ أنيس.. كيف تُشخص لنا الانسان المثقف؟

ــ المثقف قد يكون الكاتب الذي تقرأه في الصحف والمجلات، وقد يكون المدرّس الإعدادي أو الاستاذ الجامعي، وقد يكون السياسي، وقد يكون الفنان.. وقد.. وقد.. وقد.. ولكن لن يكون أي واحد من هؤلاء مثقفاً ما لم يقلص من خلال أدواته أكبر قدر من السلبيات في مجتمعه الذي يعيش فيه، ويستبدلها بأكبر قدر من الايجابيات. وهذا لا ينطبق على من جئتُ على ذكرهم فقط، بل من الممكن أن ينطبق على الفلاح والنجار والميكانيكي، وغيرهم من أصحاب المهن الأخرى. فما دام الانسان يعمل بإيجابية لمجتمعه فهو يدخل في دائرة الإنسان المثقف، أما الاحتراف الثقافي المتعارف عليه فهو قد ينطوي على أُناس يمارسون أعتى أنواع الغش والخداع، بل والإجرام باسم الثقافة.

□ **أستاذ أنيس، بما عُرف عنك من سرعة بديهة، ماذا تقول لهؤلاء الشخصيات؟**

● **أم كلثوم**

ــ تمنيت عليكِ الاعتزال بعد الأطلال.. ولكن بعد أنت عمري أتمنى أن تستمري في الغناء لآخر يوم في حياتكِ.

● **فاتن حمامة**

ــ أنتِ منافستي الوحيدة في حب المنصورة.

● **نجيب محفوظ**

ــ أنت أعظم مؤرخ لمصر الحديثة.

• **توفيق الحكيم**

ــ بطل بخل واشتري لابنك اسماعيل أدوات لفرقته الموسيقية.

• **عبد الحليم حافظ**

ــ يا حليم الوقوف فوق القمة أصعب من الوصول إليها.

• **احسان عبد القدوس**

ــ نظارتك السوداء صار لها أنف وثلاث عيون.

• **محمد عبد الوهاب**

ــ أشكرك لأنك قلت لي: خسرنا مطرباً نص ونص، وكسبنا كاتباً كبيراً.

• **محمد حسنين هيكل**

ــ أجمل ما فيك عدم ردك على مناوئيك.

• **أحمد بهاء الدين**

ــ أنت أصغر رئيس تحرير في تاريخ الصحافة، وأكبر دمث أخلاق عرفته الكتابة.

• **أنيس منصور**

ــ ليس لديَّ ما أقوله لأنيس، لأن ما أقوله له أفعله، ولذلك أقول لك كفاية بقى.

□ □ □

تحية كاريوكا

كنت ألتقيها في قاهرة الستينيات في العديد من المناسبات لأحصل منها على تصريحات قصيرة حول أعمالها الفنية، ضمن واجباتي كمندوب لإذاعة وتلفزيون الكويت في القاهرة. لم يكن يخطر لي أن أجري معها حواراً طويلاً، كما كنت أحرص على ذلك مع العديد من الفعاليات النسائية في مجالات الثقافة والأدب، والفن أحياناً ـ كما حدث مع فاتن حمامة ـ ولكن تبين لي ـ في وقت متأخر ـ أن تحية كاريوكا تحمل تجربة إنسانية ثرية قلَّ أن نجدها عند سواها من الفنانات.

في أواسط السبعينيات كنت مسؤولاً عن برامج السينما والمنوعات في تلفزيون الكويت، وكانت كاريوكا قد زارت الكويت في طريقها إلى السعودية لأداء فريضة العمرة، ووجدت الوقت مناسباً لتسجيل تجربتها في مشوار حياتها الفنية التي امتدت إلى أكثر من أربعة عقود.

□□□

□ **السيدة تحية كاريوكا، عُرف عنك الصدق، والبساطة، والعفوية، فأتوقع أن يكون حوارنا في هذه الأمسية صادقاً وبسيطاً وعفوياً!!**

ــ وحياة أبوك بلاش حكاية السيدة تحية كاريوكا دي، وقلي يا توحة، علشان أحس بالراحة أكتر وساعتها تطلع العفوية وحدها بعيداً عن الكلام الرسمي!!.

□ **إذاً لنبدأ من بداية المشوار؟**

ــ يعني إيه؟!..

□ **يعني تاريخ ميلادك، ومكان ولادتك، ودراستك، وتسليط الضوء على وضعك الاجتماعي قبل الدخول إلى عالم الفن والشهرة؟**

ــ يوووه.. دي حكاية طويلة أوي!!.. شِوف يا سيدي.. اسمي الأصلي مش تحية كاريوكا!!.. اسمي «بدوية محمد أبو العلا النيداني كريم».

□ **إذاً من أين جاءت تحية كاريوكا؟**

ــ جايالك.. ـ تواصل ـ تم اختصار الاسم إلى «بدوية كريم» وبعدين تغير وأصبح «تحية كريم»، وبعدين وصلت إلى «تحية كاريوكا»!!.. حكاية تغيير الأسماء دي مرتبطة بأحداث نقولها عندما نصل إليها أثناء الحوار.

□ **إذا كان من الممكن أن نكمل هذا الموضوع ثم ننتقل إلى موضوع آخر.**

ـ أقولك يا سيدي. . اختارت لي اسم «تحية» بدل «بدوية» بديعة مصابني، فأصبح اسمي عندما كنت أشتغل عندها «تحية كريم». وفي يوم من الأيام رحت سينما، وشفت فيلم أمريكاني وكانت مشاهده تحتوي على رقصة شعبية من البرازيل، وبالصدفة كان عندنا مدرب رقص برازيلي اسمه «ديكسون»، طلبت منه أن يدربني على الرقصة البرازيلية الشعبية اللي شفتها في الفيلم، فقال لي: دي رقصة اسمها كاريوكا. . وبعد التدريب الطويل على الرقصة أديتها أمام الجمهور وكانت مختلفة وجديدة، نجحت فيها جداً وصرت أرقصها كل ليلة، فتغير الاسم من «تحية كريم» إلى «تحية كاريوكا»!!. . آدي الحكاية.

□ شكراً ست توحة. . ننتقل الآن إلى وضعك الاجتماعي والعائلي قبل أن تدخلي إلى عالم الفن والشهرة؟!

ـ أنا اتولدت يا سيدي في الإسماعيلية. الأوراق الرسمية بتقول إن تاريخ ميلادي ٢٢ فبراير ١٩١٩ في منطقة الحي الغربي، ودي منطقة مساكن شعبية هناك. . والدي ـ الله يرحمو ـ كان من أصول حجازية، جاء إلى مصر واستقر في الاسماعيلية، وكان بيشتغل في البحر ويسافر كثير، تزوج سبع مرات. وبعدما اتولدت وأنا صغيرة اختفى والدي، وتكفلت بتربيتي جدتي أُم أبويا. ولما كبرت شوية، كان لي أخ متزوج من ست مالطية، يعني من مالطة، أخذني عنده علشان أخدمه هو ومراتو. . وشفت عندهم عذاب الويل من إهانات، وضرب، وكوي بالنار!

واستمريت على هذه الحياة المأساوية لعدة سنوات. وكنت في الفترة دي اتعرفت على جارة لنا من سورية كانت بتشتغل رقاصة، وبعدين سافرت إلى القاهرة، فهربت من بيت أخويا وذهبت إلى القاهرة، وبحثت عن جارتنا في شارع عماد الدين، فقالوا لي: إنها انتقلت إلى الإسكندرية، فسافرت وراها، ولمّا وجدتها رحّبت بي، ثم أخذت تدربني على الرقص، ووجدت لي عملاً معها.. وفي يوم من الأيام شاهدني أحد الحضور وشجعني على الذهاب إلى القاهرة، وساعدني إلى أن وصلت إلى بديعة مصابني. آدي بداية الحكاية باختصار شديد جداً!!.. وبلاش تسألني عن المرحلة دي وحياة أبوك علشان ما تهيجش المواجع!!.

□ هل نستطيع القول إن إنطلاقة تحية كاريوكا نحو الفن والشهرة بدأت عندما التقت ببديعة مصابني؟

ــ والله ما عرفش أقول لك إذا كانت بداية انطلاقة، ولا وكسة؟!.

□ لم أفهم؟

ــ أحسن!!.. بس تقدر تقول إن مرحلة بديعة كانت البوابة الأولى لمشواري إللي أخذ مني سنوات عمري في العمل الفني.

□ حدثينا قليلاً عن تلك البوابة؟

ــ عند بديعة مصابني لقيت نفسي مع محمد عبد المطلب، وعبد

العـزيز محمـود، ومحمـد فوزي، وفريـد الأطرش، والملحن محمود شريف، ودول أصبحوا بعدين من مشاهير الطرب!!

□ بمن التقيت من الفنانات؟

ــ كانت حكمت فهمي، ودي ليها حكاية طويلة في الرقص والسياسة، وكانت كمان سامية جمال.

□ ما هي حكاية الراقصة حكمت فهمي؟

ــ هي من المنيا في الصعيد، سافرت إلى إيطاليا ورقصت قدام موسليني، وراحت ألمانيا ورقصت قدام هتلر، وفي ألمانيا اتعرفت على شاب ألماني أمه مصرية اسمه حسين جعفر، وحسين ده جاء مصر واتعرف على الضابط عزيز المصري والضابط أنور السادات والطيار حسن عزت وغيرهم. وحكمت كان ليها عوامة يجتمعون فيها الضباط دول، وبعدين اتضح إن حسين جعفر طلع جاسوس لألمانيا، وإن أصحابه دول طلعوا موالين للنازية في ألمانيا. علشان كده قامت المخابرات الإنجليزية والبوليس المصري بعد ما كشفوهم قبضوا عليهم، ودخَّلوا حكمت فهمي السجن لأكثر من سنتين، وأصحابها اللي هم أنور السادات وحسن عزت قد طُردوا من الخدمة العسكرية.

□ واضح من سردك لقصة حكمت فهمي أن لديك بعض الاهتمامات السياسية؟!..

ــ إسكت!!.. مش أنا دخلت السجن لأسباب سياسية؟!.. ولا إنت ما تعرفش؟!..

□ **وماذا كانت التهمة؟**

ـــ التآمر على قلب نظام الحكم!!

□ **تحية كاريوكا تتآمر على قلب نظام الحكم في مصر؟!!**

ـــ أيوه وحياة ربنا!!.. وكنت سجينة سياسية لأكثر من ثلاثة أشهر في عنبر النساء في سجن مصر!!

□ **ممكن نعرف الحكاية من بدايتها؟**

ـــ لا.. دي بدايتها طويلة أوي.. ولكن أقول باختصار.. أنا إتجوزت كتير!!

ـــ إشمعنا أبوي كان بيتجوز كتير؟! وحظّي الوحش رماني بالزواج من شاب في القوات المسلحة كان شكلو جميل، رياضي، وأنيق، فنزوح، يعني شايف نفسو حبتين، والشاب ده كان عنده طموحات كبيرة، كان ضابط معروف في الأوساط العسكرية، وكان من بين أصدقاء يوسف رشاد اللي كان طبيب الملك، وكذلك كان يعرف أنور السادات وغيره، وكان عنده ميول ثورية ويشارك في كتابة المنشورات ضد النظام.. وأنا لا لي بالثور ولا بالطحين، كنت مهتمة بشغلي وبس.. وفجأة هجم علينا البوليس في بيتنا وألقى القبض علينا أنا وجوزي، والتهمة كما جاء في تقرير البوليس: أنهم وجدوا أسلحة عندنا في البيت كما وجدوا منشورات تهاجم الحكم الديكتاتوري، وتطالب بحكم ديموقراطي، يعني التآمر على قلب نظام الحكم!!

□ **متى كان ذلك؟**

ــ سنة ١٩٥٤ في شهر مارس.

□ **وبعدين؟**

ــ جوزي قال لهم: إن زوجتي تحية كاريوكا لا تعلم شيئاً عما وجدتموه في بيتي من منشورات ومضبوطات، ولكنهم دخلوني سجن النساء وقضيت ١٠٠ يوم هناك.

□ **وكيف كنت تقضين وقتك في السجن؟**

ــ كنت باستغل شبابيك الحمامات وأبص على الرجالة وأقول لهم أنا تحية كاريوكا، وتبدأ بيني وبينهم الحوارات، اللي شيوعي، واللي إخوان مسلمين، واللي بيهرب حشيش.. وكنت بتسلى!!.

□ **وماذا حدث لزوجك؟**

ــ يا عيني قضى حياته من سجن إلى سجن لغاية ما مات!!

□ **ماذا كانت اتجاهاته السياسية؟**

ــ والله ما أنا عارفة. مرة يقولوا: إنو اشتراكي، ومرة يقولوا إن عنده توجه ديموقراطي، ومرة يقولوا إنو على اتصال بالتنظيمات السرية الشيوعية. وأنا من خلال عشرتي معاه أعرف أنه راجل مهتم بملذاته ـ الله يرحمهُ ـ كان كل همه اللبس، والشياكة، والسهر، ولوازم السهر!!.. بصراحة كان «مقطع السمكة وذيلها» والأعمال السياسية اللي كان بيعملها كلها استعراض ـ الله يرحمه

بقى - دفع الثمن وبهدلني معاه. بصراحة أنا أكتشفت أن معلوماته السياسية غير ناضجة، وخاصةً عن الأحزاب اليسارية، أنا أفهم فيها أكثر منه مئة مرة. الله يرحمه بقى.

□ ماذا عن سامية جمال؟

ـ مالها؟!.

□ ألم تكن زميلتك في مسرح بديعة مصابني؟

ـ سامية هي من بني سويف، اسمها زينب خليل إبراهيم محفوظ، تعرفت على واحد إيطالي اسمو «أنطوان بوللي» وهو اللي وصلها عشان ترقص قدام الملك فاروق، وبعدين اشتغلت في الأفلام الاستعراضية مع فريد الأطرش.. هي صاحبتي، بس كنت أختلف معاها لأنها حاولت أن تمزج الرقص الشرقي بالرقص الغربي!!.. ده ما ينفعش.. الرقص الشرقي له أصالة!

□ ماذا عن تحية كاريوكا؟

ـ مالها رخرى؟!

□ يقال إنك حادة المزاج.. مقابل ذلك فأنت طيوبة جداً كما هو شائع عنكِ؟

ـ فكرتني بحكاية حادة المزاج دي اللي بتودي بستين داهية!!.. حصل مرة وأنا بقدم نمرتي في مسرح بديعة مصابني أن كان الأمير عباس حليم موجود، فكان الواجب أن جميع الفنانين يقومون بواجب السلام عليه، ولما خلصت نمرتي اتجهت لكي

أؤدي واجب السلام، وبينما أنا في الطريق أمسك شاب من الجالسين في المسرح بيدي قال لي: تعالي يا بنت يا رقاصة!!.. فلم أتمالك نفسي بعد أن نزعت يده من يدي فوجهتُ له صفعة قوية على وجهه، ثم خلعت حذائي وضربته على رأسه وقلت له: البت هي أمك يا قليل الأدب، ملعون أبوك على أبو أمك!!.. تدخل الناس وانتهى الموقف على خير. وبعدين تبين أن هذا الشاب هو أمير وأمه اللي شتمتها هي الأميرة «عين الحياة» قريبة الملك.

□ وبعدين؟

ــ ولا قبلين!!.. سين، وجيم، وتهديدات، واعتذارات ملهاش أول ولا آخر.. ومرة رقصت في القصر الملكي قدام الملكة فريدة وبعد ما خلصت طلبوني أرقص في بيت أم الملك فاروق نازلي، فقلت لهم أنا رقصت قدام ملكة مصر ومش حرقص تاني.. واطّربقت الدنيا على راسي!!.. آدي يا سيدي حدة المزاج ومشاكلها!!.

□ سافرت كثيراً أليس كذلك؟

ــ أنا اتجوزت ضابط أميركي وسافرت معاه لأميركا، لكني لم أطق العيش بعيداً عن مصر.. في الفترة دي بعد ما رجعت مصر عملت على إنشاء صندوق للفنانين.

□ وبعدين رشحتِ نفسك لنقابة الفنانين؟

ــ وحصلت على أكبر عدد من الأصوات.

□ عندما أنشأتِ مسرح تحية كاريوكا، كانت معظم مسرحياتك تُقدّم بإطار كوميدي لنقد الأوضاع الاجتماعية، وأحياناً يُشْتَمّ منها بعض الإسقاطات السياسية، وخصوصاً مسرحية «يحيا الوفد» وقبلها مسرحية «روبابيكيا»؟!

ـ أنا لما اتجوزت فايز حلاوة واشتغلنا مع بعض في المسرح كان هو العقل المدبر للأفكار التي نقدمها في المسرح، وأنا كنت أقوم بالتنفيذ والتمثيل مع بعض. . ومسرحية يحيا الوفد دي من أفكار فايز، لأنه لما كان شاب كان معجباً بحزب الوفد، أو قد يكون منتسباً إليه. . وهذه المسرحية بالذات عملناها سنة ١٩٧٢ أيام أنور السادات، بعد ما طرد الخبراء الروس. تدور الأحداث حول وفد قادم من دولة «سكسكونيا» والمقصود روسيا، وهذا الوفد يُقابل بالترحيب من كل الأوساط المصرية لأنه سوف يأتي بالخير العميم للبلاد. لكن في النهاية يؤدي الاتفاق مع دولة سكسكونيا إلى كوارث تحدث في البلاد. . وعلى فكرة، المسرحية دي نجحت جداً خصوصاً بعد احتجاج السفارة الروسية، بينما في الصين كانوا مبسوطين جداً من المسرحية، ووجهوا لنا دعوة لعرضها في بكين.

□ هل شاركتِ في مهرجانات دولية؟

ـ أيوه أُمال. . شاركت كتير، بس عام ١٩٥٦ شاركت في مهرجان كان بفيلم «شباب امرأة» وكان لهذا الحدث خصوصية عندي.

□ **حصلتِ على جائزة؟**

ـ حصلت على ما هو أكبر من كل الجوائز! وكنت مفاجأة المهرجان كله!

□ **كيف؟**

ـ مشيت على طول السجادة الحمراء مع كل الفنانين والفنانات العالميين، وأنا مرتدية الملاية اللف واللبس المصري البلدي، وكان ذلك حديث المشاركين طيلة أيام المهرجان.

□ **متى اعتزلت الرقص؟**

ـ الرقص كاحتراف اعتزلته قبل سنة . . ١٩٦٠ بس كنت أرقص من غير ملابس رقص في بعض المشاهد السينمائية لأنني اتجهت تماماً للتمثيل في السينما والمسرح، وكنت برقص في المسرح كمان بس من غير بدلة رقص.

□ **توحة، سوف أطلب منكِ طلباً عديني أن تجيبيني عليه.**

ـ حاضر. . أوعدك.

□ **أنت في طريقكِ إلى العمرة، وأنتِ إنسانة صادقة، وما عندك من تجاربٍ حياتية يجب أن تكون أمثلة يستفيد منها الناس. سؤالي هو. . كم عدد زيجاتك؟. . وما هي الأسباب التي كانت تؤدي إلى الطلاق؟**

ـ يوووه يا نجم.. ده موضوع طويل وعويص، بس مدام وعدتك هحاول على قد ما أقدر. . أولاً أنا أتزوجت «١٤» مرة.

الزوج الأول: كان ابن شقيقة بديعة مصابني، تم الزواج سنة ١٩٣٩ وانفصلت عنه بعد سنة، لأنه قبل ما نكتب الكتاب أعلن إسلامه، واكتشفت بعدين إنو بيروح الكنيسة، وكان اسمه أنطوان عيسى، أنا كنت بندهلو يا عيسى، ولما اكتشفت حكاية الكنيسة قلت له: زواجي منك حرام وتم الطلاق.

الزواج التاني: كان رجلاً ميسور الحال وكان باشا، اسمه محمد سلطان باشا، بعد ستة أشهر من الزواج طلب مني اعتزال الرقص ولم نتفق.

الزواج الثالث: كان ضابط أميركي أعلن إسلامه، ولكن زي ما قلتلك ما قدرتش أبعد عن مصر وتم الطلاق.

الزواج الرابع: كان من المخرج فطين عبد الوهاب، بس فطين كانت غيرته شديدة جداً، فلم تستمر الحياة بيننا.

الزواج الخامس: كان الفنان أحمد سالم إللي كان متزوج قبل مني أمينة البارودي، ولما كنت مسافرة معاه لفلسطين، عرفت انه ارتبط بعلاقة مع مطربة سورية مشهورة ـ ماتت بحادث سيارة الله يرحمها ـ فسبته معاها ورجعت إلى القاهرة وطلبت الطلاق.

الزواج السادس: كان الطيار حسين عاكف وهو طيار الملك فاروق، لم يستمر زواجنا لأكثر من شهرين لأسباب مش عايزة أذكرها لأنها لا تستحق الذكر.

الزواج السابع: كان الفنان رشدي أباظة، ولما رحنا لبنان كنت أنا في زيارة لبعض الأصدقاء، ولما رجعت اللوكندة لم أجده فذهبت إلى الأماكن التي أعرف أنه موجود فيها، فلقيته في أحد ملاهي شارع الحمراء مع آرتيست فرنسية، ومن غير مقدمات سحبتها من شعرها واديتها علقة ساخنة، وصممت على الطلاق بنفس الليلة.

الزواج الثامن: هو البكباشي مصطفى كمال صدقي الذي أدخلني السجن ورويت لك حكايته.

الزواج التاسع: كان شاب جميل وكان دنجوان عصره، اسمه عبد المنعم الخادم، تزوجنا لأكثر من خمس سنوات، لكنه كان يُلح عليَّ باعتزال الفن.

الزواج العاشر: طبيب عسكري اسمه حسن حسين، انفصلت عنه لأنه تعلق بمطربة لبنانية مشهورة تعرف عليها عندما كانت تزورني كصديقة، وعندما اكتشفت خيانته أقدمت على الانتحار وابتلعت كمية من الحبوب، الحمد لله تم انقاذي.

بعد ثلاث سنوات من غير زواج التقيت بالمطرب محرم فؤاد وكان الزوج رقم ١١ ولم نُكمل سنة وتم الطلاق.

الزواج الـ ١٢: كان أحمد ذو الفقار صبري لم أستمر معه لأكثر من عام.

أما الزواج رقم ١٣: فعلاً آمنت أن هذا الرقم هو رقم نحس على البشر، فقد كان فايز حلاوة، مع أنني قضيت معه ١٨ سنة وهي

أطول مدة زواج في حياتي، ولكن كلها كانت قائمة على الغش والخداع والمصلحة والخيانة.. مش من جانبي أنا.. وانتهت حياتي معاه بالقضايا، والمحاكم، وفي النهاية جردني من كل شقا عمري وحياتي، سامحه الله!!.

الزواج الرابع عشر: هو إنسان وديع.. مات الله يرحمه، كان اسمه حسن..

هاه.. عايز إيه كمان؟!!..

□ نتكلم شوية عن السينما؟

ــ لا وحياة أبوك.. أنا تعبت.. وبعدين تاريخي السينمائي مش حيكون جديد على الناس، ما الأفلام كل يوم بتتعاد في التلفزيون.

□ سؤال أخير؟

ــ اتفضل..

□ هل صحيح أنك على معرفة وثيقة بالرئيس أنور السادات؟

ــ شوف بقى، أنا مش عايزة أخش في متاهات التفسيرات السياسية، ولكن أقولك حاجة بسيطة جداً للرد على سؤالك.. نعم أنا أعرف الرئيس أنور السادات معرفة جيدة، ومش أنا بس كل العائلة في الإسماعيلية يعرفونه لأنه أقام في بيت أختي أثناء فترة ملاحقته.. وهو يذكر هذا جيداً.

□ **ولماذا بيت أُختك بالذات؟**

ـ لأنني تعرفت على أنور السادات زي ما ذكرت لك أثناء موضوع حكمت فهمي، وبعدين أثناء ما كان صديقاً لزوجي.. إللي دخلني السجن.. إذاً كان الواجب أن أقف معه أثناء أزمته.

□ **هل استمرت بينكما الاتصالات بعدما أصبح رئيساً للجمهورية؟**

ـ بيننا احترام.. وخلاص بقى.

□□□

جاك بيـرك

«العرب من الأمس وإلى الغد» . . قرأتُ هذا الكتاب في أواسط الستينيات، ونظراً لما احتوى عليه من تحليلات أدبية وفكرية وثقافية، وجدت نفسي مشوقاً للاطلاع على مؤلفات جاك بيرك، فقرأت «المغرب بين جهادين» و«مصر من الاستعمار الى الثورة»، وكتاب «كلمة العرب الى العالم الجديد».

وأخذت أتابع نشاطات هذا المستشرق الفرنسي الذي يعشق العرب ويحب لغتهم حباً لا يعادله سوى حبه للغته الفرنسية.

ولد جاك بيرك في الجزائر من أبوين فرنسيين، وعاش في عدة مناطق من شمال أفريقيا يمارس وظائف قضائية وإدارية وعلمية، ثم صار خبيراً تربوياً لليونيسكو في مصر، وتنقل ما بين القاهرة وبيروت في مهام رسمية مديراً لمركز التربية الاسلامية، أو مديراً لمعهد اللغة العربية، الى أن استقر به المقام في جامعة السوربون في باريس، حيث أخذ في إصدار بحوثه ودراساته التي تتناول الحضارة العربية قديماً وحاضراً.

ولما كانت القاهرة تحتفل بألفيتها عام ١٩٦٩ ، كان جاك بيرك ضيفاً متميزاً من بين الحضور الاجانب لأنه كان يصرّ على التحدث باللغة العربية الفصحى، وكان موضع اهتمام الكتّاب والنقاد العرب وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين.

كنت في ذلك الوقت مندوباً لإذاعة وتلفزيون الكويت في القاهرة، وأقدّم برنامجاً إذاعياً عنوانه «أديب الأسبوع»، فبذلت جهداً لإجراء حوار مع جاك بيرك، لكن محاولاتي لم يحالفها النجاح، الا أن الرغبة في الالتقاء به ظلت تحتل موقعاً في نفسي إذا ما توفرت الظروف الملائمة لتحقيق ذلك اللقاء، وقد ازدادت هذه الرغبة أكثر فأكثر عندما أصدر كتابه «عربيات» الذي يروي فيه بعضاً من سيرته الذاتية مركزاً على الجانب العربي من حياته، فتناول طفولته في الجزائر، وبواكير ملاعب صباه، ثم شبابه في المغرب، وأشار الى المهمات التي أنيطت به ومارسها بين كل من شمال أفريقيا ومصر ولبنان، وتحدث عن علاقاته مع العديد من الشخصيات العربية، في مجالات الفكر والثقافة والسياسة والإعلام، وشرح الظروف التي جمعته بكل منهم، كما أفرد فصلاً كاملاً يشرح فيه مدى شغفه باللغة العربية، وتعمقه في مفرداتها، مما جعله متمكناً من ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية.

التقيته في باريس في أوائل الثمانينيات، وكان بصدد إعداد سلسلة من التراجم «بيبلوغرافيا» عن أقطاب الثقافة العربية بمختلف تياراتها، وكان اللقاء في مكتبه في جامعة السوربون، حيث قمت بتسجيل الحوار الذي دار بيننا.

ولظروف لا يتسع المجال لشرحها، لم أقم بتفريغ شريط التسجيل، ولكن عندما توفي جاك بيرك استمعت الى الشريط مجدداً ثم قمت بتفريغه على الورق، وكنت لأتصور أن حديثاً كهذا سيكون سبقاً للجريدة التي أكتب فيها، لكن رئيس القسم الأدبي فاجأني برفضه الحوار دون أن يكلف نفسه مجرد إلقاء نظرة عليه بحجة أن ما كُتب عن جاك بيرك بعد وفاته قد غطى كل جوانب حياته.

وهأنذا أدفع بالموضوع للنشر دون حذف أو إضافة، التزاماً مني بتاريخية الحدث وصدقيته في حينه، إذ إن جاك بيرك كان له موقف من حرب الخليج الثانية يميل الى ترجيح كفة على الكفة الأخرى، وهذا الذي أفقده بعضاً من جماهيريته، لا سيما قد عُرف بالموضوعية التي كثيراً ما نجدها في تحليلاته ودراساته.

قيلت في جاك بيرك بعد وفاته وجهات نظر متعددة ومتباينة، وأزعم أن شريط التسجيل الذي احتوى على حوار بيني وبينه، وهأنذا أفرغه على الورق، قد أضاف جديداً، أظهر فيه المستشرق الفرنسي وجهه الحقيقي حيال الكثير من القضايا الفكرية والثقافية بل السياسية.

□ □ □

كان سؤالي الاول لجاك بيرك:

□ **تكررون دائماً في تصريحاتكم وحواراتكم مع العرب أن سبب اهتمامكم بهم ليس مرجعه حبكم للعرب،**

وإنما هو الإخلاص لهويتكم الفرنسية. . فهل من الممكن استجلاء هذه النقطة؟!

ــ أنا لست صديقاً للعرب لأنني عدو لفرنسا، فهذا ليس من شأني، إنما هو من شأن أحد كبار المفكرين والمثقفين الفرنسيين، وأرجو أن تعذرني من ذكر اسمه!! [يقصد روجيه جارودي]. . كما أنني لا أنتمي الى جوقة «المازوخيين» ممن يدافعون عن الغير ويتلذذون بجلد الذات. ولكي أجيب عن سؤالك بكل صراحة، أقول: إن العرب قد طلبوا مني بشكل مباشر أو غير مباشر أن أضع قواعد سليمة ترتكز عليها أسس العلاقات بين الطرفين، بيني وبينهم، دون أن أتنازل عن هويتي لتحقيق رغباتهم أو العمل على إرضائهم، كذلك دون أن يخلّ ما يطلبونه مني بإعجابي ببعض معطياتهم، والتي أعتقد أن نقلها الى الفرنسية لا أقول يخدم فرنسا، وإنما يعطيها بعض الحصانة في معرفة كيفية التفكير العربي والتعامل مع العرب من أجل مصلحة فرنسا بالدرجة الأولى.

□ على أي أساس ترتكز في تشاؤمك من واقع العرب المعاصر وتفاؤلك بمستقبلهم؟!

ــ لكي أكون صادقاً كل الصدق معك، لا بد أن أقول إن العرب في وضع خطير، وقد تفاقمت خطورة هذا الوضع أكثر فأكثر عندما انفردت مصر بخطها السياسي وتوجهاتها للصلح مع اسرائيل!

وباعتباري من الذين يكرسون جُلّ اهتمامهم برصد الشأن العربي

منذ مطلع هذا القرن، أستطيع أن أقارن بين ظروفهم الماضية والظرف الراهن فأقول: إن نظرتي للمستقبل العربي تتسم بالمسحة التفاؤلية لو أنهم يعملون جادين على تخطي السلبيات. ويكرسون ما تقوم به بعض الجهات العربية من السير في الخط الداعي الى لمّ شمل العرب بعد تفرقهم.

□ **كيف من الممكن أن يحصل ذلك؟!**

ــ من الممكن أن يحصل وبمنتهى البساطة، لإيماني بدور الثقافة الكامنة في صيرورة هذه الأمة العربية، فإذا كان هناك بعض الإخفاقات في الجوانب السياسية، فذلك لا يعني أن من أُنيطت بهم مهمة الوعي الثقافي قد اندحروا هم أيضاً. فأي نظرة أنثروبولوجية تحليلية لتاريخ المنطقة العربية تؤكد علمياً أن الثقافة من الأسس العظيمة في تاريخ هذه الأمة، وهي التي أوجدت حالات الترابط بين أبنائها رغم المعوقات الناشئة عن القرار السياسي فيها. . فلست مع المتشائمين ممن يقولون إن العرب قد بلغوا الدرك الأسفل، فهؤلاء يبالغون ويأخذون في تحليلاتهم التشاؤمية تلك من مصادر تعتمد على جزئيات مؤلمة، ومنهم بعض المثقفين العرب وعلى رأسهم الشاعر أدونيس.

□ **إذن أنت ترى أن الثقافة من الممكن أن تحقق ما تعجز عنه السياسة؟!**

ــ نعم، وأنا أدعو المثقفين العرب ألا ييأسوا وألا يكون إيمانهم منصبّاً على التنظير، لإيجاد الوسائل التي تحقق السعادة

لمجتمعاتهم. لكن عليهم أن يكرسوا جلّ اهتمامهم لكيفية إيجاد السبل التي تساعد على حل المشاكل التي تعترض طريقهم، ولو أن هؤلاء العرب ـ المتشائمين ـ قد قارنوا بين ما يعتري حياتهم في الوقت الراهن وبين ما كان يحدث بالأمس لأقرانهم من المثقفين، لوجدوا أن الفروق كبيرة جداً، إذ إن ابن باديس وجماعته كانوا يعيشون في ظروف خانقة، ولكنهم استطاعوا أن يصنعوا تياراً كان من نتيجته أن حصلت الجزائر على استقلالها. هذا ما جعلني أتفاءل بالرؤية المستقبلية للعرب، وإن كانت ظروفهم الراهنة تجتاز مرحلة في غاية الصعوبة والتشرذم.

□□□

ثم أخذ جاك بيرك في ذلك الحوار يسترسل مبيناً الدور الحضاري الذي لعبه العرب على امتداد التاريخ، ولكنه لم يضف جديداً، فما قاله عن الفارابي والكندي وابن رشد وغيرهم في ميدان الفلسفة، قد سبقه إليه العديد من المثقفين والمستشرقين بل وفلاسفة الغرب جميعهم.

وكذلك تحدث بيرك باستفاضة عن الشعر والنثر والحياة الثقافية في تاريخ حقب ما بعد الإسلام، ووقف طويلاً أمام الفترة العباسية، لكنني كنت حريصاً على أن أصل به في حوارنا الى الحديث عن معايشته وعن تجاربه الخاصة بعيداً عن المأثورات التاريخية، فوجدته شديد الحرص على الوقوف طويلاً أمام طه حسين ومعطياته، وما أحدثه من تيار ثقافي في وقتنا الراهن.

□ لماذا اهتمامك بطه حسين على وجه التحديد دون سواه من المعاصرين؟!

ـ عميد الأدب العربي طه حسين هو مؤسس الكلاسيكية العربية الجديدة، لطالما أطربني بصوته الأجش الذي لا يخلو من خشونة، رغم عمقه وسلاسته عندما يغرّد بذلك المخزون الثقافي مستنبطاً الجديد تلو الجديد، وأنا بخلاف أغلب المستشرقين أتحدث الى طه حسين عندما أزوره في بيته الكائن في شارع الهرم.. أتحدث إليه باللغة العربية، وكان يُسعد بذلك أيما سعادة.

□ قلتم إن طه حسين مؤسس الكلاسيكية العربية الجديدة، هل معنى ذلك أنكم تريدون تأصيل هذه الصفة وقفاً على الدكتور طه حسين؟!

ـ كلمة تأصيل مصدرها الأصالة، أليس كذلك؟ والأصالة في نظري هي الإسناد الى الأصول، وهي استحضار الأصول في مختلف الظروف للإنسان والفرد والجماعات. لعلك تسألني ما هي الأصول؟! معنى الأصول يتدرج على عدة مستويات. هناك المستوى الفقهي أو مستوى العقيدة الدينية، وكما هو معروف فإن فقهاء الأصول يختلفون عن فقهاء الفروع. الأصولي هو الذي يهتم قبل كل شيء بالجذور، الجذور التي كوّنها التنزيل الإلهي للإنسان من التراث الديني، بدءاً بالقرآن الكريم. ذلك هو التعريف الديني أو الروحاني اذا شئت، غير أن هناك معاني وتعاريف أخرى.

□ **مثل ماذا؟!**

ــ كالتعريف التاريخي الذي يردّ الأصول الى القواعد، أي الى الأرضية التي ينمو الانسان عليها أو فيها، قاعدة الانسان هي من البلد، من الأجداد، من الضمير، الضمير الشعوري، والضمير اللاشعوري. هكذا فإن معاني الأصول تتدرج كما ترى من الروحاني الى التاريخي وفق الإساس نفسه. الانسان الأصيل هو الذي يعتمد على قاعدته: قاعدته الروحانية أو قاعدته التاريخية والأرضية، والمشكلة التي تطرحها الاصالة هي مشكلة الجمع بين تلك القاعدة وما تراكم عليها بمقتضى الظروف. أو بعبارة أخرى، إذا كانت الأصالة عند الانسان والمجتمعات هي الوفاء للقيم الشخصية والفردية والجماعية، فكيف تستطيع أن تجابه تحديات العالم الجديد؟ تلك التحديات التي تتجلى في تأثيرات القوى الدخيلة التي ربما جعلت من الانسان أو المجتمع ممسوخاً سليب الأرض من أرضيته والتي يصفها كثير من الناس بالمعاصرة.

□ **نعود الى طه حسين وتشبيهك إياه بمؤسس الكلاسيكية العربية الجديدة.**

ــ أنا في صلب الموضوع، فتلك المعاصرة التي أشرت اليها قبل أن تقاطعني ليست معاصرة صحيحة!. ذلك أن المعاصرة الصحيحة لم تتنازل ولن تتنازل عن أصولها لسبب بسيط: تحولات التاريخ، تطورات الانسان والجماعات.

□ **ما تطرحه يا دكتور بيرك هو تفسير لمعنى الأصالة المعاصرة؟**

ـ دعني أتم من فضلك!! وأرجو عدم مقاطعتي! لا بد لنا من القيام بتحليل دقيق يميز في الخصوصية أو في الجماعة ما هو من الثوابت وما هو من المتحولات. ذلك عنوان كتاب صديقي الشاعر أدونيس، لكنه كما تعلم يحمل معنى يختلف قليلاً عن المعنى الذي أعنيه بهذين المصطلحين. المهم أمام الانسان الحالي الذي يجد نفسه في عصر الجليد، وهي تسمية لشاعر من شعراء العرب أيضاً الذين كثيراً ما أطلقوا على هذه الحالة تسميات مثل: عصر الجليد، الزمان الكسيح، الزمان الجريح إلخ. أعني أمام تلك الفترة التي يتم فيها اجتياز صحارى الانسان بلا أصول، علينا أن نتساءل: هل نحن الآن أهل المصير بلا أصيل، أم أهل الأصيل بلا مصير؟!

□ **اسمح لي دكتور بيرك.. أين الإجابة عن سؤال طه حسين من كل هذا؟**

ـ تلك هي مشكلة العالم العربي أساساً، ولعلها مشكلة الإنسان في العالم كله. فالتاريخ من وجهة النظر هذه ليس طمى الصدف، وتراكم مختلف التأثيرات علينا، بل هو ذكر، وذكرى، وتجديد، بل هو انبثاق مستمر لذاتية الجماعة، واستنباط دائم ينتج من اتفاق بين ثوابتنا وتحولات العصر الجديد، وهنا تكمن روعة طه حسين الذي استطاع أن يتواءم وبجدارة مع تلك المعادلة الصعبة.

□ هل من الممكن تبسيط الموضوع أكثر بإعطاء بعض الأمثلة على ما قلت؟

ـ نعم، سأضرب ثلاثة أمثلة أنقلها من آثار طه حسين، الأول: من كتابه «في الشعر الجاهلي» الذي صدر عام ١٩٢٦ والذي وقامت على أثره ضجة، وهناك من اعتبر هذا الكتاب فتنة، كما قال شيخ الأزهر في حينها إنه فتنة قائمة. لكن الحقيقة التي يجب الإشارة إليها أن كتاب «في الشعر الجاهلي» كان يمثل شباب طه حسين، ذلك الشباب المكبوت، كما أنه ـ أي الكتاب ـ لا يخلو من الانتقام ومن التحدي ومن المبالغة. نعم فقد بالغ طه حسين في السير بطريق المناهج المعاصرة، ولعله تأثر أكثر مما يجب بالبؤرة الفكرية التي عايشها أثناء إقامته في فرنسا.

وفي ذلك الوقت كانت تقوم معارك شديدة على صدر الصفحات، تدور حول وجود الشاعر اليوناني هوميروس صاحب الإلياذة والأوديسية، وقد أطلق على تلك المعارك يومها الفتنة الهومرية، فحاول طه حسين أن يستفيد من المنهجية التي كانت تستند إليها تلك المعارك الهومرية، فأراد أن يطبقها على موضوع عربي، فغامر بإنكار وجود شاعر كامرئ القيس، الذي كان المستشرق «مارغوليوس» قد أنكرت وجوده هو الآخر قبل طه حسين عام ١٩٢٥، فلعل ذلك الأمر قد دفع بعميد الأدب العربي لاستخدام نفس الحجج التي يستخدمها مارغوليوس لنفي وجود الشاعر امرئ القيس، علماً بأنني شخصياً قد قمت بترجمة معلقة امرئ القيس المشهورة، وقدمتها لعدد من النقاد الفرنسيين، فأجمعوا على ذلك الجمال المعجز لتلك القطعة الشعرية الرائعة.

ثم إنني زرت بنفسي منطقة نجد مفتشاً ومطابقاً بين الأسماء التي ذكرها الشاعر في قصيدته كحومل الدخول وغيرهما.. واستنطقت في سبيل الوصول الى الحقيقة عدداً من أبناء قبيلة الدواسر، فوجدت أن ثمانين بالمئة من الأسماء التي وردت في معلقة امرئ القيس ما زالت راسخة في أذهانهم. ومع ذلك فأنا لا أنكر أن كتاب «في الشعر الجاهلي» يمثل إنجازاً أدبياً كبيراً في تاريخ الأدب العربي الجديد، باعتباره يقوم بأول امتحان عقلاني جديد من نوعه في المشرق العربي عامةً، كما أنه يمثل مبادرة أسلوبية جديدة، ويطالب باستخدام الاستقراء العلمي النقدي في أمور وقضايا التاريخ الأدبي بدلاً من الجماليات والمجاملات.

□ **لكن كتاب طه حسين «في الشعر الجاهلي» لم يلق ذلك القبول عند الليبراليين أنفسهم وفي مقدمتهم سعد زغلول نفسه! ولعلك تدرك أن إسراف الدكتور طه حسين في جعل شخصيتي سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وكأنهما من الأساطير، رغم ذكرهما في القرآن الكريم.. أحد الأسباب التي أججت تلك الضجة؟**

ـ لا شك في أن الدكتور طه قد أسرف في تطبيق نظرية فلسفة الشك المنهجي، إذ من الواضح أن طريق التنزيل الديني ليس هو طريق التحري العلمي، غير أنه لا يسعنا إلا أن نشيد بالمساعي الشجاعة التي بذلها طه حسين لتمكين جيل كامل من الأمة العربية من السير على طريق الأساليب العقلانية الجديدة.

□ والمثل الثاني؟!

ــ المثل الثاني، اسمح لي أن أقرأ عليك بضعة سطور من كتاب «الأيام» الذي أراه من أجمل ما كتب طه حسين، وبالمناسبة فإن الدكتور طه قد كتب الجزء الأول منه في تسعة أيام قضاها في سويسرا، سأقرأ لك هذه الصفحة [ثم تناول الكتاب]:

«لا يذكر لهذا اليوم اسماً، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر، والسنة، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتاً بعينه، وإنما يقرب ذلك تقريباً.

وأكبر ظنه أن هذا الوقت يقع من ذلك اليوم في فجره أو في عشائه. يرجح ذلك لأنه يذكر أن وجهه تلقى في ذلك الوقت هواء فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تذهب به حرارة الشمس. ويرجح ذلك لأنه على جهله حقيقة النور والظلمة، يكاد يذكر أنه تلقى حين خرج من البيت نوراً هادئاً خفيفاً لطيفاً، كأن الظلمة تغشى بعض حواشيه.. ثم يرجح ذلك لأنه يكاد يذكر أنه حين تلقى هذا الهواء وهذا الضياء، لم يؤنس من حوله حركة يقظة قوية، وإنما آنس حركة مستيقظة من نوم أو مقبلة عليه. وإذا كان قد بقي له من هذا الوقت ذكرى واضحة بينة لا سبيل إلى الشك فيها، فإنما هي ذكرى هذا السياج «...».

في الجملة الأولى نجد القديم والجديد، الأصيل والمتجدد..

□ □ □

وانتهى الكلام المسجّل على الشريط عند هذا الحد، لكن الحوار مع جاك بيرك قد استمر ليشمل الكثير من ذكرياته وتجاربه، كما حدثني عن زياراته لمناطق متعددة في الوطن العربي كان هدفه منها البحث والتحقيق، وعندما سألته عن علاقاته بأدباء منطقة الخليج وجنوب الجزيرة العربية، فذكر لي أنه شديد الإعجاب بحمد الجاسر، أما عن السياسيين فإنه يذكر الملك عبد العزيز آل سعود بكل التقدير والإعجاب، ويرى أنه واحد من أعظم القادة في هذا القرن، وذكر كذلك الزعيم المصري جمال عبد الناصر وقال: إن شارل ديغول كان شديد الإعجاب بناصر.

□ □ □

جلال الطالباني

التقيته في لندن عام ١٩٩٢ قادماً إليها من دمشق حيث اجتمعت الحركة الوطنية العراقية هناك وأعدت سلسلة مبادئ للعمل المشترك من أجل إسقاط النظام في العراق.

اللقاء مع جلال الطالباني طاول هموم الأمة العربية والكردية، حيث تحدث بإسهاب عن تجربته السياسية مع صدام حسين من موقع المهادن والمعارض، وتحدث عن العلاقات المميزة ما بين الكرد والعرب.

□□□

□ إلى أي مدى من الصراحة أستطيع أن أتحاور معك؟

ــ بصراحة كاملة لأنني لم أخف سياستي وتعاملي مع الأحداث في يوم من الأيام، ولم أقل شيئاً لا أؤمن به. قد تكون التقديرات تغيرت بتغير الظروف وهذا شيء طبيعي، فأنا ضد

الحكم العراقي الحالي، لكن لو حل محله حكم ديموقراطي فسأكون من مؤيديه.

□ **حتى لو أصبح صدام حسين ديموقراطياً؟!**

ـ صدام حسين لا يمكن أن يكون تقدمياً أو ديموقراطياً. في مرحلة من المراحل كنا نعمل مع التيار البعثي قبل أن يتسلم الحكم، ولكن عندما تسلّم الحكم وتحول إلى ديكتاتور أصبحنا ضده، وهذا لا يمكن أن يسجل كتغير في موقف جلال الطالباني بقدر ما يعني تغييراً في وقف التيار الآخر.

□ **من خلال تعاملك مع صدام حسين عبر مشوارك السياسي كيف تستطيع أن تصف لنا هذا الرجل؟!**

ـ صدام حسين ديكتاتور، طموح، لا يتقيد بالمبادئ والقيم العربية والإسلامية، ميكافيللي في أسلوب تعامله، لا يهمه إلا بقاء صدام حسين على سدة الحكم مهما كلف ذلك من دماء ودموع وتدمير اقتصاد أو جيش أو شعب. أفكاره فردية نرجسية شوفينية. وهو بعثي بقدر ما يخدمه ذلك في التسلط والنفوذ والتحكم. وصدام حسين مغامر داخلياً وعربياً وخارجياً!. لا يتورع عن شن الحروب ضد الشعب الكردي، وضد الشيعة في جنوب العراق، وحتى ضد تكريت أو إيران أو العرب والمسلمين لتحقيق أهدافه.

□ **هل تستحق تجربتك مع صدام وصفه بمثل هذه الأوصاف، لا سيما أنها تميزت بحوار ثم خلاف؟!**

ـ الحقيقة أن التجربة كانت مع النظام ككل تجربة حوار من أجل إيجاد حل سياسي للقضية الكردية، عندما كان الجيش العراقي قد أصيب بهزيمة كبيرة في معارك المحمرة بمنطقة خوزستان الإيرانية ووصل الجيش الإيراني إلى الحدود الدولية العراقية، أصر الحكم في إيران على مواصلة القتال ضد العراق، مما اعتبرناه نحن تدخلاً في الشؤون الداخلية للعراق، إذ إن مسألة إسقاط النظام وتغييره وتبديله هي مسألة داخلية عراقية في نظرنا يتولاها الشعب العراقي بقوميتيه العربية والكردية، وبالتالي لا يجوز لقوى خارجية أن تأتي وتفرض نظاماً معيناً على الشعب العراقي. لذلك ارتأينا قبول وساطة الشهيد الدكتور عبد الرحمن قاسملو الأمين العام للحزب الديموقراطي الكردستاني الإيراني للتفاوض مع الحكومة العراقية، وقمنا بمحاولات جادة من أجل الحل السياسي للقضية الكردية، لكننا جوبهنا بتعنّت الحكم وإصراره على مواصلة سياسته الشوفينية المعادية للشعب الكردي، وخاصة بعدما حصل على ضمانات من أميركا والاتحاد السوفياتي بعدم السماح لإيران بتحقيق انتصار عسكري على الحكم العراقي. عندما تأكد صدام حسين من ذلك وعندما زاد الضغط عليه من بعض الأطراف المجاورة، رضخ لهذه الضغوط ورفض توقيع الاتفاق الذي تم التوصل إليه بعد أكثر من سنة من الحوار في اللحظة الأخيرة. في اليوم المحدد رفض صدام حسين التوقيع على الاتفاق الذي كان قد تم بين الجانبين الكردي والبعثي في العراق مما أدى إلى انهيار المفاوضات واستئناف القتال من جديد.

□ **أستاذ جلال، المعروف أنك محنك سياسياً، وأنك تعاونت مع تيارات متناقضة ومختلفة. كيف لم تخرج بنتيجة مع صدام؟!**

ــ هذه التيارات حين تعاوّنا معها كانت في ظروف مشابهة لظروفنا. نحن تعاونا مثلاً مع التيار الشيوعي، ومع التيار الناصري، ومع التيار البعثي، ومع التيار الإسلامي، كل في حينه وفي ظروفه، وأنا غير نادم على ذلك، والآن لا بد من التعاون مع كل الذين يعادون الديكتاتورية في العراق. وأعتقد أن السياسي الذي يمارس العمل النضالي الحقيقي والذي يريد التغيير والتطور لا يطرح شعارات فقط، بل لا بد من أن يكون مواكباً لتطورات الأحداث، ومتعاوناً مع القوى العاملة في مجتمعه. لقد تعاونا مع الرئيس جمال عبد الناصر عندما كان قائداً للقومية العربية، ثم تعاونا مع حزب البعث لكن حزب البعث اختلف مع عبد الناصر، ونحن بقينا على علاقتنا مع عبد الناصر. أنا من السياسيين الذين دونوا أفكارهم ومواقفهم. وأتحدى أي واحد أن يحاسبني على تغيير أساسي في الخط العام الاستراتيجي. أما التكتيكات فتتبدل كل يوم. في الخط العام مواقفي واضحة: لم أشتغل إلا في الأحزاب الكردية، لم أشترك يوماً من الأيام في حزب عراقي عربي، شيوعي، أو قومي عربي، كنت دائماً في خط يساري كردي وكنت صديقاً لعبد الناصر وللخط القومي العربي وما زلت. سنة ١٩٦٨ كنا وحدنا ندافع عن عبد الناصر في العراق، وكانت جريدتنا «النور» الوحيدة التي تنشر أخبار مصر وأخبار حرب الاستنزاف.. رغم

أن الحكم البعثي كان يشتم عبد الناصر ليل نهار، وكذلك صحف بغداد.

□ **أحلامك الكردية إلى أين؟!**

ــ أحلامي الكردية هي أن أرى الشعب الكردي متحرراً موحداً متمتعاً بحق تقرير المصير. هذا هو الهدف الاستراتيجي.

□ **أي هدف في الوضع الحالي وأنتم منقسمون على أنفسكم؟**

ــ أنت تسألني عن أحلامي وهي ليست الأهداف الواقعية. إنني أُقسم حياتي إلى أهداف مرحلية استرتيجية، وأساسية.

□ **أنتم تتعاملون مع من يحقق لكم مكاسب لقضيتكم الكردية، وقد تعاملتم مع صدام في فترات متفاوتة وكانت لكم معه لقاءات وحوارات واتفاق، أليس كذلك؟**

ــ ضمن السياق الذي طرحته، ولكن اتضح لنا أن صدام على رأس قائمة أعداء الشعب الكردي، وهو عندنا على رأس قائمة أعداء الشعب الكردي بحكم سياسته المتمثلة في حرب الإبادة والقائمة على أساس إنكار حق الشعب الكردي في وطنه كردستان، وبحكم سياسته الرامية إلى تهجير هذا الشعب. آخرون أيضاً يقفون ضد الشعب الكردي، لذلك أعتقد أن الحركة التحررية الكردية تناضل من أجل أهداف حقيقية، قابلة للتحقيق، وأهداف بعيدة المدى، وهي إسقاط النظام الديكتاتوري في

العراق، وإحلال حكم ديموقراطي، وإحلال مبادئ حقوق الإنسان، وتحقيق حق تقرير المصير للشعب الكردي. وهذا لا يعني أننا نترك الحلم، الحلم هو النجمة الهادية في المسيرة البشرية.

□ **عدتم أخيراً من مؤتمر للتحالف الوطني في دمشق، واستعدادات المعارضة العراقية للبديل المنتظر بعد سقوط صدام.. فهل كان هذا التجمع بمستوى الحدث؟!**

ـ نحن نعتقد أن المعارضة العراقية تسير الآن بخطوات موزونة نحو التحالف والعمل المشترك، وقد نجحت المعارضة العراقية في الاتفاق على برنامج أساسي وكذلك على بيان سياسي، مما يجعل منها البديل المنشود والمطلوب ضد النظام الديكتاتوري القائم في العراق وذلك للأسباب التالية:

أولاً، المعارضة العراقية تمثل جميع فئات الشعب العراقي من عرب وكرد، من سنة وشيعة، من علمانيين وإسلاميين، من يساريين وليبراليين، من قوميين وشيوعيين إلى آخره من فئات المجتمع العراقي.

ثانياً، لأن المعارضة العراقية تمثل غالبية الشعب العراقي، وهي ذات جذور عميقة في هذا المجتمع.

ثالثاً، لأن المعارضة العراقية بفرضها البديل الوطني الديموقراطي محل الحكم الديكتاتوري تنقذ العراق والأمة العربية من كارثة

محتمة يقودها إليها الديكتاتور العراقي الحاكم صدام حسين.

الاتفاق على البيان وإعلانه هو بداية للعمل المشترك للمعارضة العراقية، بعد ذلك ستشرع المعارضة في تشكيل الوفود لإرسالها إلى البلدان العربية، والأوروبية، والأميركية، للمطالبة بالاعتراف بالمعارضة العراقية كبديل. المعارضة تعتقد أن من واجبها أن تطالب الديكتاتور بالاستقالة وترك الحكم بحيث تتولى المعارضة تشكيل حكومة انتقالية ائتلافية، وتقوم بإجراء انتخابات حرة لمجلس تأسيسي يتولى وضع الدستور الدائم والقوانين وتحديد وتعيين النظام العراقي الجديد.

وقد تكون المطالبة بالاستقالة هي المدخل لإنقاذ العراق من الحرب التي يقودها إليه صدام حسين، وبالتالي من حق المعارضة باعتبارها تمثل أغلبية الشعب العراقي أن تتولى الحكم وأن تكون البديل الطبيعي، وهو بديل وطني ديموقراطي شعبي وغير مرفوض من الخارج، منبثق من داخل المجتمع العراقي. واستقالة صدام حسين وتسليمه مقاليد الحكم إلى المعارضة العراقية ستنقذ الشعب العراقي من الحرب، وتنقذ المنطقة من المخاطر التي نجمت عن غزو الكويت واغتصابها وضمها قسراً إلى الحكم الديكتاتوري العراقي.

- **أن يسلم صدام حسين الحكم للمعارضة مسألة رومانسية بحتة، وأعتقد أنه لن يقول لكم تفضلوا، سيكون هناك ألف وسيلة ووسيلة للرفض، وربما تؤدي إلى تصفيات جسدية؟!**

ـ حركتنا حركة حضارية، وفي هذا العصر تستقيل الحكومات عندما تفشل، وعندما تقود البلد إلى حالة مأساوية.

□ **تتكلم عن الحضارة، هل يخضع صدام حسين لمنطق الحضارة؟!**

ـ عندما يرفض صدام حسين الأسلوب الحضاري لا يعني هذا أيضاً أن نتوحش مثله ونرفض الأساليب الحضارية في النضال. نحن نعتقد أن هذا أسلوب جيد نثبت به للشعب العراقي أننا نريد تخليصه من الديكتاتورية، ومن الحرب. ونحن نتوقع أن يرفض صدام حسين الإذعان لإرادة الشعب العراقي ولإرادة المعارضة العراقية. وهنالك احتمال ٩٠٪ ألا يقدم على الاستقالة، ولكن المطالبة بالحق لا تعني دائماً الرومانسية المطلقة، بل مطالبة وعادلة ومشروعة.

□ **أنتم في الخارج والصوت يصعب وصوله إلى الداخل لأن الشعب العراقي محاصر بإذاعة وتلفزيون وصحافة موجهة، والسفر ممنوع، هل هناك استراتيجية لإيصال هذه المعارضة إلى الداخل؟!**

ـ المعارضة العراقية ليست في الخارج فقط وهذا خطأ شائع في الصحافة العربية، إذ يُعتقد أن أقطاب المعارضة العراقية في الخارج أو المعارضة المهاجرة هي كل المعارضة. في الحقيقة أن المعارضة موجودة في الداخل، وللمعارضة الكردية الآن قواعدها الموجودة داخل كردستان وقرب المدن الرئيسية، وهناك مناطق محررة، ومقار المعارضة داخل

الأراضي العراقية. ما زالت لأحزاب المعارضة جذور وتنظيمات قوية موجودة داخل صفوف الشعب العراقي، وداخل المدن، والمجمعات السكنية، والريف وفي كل مكان.

□ **أعود إلى التحالف الوطني، أنت تعرف أن هناك تناقضات بين الإسلاميين واليساريين والشيوعيين وحتى في صفوف الحركة الكردية نفسها؟!**

ــ لا توجد تناقضات في صفوف الحركة الكردية، فهي موحدة منذ أكثر من سنتين في الجبهة الكردستانية التي تضم ثمانية تنظيمات كردية أساسية وثانوية، وحتى الحركة الإسلامية في كردستان العراق متفقة ومتضامنة ومتحالفة مع الأحزاب الرئيسية في الجبهة. ثم إن داخل المعارضة العراقية نقاط اختلاف، وقواسم مشتركة. نحن اتفقنا على القواسم المشتركة وتركنا نقاط الاختلاف. لكل حزب برنامجه واستراتيجيته وشعاراته، وله أن يطالب بهذه الشعارات وفق منطق حضاري. اتفقنا بيننا على أن لكل حزب في العراق أن يطالب بتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة بطريقة ديموقراطية وعن طريق العودة إلى الشعب.

□ **ماذا يقول جلال الطالباني عن مشروع وحدة الأكراد في كل من إيران وتركيا والعراق وسورية في ضوء ما يحدث في الساحة من مستجدات؟!**

ــ الوحدة الكردية حق من حقوق الأمة الكردية، ولكن هذا الحق بعيد المنال وغير قابل للتحقيق في الظروف الدولية.

□ **كيف ترى الوحدة الوطنية الكردية بالتعاون مع القوة العربية في العراق من خلال اجتماعكم في دمشق؟!**

ـ الوحدة الوطنية العراقية ضرورة تاريخية وحاجة ملحة. الوحدة الوطنية العراقية تستند إلى جناحين، جناح كردي وجناح عربي، ودون تحقيق الوحدة والعمل المشترك لا يمكن الانتصار على النظام الديكتاتوري، لذلك على الحركة التحررية الكردية دور فاعل وأساسي في توحيد الآراء وتأسيس وحدة المعارضة العراقية في مباحثات دمشق.

□ **كيف ترى الحكم في كردستان بعد صدام؟!**

ـ الحكم في العراق يجب أن يكون حكماً ديموقراطياً برلمانياً، وأن تتمتع منطقة كردستان بنوع من الفدرالية.

□ **قبل سنتين كنت في أميركا، وأثارت زيارتك ضجة وأجلت زيارة وزير الخارجية العراقي إلى واشنطن. وقبل أسابيع فرشت لك السجادة الحمراء في مطار باريس ولهاتين الإشارتين دلالة، فعلى أي أسس تتعاون مع المجتمع الدولي، وماذا حققت؟!**

ـ العلاقة مع هذه الدول لم تصل إلى مرحلة التعاون، خلال السنوات الأخيرة، أدركت الحركة الكردية ضرورة العمل والاتصال بكل الدول الفاعلة والمؤثرة وأضافت النضال الدبلوماسي إلى النضال المسلح والفكري، والإعلامي والتنظيمي بعدما كانت محرومة لفترة طويلة من العلاقات الدولية. لهذا طرقت أبواب باريس وموسكو ولندن وبرلين

وواشنطن. في واشنطن عرضنا القضية الكردية على الأوساط الأميركية، وبحثنا مسألة مهمة وهي أن المساعدات الأميركية للعراق تساعد الحكومة على شن حرب الإبادة ضد الشعب الكردي. الحكومة الأميركية كانت تزود العراق بالمواد الزراعية التي كانت تنتج سابقاً في كردستان وتغطي حاجة العراق مثل الحنطة والشعير والأرز والفواكه والتبغ، فاستغنت الحكومة عن إنتاج كردستان، واستطاعت تدمير الريف والإقتصاد الكردي، فكان ضرورياً شرح هذه النقطة للإدارة الأميركية.

□ هل كان ذلك التدمير مقصوداً؟!

ــ أعتقد أن الحكم العراقي كان يقصده، والإدارة الأميركية كانت غافلة، وعندما شرحنا الموضوع للأميركان وضحت هذه النقطة.
الهدف الثاني من الزيارة كان معرفة أسباب معاداة السياسة الأميركية للشعب الكردي فتعجبوا. قلنا لهم إنكم تساعدون الحكومة التركية ضد الشعب الكردي، وساعدتم شاه إيران ضدنا، وتساعدون الحكم العراقي ضدنا أيضاً، فقالوا هذه علاقة دولية وحاولوا أن يفهمونا أنهم مع الحقوق الكردية ضمن الدولة العراقية، لكنهم دافعوا كثيراً عن الحكم العراقي، ودافعوا كثيراً عن صدام حسين، وقالوا إنه لابد من التعامل معه لأنه رجل مهم بالنسبة للسياسة الأميركية في المنطقة، وهو يقف ضد الزحف الإيراني ويحفظ المصالح الحيوية للغرب في المنطقة، وبالتالي أكدوا لنا أنه يجب أن نتعامل معه وأن نتفاوض لإيجاد حل

سياسي للقضية الكردية. أما زيارة باريس فكانت بناءً على دعوة رسمية من الحكومة الفرنسية لوفد الجبهة الكردستاني برئاستي وعضوية ممثلي الحزب الديموقراطي الكردستاني، وحزب الشعب الديموقراطي الكردستاني، والحزب الاشتراكي الكردستاني، وكانت بقرار سياسي من الرئيس فرانسوا ميتران الذي استقبل الوفد في وزارة الخارجية الفرنسية وفي الإليزية، وفي البرلمان، كذلك استقبل الوفد السيدة الأولى، وأعتقد ان لهذه الدعوة دلالة هي أن القضية الكردية لم تعد قابلة للتجاهل، فالشعب الكردي يبلغ تعداده في منطقة الشرق الوسط أكثر من ٢٥ مليوناً، ولا يمكن أن يبقى إلى الأبد منسياً، ولا بد للدول التي تهمها المحافظة على الأمن والاستقرار في المنطقة من بحث المسألة الكردية.

□ **ألا ترى أن الأكراد يُستخدمون في كثير من الأحيان كأوراق ضاغطة على حسب الأهواء والأجواء السياسية؟!**

ـ أعتقد أن العالم مليء بالتناقضات والعلاقات المتداخلة بين الشعوب والحركات والحكومات، ولا يستثنى من مسألة الاستغلال أي خلاف أو نزاع في العالم. الأميركيون استغلّوا النزاع الصيني ـ السوفياتي، وفي فترة من الفترات حاول الاستعمار البريطاني استغلال الحركة القومية العربية عندما حرضت الشريف حسين «شريف مكة» ضد الخلافة العثمانية.

□ **وهل ترى هذا تبريراً؟!**

ـ اسمح لي أن أكمل لترى رأيي في الموضوع. حاولت الحكومة الأميركية استغلال الحركة الناصرية، والخلاف العربي، الإسرائيلي، والعديد من الدول تحاول استغلال القضية الفلسطينية وكذلك القضية الكردية. إن فكرة استغلال الحركة الكردية، وواقعة استغلال الحركة الكردية موجودتان، المهم ألا تُخدع القيادة الكردية، وأن لا تنحرف عن الخط النضالي. نحن عندما نتعامل مع الحكومة الإيرانية، نعلم أنها تريد استغلال القضية الكردية، ونحن نريد استغلال «الجمهورية الإسلامية»، كلٌّ له مقاصده. وعندما تعاظمت الحركة الكردية وأصبحت بحاجة إلى مساعدات خارجية في الستينيات، عرضت الحكومة الإيرانية مدها بتلك المساعدات، وهنا أود أن أكشف سراً لا يعرفه أحد، وهو أن أول من توسط بين الأكراد والشاه من المسؤولين والحكام العرب هو الملك حسين. نحن نرفض العمالة أو أن تتحول الحركة الكردية إلى ألعوبة بيد الآخرين، ولكن لا أرفض تعامل الحركة الكردية مع العالم وفق مصلحتها الخاصة.

□ جلال الطالباني تربطه صلات وطيدة ببعض أركان الحكم العراقي وخاصة نائب رئيس الجمهورية طه محيي الدين معروف ويقال أنك على اتصال به؟!

ـ ما تفضلت به من اتصال أو لقاء غير صحيح إطلاقاً. كانت لي علاقة جيدة مع السيد طه محيي الدين معروف في قديم الزمان. ولا بد أن تعرف أن طه محيي الدين كان أحد المؤسسين للحزب

الديموقراطي الكردستاني العراقي الذي عملنا كلنا في صفوفه. وعندما كنت طالباً في الصف السادس الابتدائي كان طه محيي الدين معروف عضواً في المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني. لكنه ترك العمل الحزبي وظل على علاقة وثيقة بالمناضلين الأكراد. وقد فُصل سنة ١٩٦٢ عندما كان سكرتيراً أول في السفارة العراقية في لندن بسبب تعاطفه مع الثورة الكردية، وفي سنة ١٩٦٣ كان أحد أعضاء الوفد الكردي الذي كنت أرأسه في أوروبا. وقد رُشح من قبلنا في العام ١٩٦٨ للوزارة وعندما تم استدعاؤه من السفارة إلى العراق عام ١٩٧٤، اتصل بنا ونصحناه بعدم الاشتراك في الحكومة، لكنه رفض نصيحتي واشترك في الحكومة. ومنذ ذلك الوقت انقطعت علاقتنا، وعندما كنا ندير المباحثات مع النظام العراقي عام ١٩٨٤ رفضنا حتى اللقاء به.

وما قيل عن اللقاءات أنفيه جملة وتفصيلاً، لسبب بسيط هو أن محيي الدين يخاف حتى من ذكر اسم جلال الطالباني خوفاً من أن يصل الخبر إلى صدام حسين فيقطع رأسه.

□ **يقال أن كردستان رغم المقاطعة الاقتصادية العالمية للعراق أصبحت المنفذ لعمليات تهريب واسعة نظير الذهب الكويتي، فهل لديك أية معلومات حول هذا الموضوع؟!**

ـ لديَّ معلومات عن وجود حركة تهريب واسعة في منطقة كردستان. ولكن لا أعرف أنها نظير الذهب الكويتي المسروق.

ثم إن حركة التهريب كانت موجودة دائماً في كردستان بسبب تواجد الأكراد في المناطق الحدودية. وقد ازدادت حركة التهريب الآن لأن الشعب الكردي في كردستان العراق يتعرض للمجاعة. لكن كمية المواد المهربة لا تكفي لمعيشة السكان الأكراد في العراق، فكيف بالسوق العراقية؟.. أعتقد أن أخبار حركة التهريب مبالغ فيها في كردستان ونحن لا نمنع حركة التهريب لأن شعبنا الجائع في كردستان له الحق في ألا يموت من الجوع.

□ **يقال إن الطاقية التي يرتديها الشاعر الجواهري تُصنع بأيادٍ كردية، وتُقدم له كهدية منكَ سنوياً!!**

ــ هذا صحيح. فبيني وبين الجواهري صداقة ومحبة، وقد كتب لي أكثر من قصيدة، ومن أشهرها قصيدته التي ابتدأها: «شوقاً جلالُ» إلخ.

□ **هل من خطة مرحلية تسير بموجبها المعارضة العراقية لسقوط النظام؟**

ــ لقد بدأت منذ زمن طويل، ونحن بصدد استثمار نتائجها.

□ **متى على وجه التقريب؟**

ــ اصبر.. وردد مقولة شاعركم: «**ويأتيك بالأخبار من لم تزودِ**».

□ **هناك أقاويل كثيرة حول النشاط الإسرائيلي في كردستان، وأقاويل أخرى حول لقاءات إسرائيلية ـ كردية؟!.**

ــ لا أنفي، ولا أُؤكد، ولكن هذا الموضوع قد بولغ فيه، ومما لا شك فيه أن نشاط الاستخبارات الإسرائيلية «الموساد» متوغل في مناطق كثيرة في العالم، فلماذا تُستثنى كردستان من ذلك النشاط!!.. أما نحن على صعيد جلال الطالباني وحزبه فلا يمكن أن نوافق على أن تكون لنا علاقة بالصهاينة، فنحن مع الثورة الفلسطينية في خندق واحد، وعلاقتي برجالاتها وطيدة جداً.

□□□

حسين فوزي

الدكتور حسين فوزي من الشخصيات المثيرة للاهتمام بسبب تعدد اختصاصاته، والتي لا رابط بينها! فهو يحمل دكتوراة في علم البحار، ودكتوراة في طب العيون، ودكتوراة في الموسيقى، ويحمل ثلاث درجات دكتوراة في علوم أخرى! إلا أن شهرة الدكتور فوزي برزت في مجالين: الأول: إصداره سلسلة من كتب السندباديات، ضمَّنها فلسفته في الحياة، ولكنها لم تحظ بنفس الشهرة التي حظيت بها كتب أقرانه من أدباء أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، وإن أقبلت على قراءتها النخبة لما تحمله من مضامين متميزة منبثقة عن ثقافة عميقة وشاملة.

أما المجال الثاني الذي عرف به، فهو عندما تولى منصب وكيل وزارة الثقافة والإرشاد في مصر، وكان الى جانب فتحي رضوان، ويحيى حقي، وأحمد علي بكاثير، وغيرهم من واضعي أسس التخطيط للنهوض الفني والفكري والثقافي المعاصر في مصر.

□ □ □

التقيته عام ١٩٦٩ في شقته المقابلة لحديقة الحيوان في القاهرة، وكان حينها في شبه عزلة عن الناس، وقد واجهتني في مهمة التحاور معه صعوبتان، الأولى في عدم قدرته على السمع إلا إذا رفع المتحدث إليه صوته، والثانية كثرة القطط بصورة غير اعتيادية في صالونه، وعدم السيطرة على حركتها ومموائها، إضافةً إلى حدة مزاجه!

وبالرغم من الصعوبات الفنية لتسجيل الحوار معه، فقد تمكنت من إنجاز تلك المهمة بصعوبة بالغة، فالدكتور فوزي ما كان يحب الحديث للصحافة أو الإذاعة.

□ □ □

□ كتابك الأول «سندباد عصري» صدر عام ١٩٣٨، وكتابك الثاني «حديث السندباد القديم» صدر عام ١٩٤٣، والكتاب الثالث «سندباد إلى الغرب» صدر عام ١٩٤٩، والكتاب الأخير في هذه السلسلة «سندباد مصري». . لماذا اخترت السندباد كقاسم مشترك لعناوين كتبك؟

ـ المفترض في السؤال أن يكون البحث عما احتوته هذه الكتب من مضامين، وليس القاسم المشترك في العنوان؟!

□ ما دمت قد وضعت السؤال بالطريقة التي تراها، فإني أتنازل عن السؤال الأول لكي أسمع إجابتك عن مضمون كل كتاب من سندبادياتك!.

ـ شوف يا سيدي، «سندباد عصري» تضمن صفحات عن جولاتي في المحيط الهندي في الثلاثينيات، حيث عشت على ظهر سفينة مع نخبة من علماء البحار والجغرافيا، وكلهم خبراء، وأساتذة جامعات في أوروبا وأميركا. كتبت عن هذه المرحلة أصور فيها حياتي ومشاهداتي، وكان يفترض أن تكون رحلة علمية، ولكن تبين لي أنها تخلت عن مهمتها العلمية.

□ كيف؟!

ـ لا، الموضوع ليس بهذه البساطة حتى أروي لك كيف تم ذلك!! لا.. شوف لك سؤال ثاني!!

□ كتابك الثاني «حديث السندباد»؟!

ـ هذا الكتاب هو عكس كتابي الأول، لأنه رحلة خيالية زماناً ومكاناً، بينما كان «سندباد عصري» يتضمن وقائع حقيقية، فإن «حديث السندباد القديم»، حلّقتُ فيه برحلة خيالية إلى القرون الوسطى، مستلهماً من ألف ليلة وليلة الكثير من الأحداث والحواديت، ثم أعود فيه إلى طفولتي، يوم عرفت البحر لأول مرة، وسمعت بقصة السندباد البحري الذي اعتبرته معلّمي ومرشدي الأول. وتجد في هذه التجربة رداً على سؤالك الأول المتعلق بالسندباد كقاسم مشترك لعناوين كتبي.

□ و«سندباد الغرب»؟!

ـ هي رحلة!! لكنها تختلف عن رحلة المحيط الهندي، وبحر

العرب، والخليج العربي، إنما هي رحلة أجوب فيها وأتجول بين روائع الإبداعات التي أنجزها الذهن البشري من فنون الآداب، وكذلك الفنون التشكيلية، والموسيقى، وكلها رحلات موثقة زماناً ومكاناً.

□ و«سندباد مصري»؟!

ــ هي عودة إلى مصر بعدما انتهيت من التجوال في أرجاء المعمورة، حيث عدت الى المحروسة.. عدت إليها بجعبة ملأى بالذكريات والصور والمشاهدات، محاولاً دعوة قومي إلى الأخذ من تلك الإنجازات الحضارية التي ابتدعها الإنسان المتطور في شتى أمور الحياة.

□ دكتور فوزي، أنت تدعو الناس في مصر إلى الاهتمام بالموسيقى الكلاسيكية والفنون التشكيلية وغيرها من الإنجازات الحضارية الغربية، في الوقت الذي نجد في مصر، أن هناك أولويات هي أكثر أهمية لحياتهم وهم محرومون منها. ألا ترى أن دعواتك هذه غير واقعية وبعيدة عن اهتمامات البسطاء من الناس؟ بل هي أقرب ما تكون إلى نوع من الترف الأرستقراطي؟!

ــ يا سيدي، أنا تربيت في الأساس في مدرسة محمد علي الابتدائية، والسعيدية الثانوية، ومعظم طلاب هذه المدارس من الطبقات الأرستقراطية، ومن أبناء الوزراء والباشوات والبكوات والأثرياء، مما شكّل عندي سلوكاً أرستقراطياً. وبعدما سافرت

للدراسة في فرنسا، تزوجت هناك بفرنسية من أسرة برجوازية عريقة، فحياتي كلها تشكلت في هذا المناخ الأرستقراطي!!. بس خلي بالك.. رغم أنني أعيش في هذا البيت حياة أوروبية مئة بالمئة، عندما أقوم بزيارة لوالدتي وإخواني في حيّ الحسين ـ الذي سموني باسمه تيمناً به ـ أنقلب إلى ابن بلد، وأعيش الحياة الشعبية بكل تفاصيلها، بل حتى لغتي تتغير وكأنني من أولاد البلد والمعلّمين.

□ **ألهذا السبب نجدك تكثر من الألفاظ العامية في كتاباتك، في الوقت الذي نجد فيه الدكتور طه حسين والعقاد وغيرهما من الأدباء إضافةً إلى مجمع اللغة العربية، كلهم يقفون في وجه الكتابة بالعامية؟!**

ـــ أحب أقول لك حاجة: التقيت في بداياتي باثنين من المثقفين، وقد كان لهما الأثر الكبير في حياتي الأدبية، لأنهما علّماني كيف أكون كاتباً صادقاً، وهما أحمد خيري سعيد، ومحمود طاهر لاشين، فهذان الصديقان كانا يتميزان بالصدق والصراحة إلى أبعد الحدود، وهما يكتبان أحياناً ألفاظاً عامية! فالأساس في استخدام اللهجة العامية هو الإحساس بالصدق، لأنني في بعض الحالات أجد نفسي مضطراً إلى استخدام تعبيرات عامية لأنها الأكثر صدقاً من الفصحى، ومع ذلك فإن الدكتور طه حسين نفسه، رغم استنكاره لكتابي «سندباد عصري» عندما قال: «إن هذا الكاتب العارف للغته، المتقن لها، يسمح لنفسه بالهبوط إلى درك الكتابة بلغة الحديث الحوشي، لغة الحواري والأزقة!!» فإنه

قد أبدى إعجابه بالكتاب في أكثر من مناسبة! المقياس الوحيد في هذا الموضوع هو صدق التعبير عما تريد قوله، سواء أكان بالفصحى، أم بالعامية!!.

□ **أجريتُ أخيراً حواراً مع نجيب محفوظ، قال لي فيه حول موضوع الكتابة بالعامية، بأنه يرى العامية آفة، لا تقل عن آفة الفقر، ولا تقل عن آفة الجهل، بل والمرض، وشيوعها ـ أي العامية ـ ناتجٌ من نقص في الثقافة، فماذا تقول في هذا الرأي؟!**

ـ أنا أرفض وصف اللهجة العامية بأنها آفة أو جهل! لأن اللغة العربية الفصحى تعتبر لغة أجنبية لدى قطاعات كبيرة من الناس، ليس في مصر فحسب، بل في جميع أنحاء الوطن العربي. وأنا مؤمن بأن للكاتب الحرية في أن يكتب باللغة التي يجدها أكثر تعبيراً عن أحاسيسه وأكثر وصولاً إلى الناس.

□ **هل تعتقد أن أجهزة الإعلام قادرة على إيصال الثقافة الرفيعة التي تدعو أنت إليها إلى البسطاء من الناس؟!**

ـ أولاً، لا يوجد شيء اسمه ثقافة رفيعة وثقافة غير رفيعة، فبمجرد قولك ثقافة، معنى ذلك أنك ارتفعت إلى المستوى الأعلى من التفكير نحو ما يحيط بالإنسان من تطور مثالي ينتمي إلى عالم الفن والفكر والأدب، بل والعلم أيضاً، بمعنى آخر.. كلمة ثقافة تعني واقعاً أجمل.

أما في ما يتعلق بأجهزة الإعلام وقدرتها على إيصال الثقافة،

فإنني أدعو إلى الفصل التام بين ما يسمى أجهزة إعلام، وأجهزة ثقافة، فإذا لم نفصل بينهما، فلا بد أن يحول الإعلام المادة الثقافية لأن تكون الأداة التي يستخدمها ويسخّرها كأهداف استراتيجية للنمو الاجتماعي، فالثقافة لا تحتمل مظهريات مزيفة درجت عليها أجهزة الإعلام.

□ البعض يراك تنظر بعلو وفوقية لفن الغناء المصري المعاصر، مع أنك أعطيت لسيد درويش مكانة خاصة، وهو لا يقل في معطياته عما يجري في الساحة الآن من معطيات فردية أو جماعية؟

ــ لا، لا، لا، سيد درويش فنان أصيل، وألحانه كلها تنبع من الأصالة الفنية، سيد درويش لا يجوز أن يقارن مع هذه التلفيقات الغنائية القائمة في أيامنا هذه!!

□ مـاذا تقـرأ هذه الأيـام وأنت في هـذه المرحلـة من العمر؟

ــ أقرأ باستمرار، والموضوعات التي أقرأها متنوعة، ولا تنس أنني أكتب مقالة في **الأهرام**، ولي حديث إذاعي في البرنامج الثاني، فهذان العملان اللذان أقوم بهما يقتضيان مني مطالعات مختلفة. والذي يساعدني على ذلك هو حبي للقراءة وشغفي بها، إلى جانب اهتماماتي المتشعبة، فأنا منذ سنة ١٩٢٥ وحتى ١٩٤٢ تفرّغتُ لعلوم البخار في معهد الأحياء المائية، ومن ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢ وبسبب الحرب، توقفت عن العمل في المعهد فانتهزت الفرصة لدراسة المعارف البحرية، والقصص

البحرية عند العرب.. ومنذ سنة ١٩٤٢ وحتى علم ١٩٥٤ تفرغت للعلوم بكلية العلوم، ومن سنة ١٩٥٥ وحتى ١٩٥٨ بدأت عملي في وزارة الثقافة، فانقطعتُ عن كل نشاط، وتخليت عن عمادتي لكلية العلوم بجامعة الإسكندرية، وفي هذه الأثناء، تركز اهتمامي على جماليات الموسيقى، فكما ترى إنني لا أملّ القراءة مهما كانت الصعوبات.

□ ماذا عن طب العيون؟!

ـ نعم كنت طبيباً للعيون وقضيت سنوات في مستشفيات الرمد، بل إنني قد تفوقت في هذا المجال، لكنني لم أستطع أن أجعل حياتي كلها مقصورة على العيون.. فمن طبيعتي حب التوسع في المعارف الإنسانية.

□ في كتابة مقالتك في الأهرام نجدك تختار لها عناوين سندبادية أيضاً؟!

ـ أنت مصمم أن تعرف سبب علاقتي بالسندباد! أقول لك يا سيدي: عندما كنت طفلاً صغيراً، وجدت في مكتبة أبي كتاب **ألف ليلة وليلة**، وكتاباً آخر اسمه **عجائب الهند بره، وبحره، وجزره**.. وشدتني قصص هذين الكتابين، وخاصةً رحلات السندباد فأعجبت به فصار ملازماً لكتاباتي.

□ أكثر هذه الاختصاصات قرباً إلى نفسك؟

ـ سنة ١٩٦٠ أُحِلت إلى التقاعد، وطرحت على نفسي سؤال: هل أعود إلى الإسكندرية لأمارس حياتي العلمية أم أبقى في

القاهرة في عالم الفنون والآداب؟ وجدت الإجابة أنني لم أستطع العيش بعيداً عن الفن والأدب.

□ ما أهم الكتب التي شكّلت ثقافة الدكتور حسين فوزي؟

ـ يااااه.. أنت تطلب ركاماً ضخماً من تاريخ حياتي، ومع ذلك لا أستطيع أن أسمي كتباً بعينها، ولكني سألخص لك الموقف: كتب الحضارة الأغريقية وضعت الأساس لثقافتي، وهناك من الشخصيات في أوروبا ممن تأثرت بهم ابتداءً من «بلوتارك»، و«تاسيتوس»، كذلك كُتّاب عصر التنوير في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أقصد الثورة الفرنسية.. باختصار، قرأت كل ما من شأنه العمل على حوافز التغيير نحو الأفضل. أما بالنسبة لتاريخ مصر القديمة والحضارة العربية، وخاصةً العصر العباسي، وبالذات عهد المأمون، فقد وقفت أمامها وقفة طويلة، لكن لا تستطيع القول أن القراءة وحدها تؤثر في شخصية الإنسان، فوالدي مثلاً كان له تأثير كبير في حياتي، لأنه كان يحرص على تحقيق رغباتي الثقافية رغم الجنون فيها أحياناً، فقد سمح لي بدراسة الفرنسية ثم الألمانية بكلية الطب، ثم سمح لي بدراسة الموسيقى في مدرسة إيطالية.

□ يلاحظ من يقرأ كتاباتك أنك حذر من الكتابة في الشؤون السياسية؟

ـ أعفني من الإجابة عن هذا السؤال!

□ **ألا تعتقد أن السياسة قد حققت ما تصبو إليه من طموحات؟!**

ـ بصراحة لا، ولا أريد الخوض في التفاصيل.

□ **دكتور حسين فوزي، لماذا أنت ضد فكرة القومية العربية؟!**

ـ ما دمت مصمماً على إقحامي في موضوع سياسي، أحب أن أقول لك: إن القومية العربية جعلتني متخلفاً بعدما كنت مصدراً من مصادر الحضارة!

□ **عفواً.. أرجو أن توضح أكثر!!**

ـ يا سيدي.. ببساطة أقول لك إن عمرو ابن العاص لما دخل مصر كان هدفه القضاء على وثنيتها، وليس القضاء على حضارتها وكان المفروض العمل على تطويرها لكي تعم البلاد الإسلامية كلها، ولكن بكل أسف، فإن عمرو بن العاص قضى على الحضارة المصرية التي كانت تحتل مكان الصدارة في العالم، وأصبحت مصر من الدول المتخلفة! فكيف تريد مني أن أصفق للقومية العربية وحريق مكتبة الإسكندرية ومخطوطاتها العلمية قد ارتبط بدخول هذه القومية إلى مصر؟!!

□ **ممكن النقاش في هذه النقطة؟**

ـ لا.. مش ممكن، وأنا تعبت!.

□ □ □

حمد الجاسر

منذ ما يزيد على الربع قرن، التقيته في بيته بمدينة الرياض، وكان الصديق الدكتور عبد الرحمن الضويحي الذي سبق أن التقيته في أميركا حاضراً في تلك الجلسة، وكان الحوار بيننا يدور حول عدم اهتمام الشباب بالأدب الجاد، وانصرافهم نحو وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون والصحف السيارة، فقلت للاستاذ الجاسر: لعل هذه الفرصة تكون لها جدوى وفائدة، لو أنك أتحت لي مجالاً للتحاور معك عن مسيرتك الثقافية والفكرية؟!
فوجدت لديه استعداداً طيباً، ورحّب بالفكرة أيما ترحيب.

□ □ □

وكان سؤالي الأول هو:

□ **لنفترض أن الأستاذ حمد الجاسر، يتحدث الى حشد من الشباب عن مسيرته، وكيف استطاع أن يتبوأ هذه المكانة الرفيعة التي يحتلها، ليس في المملكة**

العربية السعودية فحسب بل في الوطن العربي بأسره، فمن أين تبدأ حديثك؟!

ـ أعتقد أن الإنسان في هذه الحياة، لا بد أن تكون له دوافع تحفزه على الاتجاه الذي يريد السير عليه في حياته.. طبعاً أنا درست في المعهد الاسلامي السعودي، وكان ذلك سنة «١٣٤٨ ـ ١٣٨٩» هجرياً وما بعدها. هذا المعهد أُنشئ في أول عهد الملك عبد العزيز عندما استولى على الحجاز. وأريد من هذا المعهد أن يكون مدرسة تُنشر فيها المبادئ والتعاليم الدينية الصحيحة مضافة إليها العلوم الحديثة.

وكان البعض في ذلك الزمن ينفرون من التعليم الحديث في أول هذا القرن، خاصةً في أوساط أهل نجد، وكما هو معلوم أن التعليم الحديث هو الأساس الذي يمكن بواسطته أن نستفيد من الحضارة، وعندما أقول الحضارة، أقصد حضارة اليوم.

فالملك عبد العزيز رحمه الله، أمر بإنشاء هذا المعهد، وأن يُقرر فيه تدريس العلوم الحديثة، حيث كانت حلقات التدريس في الرياض وفي غيرها من المدن لا تقبل بهذا النوع من الدروس، فألتحقت بهذا المعهد، وتخصصت في القضاء الشرعي بعدما أكملت الدراسة الابتدائية والثانوية، ثم القسم العالي الذي هو القضاء الشرعي. إلا أنني اتجهت بعد التخرج الى مهنة التعليم، وعُينت أول ما عينت مدرساً في مدينة ينبع، وكنت أقوم بتدريس اللغة العربية والمحفوظات والإنشاء، وكل ما يتعلق بهذه الاختصاصات.

□ لا شك في أن تجربة التدريس في ينبع، لها بعض الذكريات في نفسك؟

ـ هذا صحيح. أنتم تعرفون أن ينبع عبارة عن ميناء يطل على البحر، وأنا أتيت الى هذه المدينة، وفي صبيحة اليوم التالي ذهبت الى المدرسة، فقال لي المدير: إن طلبة السنة الثالثة الابتدائية عندهم درس في المحفوظات، والمحفوظات ـ كما هو معروف ـ عبارة عن قطع مختارة من الأدب شعراً ونثراً، وكانت القطعة المختارة يوم ذاك قصيدة أبي العلاء المعري المعروفة:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

أتيت الى الطلاب فقالوا لي: نحب أن تشرح لنا القصيدة، فشرعت في الشرح، وقلت في أثناء ذلك: «ويثقل رضوى دونما أنا حامل».. ورضوى جبل عظيم سهل المرتقى قريب من المدينة ترقاه الابل «كما درست وتعلمت»، فقال لي الطلاب بصوت واحد: لا.. لا يا أستاذ ـ كانت النافذة مفتوحة في الفصل ـ وإذا بالطلاب جميعاً يقولون لي وهم ينظرون من خلال النافذة: انظر الى هذا الجبل الأسود الشامخ أمامك!! إنه هو جبل «رضوى» وليس قريباً من المدينة!!

فقلت في نفسي: لا خير في أستاذ يكون طلابه أعلم منه بما سيلقيه عليهم في درسه الأول! واستفدت شيئاً آخر: أن ما في الكتب ليس صحيحاً من كل وجه!! لأنني هكذا تعلمت، وهكذا حفظت، وهو موجود في الكتب أن «الرضوى» قريب من المدينة، وأنه سهل، وأن الابل ترقاه.

فاتجهت بعد هذه الحادثة الى التعمق في معرفة المواضيع التي وردت في الشعر العربي القديم، ووجدت أن دراسة هذا النوع من العلم دراسة ممتعة، واكتشفت أن الإنسان عندما يريد أن يبحث مثلاً عن «رضوى» في مختلف المعاجم، يجد أشياء طريفة من ناحية التاريخ ف «رضوى» عند الشيعة هو الجبل الذي اختفى فيه الإمام المنتظر!! ولذلك ذكره كثيّر في شعره، و«رضوى» هي التي وردت في الحديث أنها من جبال الجنة.

وعندما نطّلع على بداية معلّقة زهير بن أبي سلمى نجد أن بها الكثير من الأماكن قد ذُكرت، فهو يقول:

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلم بحومامة الدراج فالمتثلم

ودارٌ لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشمٍ في نواشر معصم

فهو يذكر هنا «الدراج» و«المتثلم» و«الرقمتين».. وهناك «السوبان».. وأيضاً «وادي الرس».. إلخ.

وعندما يبحث المرء في هذه المواقع، لا يجد البحث جافاً كما يتصور، بل يجد أن فيه شيئاً من النعومة المريحة لذهن الباحث.

□ **هل اتخذت من ذكر الأماكن في الشعر العربي منطلقاً لبعض دراساتك في الجغرافيا؟!**

ــ نعم. ووجدت أن الدراسة في هذا الموضوع مهمة جداً، لأنه يربط حاضر الأمة بماضيها، فإذا أردنا المحافظة على كيانها، يجب أن ننقب، ونبحث، فالقرآن الكريم عندما يذكر: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم»، أنت كمسلم عليك أن تعرف أين

يقع حنين، و«لقد نصركم الله ببدر»، وكذلك يجب أن تعرف هذه المواقع لكي تكون لديك صورة كاملة لهذه الواقعة، وأن تتصورها. كذلك عندما تقرأ قول امرئ القيس:

غشيت ديار الحيّ بالبكرات فعارمة فبرقة العبرات

ف امرؤ القيس هنا لا يرطن، وأنت عليك كقارئ أن تتبين حقيقة هذا الشعر، وتدرس بيئة الشاعر.

□ الى أين قادك البحث في مثل هذه الأمور؟!

ــ قادني إلى التأليف، فألفت عدة كتب بعدما قمت بزيارات كثيرة في داخل الجزيرة، وكان من نتيجتها أن ألفت:

بلاد ينبع، مشاهد وانطباعات، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، في شمال غرب الجزيرة، غامد وزهران.

ثم اتجهت مع اخوانٍ لي لوضع معجم جغرافي تاريخي شامل للبلاد العربية السعودية، هذا المعجم نذكر فيه مثلاً اسم موضع، ونذكر ما ورد عنه في كتب المتقدمين، ثم نصفه على ما هو عليه في وقتنا الراهن. هذا المعجم في الحقيقة لا يزال في مراحله الأولى، وقد صدر منه حتى الآن سبعة عشر مجلداً، لأنني عندما أردت العمل في هذا، وجدت أن من الصعب أن يقوم امرؤ واحد به، فهو عمل جماعي، وكان لا بد من الاستعانة ببعض الاخوان من ذوي الاختصاص، فهذا أستاذ من «جيزان» طلبت منه أن يكتب عن بلاده ورسمت له الطريقة التي يجب عليه أن يتبعها. وذلك من بلاد «غامد وزهران».

وثالث من بلاد «القصيم».. ورابع من «عالية نجد».. وهكذا استطعنا أن نضع اللبنات الأولى.. وأصدرنا هذه المجلدات مبنية على دراسات ومشاهدة.. فالدراسة وحدها لا تكفي، ولكن لا بد أن يقوم الانسان بزيارات ميدانية للمواقع ويشاهدها، لكي يستطيع أن يتكلم بها عن علم وبصيرة، فالدراسة الجغرافية ترتبط بالبشر، وبحياتهم الاجتماعية، والاقتصادية، إضافةً إلى دراسة حياتهم التراثية القديمة، ومأثوراتهم الشعبية، وكل ما يرتبط بحياتهم.

□ لكن القارئ المتتبع لنتاجك يكتشف إلى جانب اهتمامك باللغة في مجلة «العرب» التي تصدرها منذ سنوات، أنك أوليت اهتماماً كبيراً لدراسة الأنساب؟

ــ نعم، هذا صحيح، لقد ألفت ثلاثة كتب: **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، صدر في مجلدين، وكتاب **دراسة في أصول الأنساب**، وهذا الموضوع، موضوع الأنساب، لا يدركه الا من عاش في هذه البلاد، موضوع شائك هنا في بلادنا توجد عندنا طبقتان من الناس، طبقة يقال لها «القبيلية»، وطبقة أخرى هي «الخضيرية»، وهاتان الطبقتان لا تتزاوجان، قد يتزوج القبيلي خضيرية، ولكنه لا يُزوج خضيرياً، وتحدث في المجتمع مشاكل كثيرة في هذه الناحية.

□ أين «أكرمكم عند الله أتقاكم» من هذا النظام أو هذا العرف؟!

ــ في الحقيقة هذه أمور لا يقرها الدين، ولا عرفاً اجتماعياً

قديماً، والعرب أنفسهم لا يقرونها منذ القدم!! لأن العرب كانوا طبقة واحدة. .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه. . ألاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وأنا في كتابي الأخير درست الأنساب على هذا الأساس، وتوصلت الى شيء خطير جداً وهو: أن الأنساب لا تقوم على أساس علمي!

نعم. . علم الأنساب عند العرب لا يقوم على أساس علمي ثابت، إنما على أشياء متوارثة متناقلة.

وإذا كان بعض الباحثين يقول عن التاريخ أنه خرافة، فالأنساب هي خرافة الخرافات، وهذا ما وصلت إليه، وأنا درست أو ألفت في هذا العلم من قبيل الحفاظ على مأثورات شعبية، علماً أنني أنتمي الى قبيلة من الذين يأبون أن يزوجوا بناتهم إلا لقبيلتهم!!

لكنني يجب أن أؤكد أن هذه الأعراف تتنافى مع تعاليم القرآن الكريم، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام، لأن أي نظرية علمية تبحث فيها في هذا الجانب لن تجد نصاً صريحاً يُقر ما هو سائد. ومن قال سوى ذلك فهو مخطئ، ومخالف للدين.

□ الواضح أنك تؤمن بأن العلوم الإنسانية الصالحة والمفيدة لا تتناقض مع الشريعة الاسلامية، فماذا تقول لتلك الأصوات التي ترفع عقيرتها كل يوم

لتُحرّم هذا، وتُكفر ذاك، وترى أن التعايش مع الحداثة كفر صراح؟!

ـ يا سيدي.. الإسلام أول من نادى بالجديد والحداثة. والإسلام نقل العرب من حياة الفوضى وحياة الخرافات، وجددهم، فالإسلام هو وسيلة التجديد، ومن ادّعى أن الاسلام ضدّ التجديد أو ضدّ التقدم، أو ضدّ ما فيه مصلحة للأمة والمجتمع، فهو مخطئ.. ولن يجد لذلك أي دليل.

الإسلام أجلُّ وأسمى من أن يتهم بأنه ضدّ التجديد، ومن يُروجون لمثل هذه الأمور، هم قاصرو النظر! فالإسلام ليس معناه التفرغ للعبادة والزهد والتقشف، الاسلام الحقيقي هو العمل!!

وأنت إذا قرأت النصوص الدينية: «**والعصر إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا...**» ووقفت هنا فقط، فأنت تبتر الأمور، عليك أن تكمل: «**وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر**».

فالإسلام لا يكتفي منك بالعلم، بل يوجب عليك أن تعمل، وأن تكون عضواً عاملاً في مجتمعك: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**».

إذا لم يكن لك منفعة لأمتك، فلا خير فيك!! «**من لم يهتم بأمور المسلمين، فليس منهم**».. فأي فكرة تقول بأن ديننا يحول بيننا وبين القوة، وبين العمل، وبين العلم، وبين الحياة التي نستطيع

فيها أن نحافظ على كياننا، هذه فكرة مخطئة، وقائلها لا يفقه شيئاً في رسالة الدين الإسلامي.

□ **روّاد التنوير أمثال جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وعلي عبد الرازق، وطه حسين، وغيرهم كثيرون.. تعرضوا لمواجهة المتزمتين، والبعض منهم قد دفع ثمناً في مثل تلك المواجهات، فأين أنت من هؤلاء في مواجهتك للمتزمتين؟!**

ـ أنا يا أخي قبل أن أعرف هؤلاء، شققت طريقي في دراسة مجتمعي السعودي، وقد نضجت عندي فكرة الدعوة إلى التحضّر، والتنوير، لأنها نابعة من إحساسي بحاجة مجتمعنا للتطور.. وبصراحة أقول: إن فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائم على محاربة البدع والخرافات، ومواجهة الدجالين في أمور الدين. كذلك إن الشيخ يرى أن الاسلام ليس الجلوس في الزوايا، والقيام بأنواع من الترانيم والأذكار التي لم ينزل الله بها من سلطان!

وهو لم يأت هنا بجديد، ولكنه قال للناس: فكروا في دينكم. الدين ليس هذه الخرافات، والركون الى الضعف، والاستكانة، وترك العمل.

والله يا أخي، كنت منذ سنوات قد مررت على هونغ كونغ، وبينما أنا أسير في الطريق رأيت مسجداً كبيراً في موقع جيد في المدينة، فدخلت، فوجدت المسجد مفروشاً فرشاً حسناً يُبهج

الخاطر في مظهره، وبينما أنا أتجول جاء أحدهم وسألني سؤالاً فهمت منه أنه يسألني عن ديني.. فقلت له: أنا مسلم، فما كان منه إلا أن جاءني بمجموعة من الأوراق يريد أن يفهمني من خلالها عن حقيقة الإسلام، وهي أوراق مكتوبة بعدة لغات ومنها اللغة العربية. أخذت أمعن في قراءتها فأصابتني صدمة لما احتوت عليه من التخاريف، كيف عبرت هذه التعاليم القارات لتأتي إلى هونغ كونغ، فقل لي بربك.. إذا كان في هونغ كونغ من هو غير مسلم ويرغب بالدخول الى دين الاسلام، ثم يطلع على تلك التخاريف التي ما أنزل الله بها من سلطان فكيف من الممكن أن يقبل الدخول في دين الإسلام، وهو يقرأ أن الكرة الأرضية تقف على قرن ثور!! ولنفترض أنه سبق أن درس كيف أُنشئت الأرض، فلا شك أنه سينفر.

أعود إلى سؤالك، أنا بطبيعتي ضدّ الجمود وضدّ الخرافات، وأعدّ نفسي داعية من دعاة التطور، فلما اطلّعت على تلك المواجهات التي تعرضت لها الأسماء التي ذكرتها، وجدت نفسي أسير في نفس الاتجاه، وإن كنت أختلف مع الكثير من الأطروحات التي نادى بها بعضهم.

□ حمد الجاسر الذي استمر قرابة نصف قرن يعمل على إعلاء شأن أمته العربية، لا شك أن لديه الكثير من العلاقات بالأدباء، وبالمفكرين والمثقفين، ولا شك أن الرحلات التي قام بها حول العالم، قد أثرت تجربته التي من الممكن أن يحدثنا عن بعض ملامحها.

ــ أولاً يا سيدي الكريم، أنا ليست لي صلات تُذكر بالأدباء والشعراء منذ عهود متقدمة، لأنني ـ كما قلت ـ اتجهت دراستي في أول الأمر الى دراسة العلوم الدينية، ولكنني عرفت عدداً من أدباء البلاد في نجد، كما عرفت عدداً من الشعراء، كالشيخ محمد بن عثيمين ومحمد بن دريهم، وغيرهما.

ومن الأقطار العربية الأخرى عرفت الشاعر الكويتي محمود شوقي الأيوبي، والأستاذ عبد العزيز الرشيد ـ المؤرخ ـ كما تعرفت إلى خالد الفرج وكتبت عنه، وقد كان صديقاً حميماً لي، عاش في الكويت، ثم رحل الى بومباي، وأنشأ مطبعة في الهند، ومن ضمن ما طبع فيها ديوان ابن عمه عبد الله الفرج. ولكي نخرج من الجد الى المرح، أقرأ لك ما أحفظه من قصيدة عامية لعبد الله الفرج، يقول فيها:

يا صعصعة، ياخو شعاع الجن

يا فاضح قلب العدو بهبالة

متعوذين منك جن إحريمله

وجنسى ثيائله العيّالة

لاحظ أنه ورد في هذه القصيدة اسم بلدين، هما «إحريمله» و«جنسى»، وخالد الفرج أقام في القطيف وكانت له جلسات أدبية، وكان يقوم بجهود ثقافية كبيرة، فأنشأ مطابع الخط في الدمام. وله قصيدة سمّاها «أحسن القصص» وهي عبارة عن ملحمة تروي تاريخ الملك عبد العزيز.

وفي البحرين تعرفت إلى الشاعر عبد الله بن علي آل زايد، وكان في البحرين عدد من الشبان سجنهم الإنكليز بسبب مواقفهم الوطنية، أذكر منهم «الباكر»، و«التاجر»، وبعضاً آخر لا تسعفني ذاكرتي بأسمائهم.. وأتذكر أن «التاجر» كانت لديه مكتبة كبيرة، وكان من المتأثرين بفكرة انتشرت في ذلك الوقت، في أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي اسمها «فكرة الأنصار» نشرها كاتب مصري اسمه «أحمد صبري شويمان»، وكانت الفكرة تقوم على أساس أن العرب منذ وُجدوا هم من خيرة الأمم. كذلك عرفت شاعراً من الأسرة المالكة في البحرين اسمه حمد الخليفة، والتقيت بالكثير من الشعراء، ولكني أريد أن أكون صريحاً معك في نظرتي لكل هؤلاء الشعراء الذين التقيت بهم ـ وأنا أيضاً شاعر ـ ولكنني أسير على طريقة ذاك الذي يقول:

إذا أنت لم تعرف سوى الوزن وحده فقل أنا نظّامُ، وما أنا شاعرُ

أنا كنت يوماً ما أبرز نفسي كشاعرٍ، وأقوم بنظم شيء من هذه السخافات وأذهب الى الجريدة، وأُلح على رئيس التحرير حتى ينشرها، وقد نشر لي الكثير من هذه الخرافات. أذكر منها:

إيه بني العرب جمعاً نخدم الوطنا ونرخص الروح في مرضاته ثمنا
ونطرح الكسل المزري لأمتنا ونلبس من ثياب الصبر ما حسنا
فتلك سر نجاح الشعب أن صدقت هماته نال من آماله القمما
ونحن من عرف الأقوام غايتنا تأبى مكارمنا أن نخذل الوطنا

... وقلت خرافات أخرى، على سبيل المثال:

عاش الشباب الذي للمجد قد طلبا واستشعر الحزم حتى يدرك الأربا
وظلّ يدأب في تنفيذ خطته ولم يهن عزمه عجزٌ وما رهبا

□ **أستاذ جاسر، هذا الذي تعتبره شعراً فيه شيء من الخرافات، يوجد الآن من يسمون أنفسهم شعراء لا يستطيعون الإتيان بأقل من ربع ما جاء فيه!**

ـ يا سيدي. أنا أعرف الناس بنفسي، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، فوقف عند حده.

□ **أستاذ جاسر، لست أدري كيف سرقنا الحديث، مع أنني كنت أتمنى أن نتطرق الى ريادتك في تأسيس العديد من الجرائد والمجلات والمنتديات الأدبية!!**

ـ ما دمنا قد وصلنا الى هذه النقطة، فمعنى ذلك أنك تطالبني بالحديث عن نفسي.. وأنا أشد ما أكرهه هو الحديث عن النفس!!

□ **ولكن بداية الحوار، كان يفترض أن تتحدث عن نفسك لأبناء هذا الجيل كي يتعرفوا إلى واحد من عمالقة الرواد في المملكة العربية السعودية!**

ـ ما ورد من حوار فيه الكفاية لأن يعرفوا من هو حمد الجاسر. أما قولك بأني واحد من عمالقة المملكة العربية السعودية؟ فأنا يا سيدي لست عملاقاً، وكل ما أستطيع قوله أنني أديت واجبي بكل ما أستطيع من امكانات نحو مجتمعي..

وأرجو أن نتوقف عند هذا الحد.

سـعدالله ونّـوس

في عام ١٩٨٤ عُقدت في تونس عدة ندوات ضمن فعاليات المهرجان المسرحي، حضرها عددٌ كبير من كتّاب المسرح وكان سعد الله ونّوس هو الأكثر حضوراً ولمعاناً في معظم المناقشات.. ولما أُنيطت بي إدارة إحدى الندوات وعنوانها «الرؤية التاريخية في المسرح العربي المعاصر»، كان لا بد لي من الاتفاق مع سعد الله على أهم النقاط التي تساعدني على إنجاح مهمتي، فمكثت معه لفترات عكفنا فيها على صوغ المحاور التي سنتناولها.

وفي أثناء ذلك وجدتها فرصة مناسبة لأطلب إليه إجراء حوار معه، فأبدى استعداداً طيباً، وكان لنا هذا الحوار:

□ □ □

□ مسرحية «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» كانت المواجهة الحقيقية بكل قسوتها وعريها لإبراز الجرح الحزيراني الذي كان ساخناً أثناء عرض المسرحية،

وكان سعد الله ونوس هو ذلك الطفل الذي قال للجميع: «إن الملك عارٍ»، أكان ذلك بيانك السياسي كرد فعل على النكسة؟!

ــ المسرح في عالمنا العربي إذا كان جاداً فإنه يركز على الهمّ الاجتماعي، وفي حالات قليلة يلجأ الكاتب المسرحي إلى الرمز أو الأسطورة كي يحمي نفسه من عدم الوقوع تحت طائلة القانون، لكن مسرحية «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» انبثقت من ضلع هزيمة حزيران، ولك أن تتخيل كم هي موجعة، لأنها كانت تخاطب أولئك الذين احترقوا بنار النكسة أو الهزيمة وجللهم العار من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم.

□ **شهدت المسرحية ووجدت أنك أثرت فيها الكثير من التساؤلات عن العوامل والأسباب التي أدت إلى حدوث تلك النكسة؟**

ــ نعم. هذا صحيح، المسرحية طرحت الكثير من الأسئلة، أبرزها: لماذا وقعت الهزيمة؟!.. ولكني لم أكتف بالتساؤلات فقط، بل طرحت حلولاً وهي كيف نواجه تلك الهزيمة في ظل الانكسارات والغياب ومن يُنظّرون لحياتنا في الساحة، هل هم قادرون على تجاوز النكسة؟!

□ **هل اكتشفت الإجابة؟**

ــ المسرح هو أفضل الأمكنة للحوار، لأنه يملك قسطاً وافراً من الحرية لإبراز وجهات النظر المراد طرحها، على ألاّ يخضع للشعارات الطنّانة، وألاّ يكتفي بالنوايا الحسنة والوعود الكاذبة،

فالهامش الديموقراطي الذي يتمتع به المسرح في النقد وفضح الواقع، وطرح البديل كرغبة في تجاوز ذلك الوضع المتردي والهمّ الأساسي الذي يشغلني في رسالتي المسرحية، هو زيادة وعي الناس ومن ثم تفاعلهم، وأيضاً زيادة الفسحة الديموقراطية وتحويلها من شعار أو هامش ضيّق إلى معايشة واقعية، لأن الديموقراطية هي شرط أساسي لمواجهة الهزيمة وتجاوزها، بل والتغلب على أسبابها!!

□ كأنك تطمح لأن تجعل من المسرح وكأنه برلمان توفرت فيه كافة أسباب الحرية المنبثقة من طبيعة العمل الديموقراطي لتبحث فيه أهم القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟

ــ طبعاً. . فالمسرح يفرض حواراً بصوتٍ عال مع النفس ومع الآخر ليعكس الهموم والأحلام ويهجس بالطموحات، هذا عدا كون المسرح مرآة يرى فيها الناس أنفسهم كما يرون الآخرين. والمسرح يحسن إعلان الاحتجاج والتمرد على الظلم والاستغلال والخطأ، ويبحث عن طريقٍ للخلاص، وهو ليس الخلاص الفردي، وإنما تجاوز الأشراك المنصوبة، وصولاً إلى عالمٍ أجمل وأكثر سعادة للإنسان.

□ هناك من يرى أن سعد الله ونّوس ليس ناقداً أو كاتباً مسرحياً أو منظّراً، ولكنهم يصنفونك كصاحب مشروع ثقافي وطني، فما هي مقومات هذا المشروع. . هل هو المسرح فقط؟

ــ ليس الأمر بمثل هذه البساطة التي تطرحها، والتي قد تصل إلى درجة التسطيح، فأنا أتعايش مع ما يجري من أحداث في وطني العربي، وأتنفس المأساة تلو المأساة من تدهور الأوضاع السياسية، وتطور أجهزة القمع، فوجدت نفسي في موقفٍ يحول بيني وبين الارتباك الذي وقع فيه المثقف العربي عندما وجد نفسه ضائعاً مشوشاً مرتبكاً أمام هذا التحول الكبير الذي جعل وطننا العربي مستنقعاً للخوف من الإرهاب! فانهيار المشروع القومي في بلادنا جعلني أقوم بمراجعةٍ جادة وأصيلة، وأن أربط بين انهيار المشروع القومي وكذلك انهيار المشروع الثقافي بسبب انهيار كل القوى السياسية الوطنية التي كانت تسند ذلك المشروع وتستند إليه.

□ فماذا فعلت؟

ــ فكرت في إيجاد مشروع جديد يستند إلى أرضيةٍ واقعية، لكنها ترتدي حلة تاريخية إلى جانب محاولة إحياء الظواهر الديموقراطية في الحوار، والإسهام في وضع أسس عقلانية وتنويرية، وتحمّل النقد الذاتي.

□ من خلال المسرح؟

ــ نعم من خلال المسرح، ولكن بشكل رمزي واضح. فمثلاً: إن نهوض بعض الممثلين من بين المتفرجين، والذي أرمز به لإشراك الجمهور في لعبة مناقشة القضية المثارة على خشبة المسرح، فمعنى ذلك أنني حوّلت الجمهور من جمهور متفرج إلى جمهور مشارك، وكأنني أرمي بكرة النار في حضن كل من

كان في الصالة ليترك أثراً أو علامة يحملها ذلك المتفرج إلى خارج صالة المسرح، كي يروا الناس حقيقتهم.

□ **كانت حركة «بريختية» أليس كذلك؟!**

ــ ولتكن، فبريخت نفسه يقول: إن الإنسان الذي يأتي إلى المسرح لا بد أنه مشحون بتساؤلات يبحث لها عن إجابات، فدور المبدع المسرحي هنا هو أن يجعل من تلك التساؤلات تتأجج وتبحث لنفسها عن إجابات داخل نفس ذلك الإنسان ليخرج من صالة المسرح كي يشكل مظاهرة احتجاج تحمل الإجابات الحقيقية على تساؤلاته.

□ **كأنك توجه نقداً غير مباشر لمسرح الماغوط ودريد لحام؟!. الذين درجا على استخدام نظرية الـ CATHERSIS المعاكسة لنظرية بريخت لأنها تمتص غضب المشاهدين، بينما يشحن مسرحك المشاهدين بالغضب؟**

ــ لا أريد الدخول في مساجلات دونكيشوتية ولكنني أؤكد في مسرحياتي على الهموم الأساسية التي تفرضها طبيعة الموضوعات، وهي تحمل القسوة والحدة في بعض الأحيان لتجعل الأجواء مكتنفة بحالات تشاؤمية، ليس حباً بالقسوة والحدة والتشاؤم، بل لأنني أشحن جمهوري بقوة الإرادة التي تساعد على تغيير هذا الواقع المتردي..

□ **أريــد الوقوف على موضوعـات مسرحياتك، هل لنا**

أن نجمل ولو بأسطر قليلة ما هي القضايا التي تناولتها؟!

ـ مسرحياتي الأولى كانت قصيرة، وقد كتبتها ما بين عامي ١٩٦٢ و١٩٦٧، كشفت فيها عن هموم فلسفية ذات أجواء وجودية كانت سائدة في النصف الأول من الستينيات، وأعترف بأن موضوعاتها كانت متمشية مع الموضة السائدة آنذاك، فهي خليط من الأفكار الماركسية الثورية في مواجهتها للمجتمعات البرجوازية، فامتزجت فيها عندي ثورية البطل الفرد بتحمله لمسؤولية الفعل الجارح والمجاوز لحدود الذات، وتشابك الهمّ المجتمعي بهموم الإنسان العامة. ولكن لما جاءت نكسة ١٩٦٧، توقفت عن الكتابة لأكثر من سنتين فكتبت بعدها مسرحية «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران»، وقد جئنا في بداية الحوار على نتفٍ من الحديث عنها، ولا يخفى أنني استدعيت فيها الرمز من الموروث العربي المتأصل في العقل والوجدان العربيين، لأن هزيمة «٦٧» بالنسبة لي قد أطاحت حلم التحرر والوحدة القومية والعدالة الاجتماعية التي كنت أحلم بها لوطني!!. فكان لا بد لي من اللجوء إلى الرمز الدرامي المشحون بكثافة تاريخية، لكنه كان يؤدي إلى المدلول الفكري والاجتماعي السائد في عصرنا.

□ هل معنى ذلك أن مسرحياتك التي كتبتها ما بين ١٩٦٢ و١٩٦٧ أي مسرحيات ما قبل «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» لم تكن ذات طابع رمزي؟!

ـــ في معظم تلك المسرحيات كان الإنسان العربي يظهر وهو في الحضيض، يعاني من الظلم والقهر، ويشقى بالفقر والحرمان، وهو فرد، وغالباً ما يُسحق ليثير الشعور الحاد بالرغبة في التعبير، ولكن من غير أن يتحقق شيءٌ من ذلك، وبالمناسبة، هي معظمها مسرحيات ذات فصل واحد، أشبه ما تكون بالقصة القصيرة، ومكثفة بإيجاز.

□ أظنّ أنه نُشرت لك بعض المسرحيات التي لم تُمثّل على خشبة المسرح؟!

ـــ صحيح. . «ميدوزا تحدق في الحياة» وأتناول فيها ما يصطرع في داخل الإنسان من قوى متناقضة أتعرض فيها للعلم والفن والحب والسلطة، والسلطة هي الأكثر خطراً على الإنسان، لكن الأكثر خطراً عليه أيضاً هو عدم مبالاته لما يدور حوله. هذا ما تناولته في ميدوزا، ولذلك فإن نشرها يتناسب مع طبيعة موضوعاتها المغرقة في المونولوج والديالوج الفلسفي، ونُشرت لي كذلك مسرحية «فصد الدم»، وهي ليست بعيدة في ما تحمله من مضامين عن مسرحية ميدوزا، لكن ما يميزها عنها أنها تعرض القضية الفلسطينية وسكوت الشعب العربي وسلبيته حيالها، كما أُعرّي فيها مواقف الحكومات العربية التي لا تتجاوز الدعاوي والتضليل والإتجار بالقضية من أجل البقاء في الحكم.

وهناك مسرحية «لعبة الدبابيس»، أيضاً نُشرت، وأتناول فيها وصول حاكم غير كفء إلى كرسي السلطة بمساعدة وصوليين وانتهازيين يطبّلون ويزمّرون له، وهي من فصل واحد. ثم كتبت

مسرحية أخرى هي «المقهى الزجاجي»، لا تخرج في مضمونها عن خطي في كشف الواقع السياسي الكارثي في مجتمعنا العربي! فصاحب المقهى «الحاكم» يمارس على رواده التسلط والقمع، وهذه المسرحية رمزية، لكنها تعجّ بوضوح برموز كلها من الواقع المعاش.

وكذلك كتبت مسرحية «جثة على الرصيف» التي تقوم على فكرة بسيطة.. شحّاذ يتوفى على قارعة الطريق، فيقدم أحد الأثرياء على شراء جثته ليتخذ منها طعاماً لكلبه، ويكون الوسيط في صفقة الشراء هذه أحد أفراد الشرطة، والواضح من هذه المسرحية أن المقصود بالمتسول هو الطبقة الفقيرة المسحوقة، أما الغني فهو الطبقة المسيطرة، وبالطبع فإن الشرطي يمثل الطبقة الحاكمة التي تنفذ القانون لصالح الطبقة المسيطرة! هذه فكرة مسرحية «جثة على الرصيف» بكل بساطة. أما مسرحية «مأساة بائع الدبس الفقير» التي كتبتها عام ١٩٦٩ فهي في الواقع جزء من ثلاثية مسرحية «حكاية جوقة التماثيل» والجزء الثاني منها «الرسول المجهول في مأتم أنتيجونا» فهذا الثالوث شكّل المسرحية وعُرضت في مهرجان دمشق سنة ١٩٦٩ لا أخرج في هذا المثلث عن تناول هموم الإنسان، ولكن بأساليب وأشكال مختلفة، فمواجهة السلطة المستبدة تكون بخلق وابتداع يقابل ابتداعات تلك السلطة في استنباط أساليب تقتل كل مقومات الحياة عند الإنسان.

☐ يعني مسرح سعد الله ونّوس ارتكز بالأساس على

موضوعات تتعلق بالواقع السياسي وقضية فلسطين، ومعظم الشخوص تمثل الإنسان الانتهازي والقمعي والتسلطي وتطفح منها روائح عفونة ممارسات الحكومات القمعية. أليس هناك ما يجعلك تأخذ بمقولة كونفوشيوس: وهي أن تشعل شمعة بدلاً من أن تلعن الظلام؟

ــ من قال لك أن مسرحياتي ليست شموعاً؟ إنها مشاعل تنير الطريق لمن يريدون اقتلاع الظلام، وليس لعنته فقط. أخونا كونفوشيوس هذا كان يعيش على استنباط حكمة للصينيين الذين تدجّنوا إلى درجة العبادة بظلم طغاتهم، فصارت حكمته تدغدغ مشاعر البسطاء، لكنه لو عاش في عصرنا هذا، وشاهد الطغاة وكيف يتجبّرون على الشعوب لقال حكمة أخرى لا علاقة لها باللعنة، وإنما كان سيطلب من الناس ألاّ يعيشوا في مناخ لا كرامة لهم فيه!

□ **هل هناك من مسرحيات أخرى؟!**

ــ كثير.. «الملم هو الملك»، «رحلة حنظلة»، «المملوك جابر»، «يا ملك يا زمان»، «رحلة قطار».. وغير ذلك كثير، فلو أردنا تلخيص كل واحدة منها أو الحديث عنها لطال بنا الحوار.

□ **هل أستطيع القول بأن سعد الله ونّوس أراد أن يمزج في مسرحه بين الفن و«التسييس».. أي أنه المسرح المسيّس؟**

ــ سمّه ما شئت أن تسميه، فأنا وجدت نفسي أعيش في مناخٍ قادني إلى هذا النوع من العمل، وهناك من اتخذ العكس.

□ ولماذا أنت دائماً واجم؟!

ــ وهل هناك ما يدعو إلى الفرح في هذا العالم الذي نعيش فيه؟!

□ ألا تؤمن بـ «تفاءلوا بالخير تجدوه»؟!

ــ خليك يا أخي أنت متفائل، وخليني أنا بهمّي.

□ هل معنى ذلك أننا نتوقف عند هذا الحد في هذا الحوار؟!

ــ إذا سمحت.

□ □ □

سعيد حارب

عرفتُ الدكتور سعيد حارب مثقفاً إماراتياً أكاديمياً يشغل منصب نائب رئيس جامعة الإمارات، وعرفته فارساً في المنتديات والمؤتمرات التي يشارك فيها.

وكنت ألتقيه في دولة الإمارات كلما تيسر لي زيارتها، وارتبطنا معاً بصداقة ومودة ظللنا نحملها بين الجوانح رغم تباعد المسافات في التقاءاتنا، إلا أننا كلما التقينا كان همنا المشترك هو البحث الدائم في قضايانا العربية التي أفرزت هذا الحوار.

□ □ □

□ لماذا تدفع الأمة العربية ثمن فشل المشروع النهضوي؟!

ـ لأننا نحاول أن ننقل مشروعات نهضوية، وبالذات من المشروع النهضوي الأوروبي، وحاولنا أن نطبقها على الرغم من نجاح هذا المشروع هناك، سواء في مراحله الأولى، أو

في نتائجه المتأخرة. إلا أن هذا المشروع ليس مشروعاً من فراغ، إنما هو نشأ في بيئة معينة، وبظروف معينة، ومتطلبات معينة. وهذه الظروف، وهذه البيئة، لم تتوفر في الأمة العربية، أو لم تتوفر في المشروع النهضوي العربي عند واضعيه، وبالتالي اصطدم بكثير من المسلّمات، وكثير من الحقائق العلمية في المنطقة العربية ومن ضمنها غياب بعض المسلمات الضرورية لأي مشروع نهضوي في العالم منها: الحريات العامة، والتعددية الفكرية، والتعددية السياسية، وحقوق الانسان، وسيادة القانون، والمساواة التامة للأقليات، مع الأكثرية في المواطنة، وفي الحقوق، وبالتالي فإن هذه البيئة لم تكن مهيأة لبروز المشروع النهضوي العربي، فاصطدم مع معارضات شعبية، بتعبير أدق: أنه كلما جاء نظام سياسي، يتبنى تياراً فكرياً يزعم أنه جاء لتبني هذا المشروع النهضوي. والواقع أن كل هذه المحاولات لم تكن تستهدف القيام بمشروع نهضوي، بقدر ما كانت محاولات لاستلاب هذا المشروع ولسرقته من الآخر، سرقته من أصوله، وجذوره. وهناك مواطن خلل أخرى في المشروع النهضوي العربي هي الانفصام التام بين التنظير والتطبيق.

فنجاح المشروع الأوروبي كان قائماً على التلاحم بين الجانب الفكري والثقافي والجانب القيادي والسياسي، بيد أن محاولات الأفغاني ومحمد عبده، وغيرهما، وحتى المحاولات اللاحقة التي قام بها جمال عبد الناصر في طرح مثل هذا المشروع، حاولت أن توجد مثل هذا التمازج الذي

أشرت إليه بين المنطلق الثقافي والفكري وبين القرار السياسي. لكن كما قلت: إن الانفصام بين التنظير والتطبيق أدى إلى وأد معظم المشاريع النهضوية أو التنويرية.

□ **تفضلتم بذكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وهما يمثلان تياراً دينياً، ثم قفزت إلى ذكر عبد الناصر، هل معنى ذلك أنك ترى المشروع النهضوي يقوم على الاتجاهات المتعددة، بل والمتصادمة أحياناً؟**

ـ في اعتقادي أن أي مشروع نهضوي حتى لقرية صغيرة، وليس لأمة كبيرة، يجب أن يأخذ بكل متطلبات نجاح هذا المشروع، وأولها أن يشترك فيه الجميع، فهناك من طرح المشروع النهضوي الإسلامي، وهناك من يطرح المشروع النهضوي الليبرالي والقومي إلى آخر هذه المشاريع. وأنا أجزم أنه لا يمكن أن تنهض الأمة العربية بمشروع نهضوي، ما لم تشارك فيه جميع أطراف الطيف السياسي، والطيف الفكري في العالم الإسلامي، عبد الناصر كان يتبنى صرحاً نهضوياً برؤية معينة، والأفغاني كان يتبنى طرحاً اسلامياً برؤية أخرى معينة، وأنا أعتقد أن فشل المشروعين، لأن كليهما لم يستوعب هذه الحقيقة، أو لم يستوعب كافة المتطلبات. فكما قلت: إن معايير النجاح في أي مشروع نهضوي، يجب أن تستوعب كل شيء داخل إطار الأمة بدءاً بالمساواة مع الأقليات غير المسلمة، وانتهاءً بحقوق المرأة.

□ **قتل فرج فودة، ومحاولات ذبح نجيب محفوظ،**

وسلسلة الجرائم والاغتيالات، والمذابح والمجازر، التي تحدث هنا وهناك وتتبناها تيارات في بلادنا. . هل هي مقدمة لمشروع نهضوي؟

ــ لا، لأن المشروع هذا لم يستطع كما قلت أن يستوعب الجميع! ثم إن هذا الذي يحدث بين فترة وأخرى من جرائم، ومن تطرف، ومن إرهاب لم يمر من ثقافة المشروع النهضوي العربي. كلنا يعرف نتائج الثورة الفرنسية، ويعرف كيف تحققت الثورة الألمانية، وماذا حدث في إيطاليا، فهذه إرهاصات لأي مشروع نهضوي، وهي تحدث حتى بعد قيام المشروع النهضوي. على سبيل المثال رئيس وزراء السويد قُتل في الشارع وهو خارج من السينما مع زوجته. الحوادث من هذا القبيل كثيرة، ولكنها لم تكن عائقاً دون نهوض البشرية. المشكلة أننا ننشغل بمثل هذه الحوادث، بينما حالة الشروع بمشروع نهضوي لم تظهر لها ملامح بعد حتى اليوم، بسبب أن الواحد منا لم يتعلم كيف يستوعب الآخر. ثم إن المشروع النهضوي العربي يجب أن يكتسب خصوصيته، فكما أننا لا نستطيع أن ننقل قوالب من الغرب، كذلك لا نستطيع أن ننقل قوالب من الشرق، كحالة الهند مثلاً، أو بعض الشعوب الإسلامية كالشعب الباكستاني، والإيراني، والبنغالي، والماليزي، مع أنهم من المسلمين، لكننا لا نستطيع أن نأخذ نماذجهم في مشروعاتهم النهضوية. ولهذا فإن فكر سيد قطب، وفكر المودودي، والتيار الذي تبنى هذا الفكر، في اعتقادي يعتبر من المعوقات التي حالت دون مسيرة المشروع النهضوي العربي، ولذلك فإن الكثير

من التيارات الإسلامية العربية، قد وصلت إلى قناعة أنها لا يمكن أن تنفرد بالساحة، ولا يمكن أن تقدم مشروعاً نهضوياً إلا حين يتم قبول الآخر. نسمع الآن أن هناك تلاقياً بين التيارات الإسلامية والتيارات القومية، فعندما نستمع إلى أطروحات طارق البشري، ومحمد عمارة، نجد أنها تتضمن الاحترام والتقدير للتيار القومي، وكذلك نجد أن مركز دراسات الوحدة العربي ممثلاً بخير الدين حسيب، بات يضع التفكير، بأهمية التيارات الإسلامية ضمن اعتباراته الأولى، وأعتقد أننا بدأنا نعي ما نريد، فلا يمكن لأي مشروع نهضوي عربي، أن يكتب له النجاح، ما لم يضع في اعتباره الآخر سواء كان هذا الآخر كردياً أو أمازيغياً، أو آشورياً، فهؤلاء كلهم شركاء في النهضة العربية، لأن النهضة العربية الإسلامية القديمة لم تقم على طائفة واحدة، لا على قريش، ولا على مصر، أو الشام، إنما قامت على كل من شارك في صنع هذه الحضارة.

□ **ألا تعتقد أن القدماء، أكلوا الحصرم، وأورثونا التضريس، وصارت مرجعيتنا دائماً مصدرها المقابر؟**

ـ التاريخ هو صناعة البشر، ويجب ألا ننظر إلى هذا التاريخ على أنه مقدس، فهناك رجال ونساء مرّوا في التارخ، ووضعوا بصماتهم سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين، ونحن ندين بالتقدم البشري، والتقدم الحضاري الإنساني لهؤلاء، وربما نجني ثمرات هذا التاريخ سلباً أو إيجاباً، خيراً أو شراً، ولكن لو

كنا في مواقعهم لربما اختلفت رؤيتنا إلى هذا التاريخ. المهم ألا نجعل من هذا التاريخ قيداً يشدنا إليه، فإذا كان أجدادنا قد اختلفوا على ناقة، أو على بئرٍ من الماء، أو على اجتهاد فقهي، فلا يجوز أن يستمر ذلك الخلاف ليكون سبباً في كراهية بعضنا البعض، ففي مراحل الانفتاح التي مرت بها الحضارة الإسلامية، وتحديداً حقبة المأمون، بلغت حضارتنا العالمية بسبب إيمانها بالتعددية، تعدد عقائدي، تعدد ديني. والكل يعرف أن موسى بن ميمون كان يهودياً نبغ في حضن الحضارة الإسلامية، بل إن اليهود كانوا يشاركون في صنع القرار في الحضارة الاسلامية، فبالمساحة والانفتاح على الآخر استطعنا أن ننهض، ولكن عندما بدأنا بالقول: «أنا. . وبعدي الطوفان»، بدأ ينشأ في المنطقة فكر تدميري، حتى أصبح الاعتماد الكلي في قيادة الأمة، مرتبطاً بالفكر الفردي، وصار الناس في بلادنا ينتظرون المخلص، وينتظرون المنقذ، ينتظرون هذا الزعيم الذي يضع لهم بعصاه السحرية، مشروعاً نهضوياً. بيد أن واقع الحال من الأمثلة التي نراها أمامنا عند الأمم المتقدمة أن الأفراد قد يكونوا مؤثرين، لكن الحضارات لا تقاد بأفراد، ولا حتى بجماعات، إنما تقاد بمشروع، تقاد بمؤسسات، نحن معجبون بمنهجية الغرب، بحرياته، بمؤسساته، بطريقة التفكير المنهجية العقلانية، قد تختلف سياسياً معهم بسبب مناصرتهم، ومؤازرتهم للصهاينة في فلسطين، ولكننا لا نختلف على أنه يجب أن تسود الديموقراطية في العالم العربي، ولا نختلف على أن الإنسان العربي يجب أن يأخذ حقه من العيش بحرية وكرامة. لا نختلف على حق المرأة

بالتساوي كمواطنة لها الحق في ممارسة عملها السياسي، والحمد لله فإن ديننا وتاريخنا يعطيها هذا الحق. علينا أن نأخذ عبرة من التاريخ، بل ونحاكم التاريخ، فهو ليس مقدساً.

□ هناك من يُحمّل الغرب مسؤولية حالة التقهقر التي نعيشها؟

ـ نحن يجب ألا نتعامل مع الغرب بأحكام قاطعة، يعني «إما نأخذه كله. أو نرفضه كله». التعامل بهذا الأسلوب يؤدي إلى أخطاء كارثية، لأن تعاملنا مع هذا الغرب يجب أن يكون انتقائياً على مختلف المستويات. الغرب اليوم قد انتهى من عملية الاستنساخ مثلاً، فهل نقبل هذا الاستنساخ بشكل مطلق، أو نرفضه بشكل مطلق. يجب أن يكون لنا موقف من هذه القضايا العلمية لما تفرزه من قيم أخلاقية. ولهذا لا ينبغي أن أرفض التعامل مع الغرب أو أن أتأثر ببعض معطياته!! فالديموقراطية، وحقوق الإنسان، وأجواء الحريات في البحث، وفي الرأي.. نحن أحوج ما نكون إليها في عالمنا العربي، والقول برفضها بسبب أنها نابعة من الغرب قول خاطئ.

□ ألا ترى أن أزمتنا الحضارية المعاصرة، نتجت بسبب معوقات وعراقيل ما زال هذا الغرب يضعها في طريقنا بمساندته وحمايته لمسؤولين، هو يعلم أنهم يقفون سداً منيعاً في وجه نهوضنا؟!

ـ أصعب ما في الفكر العربي والإسلامي هو فكر الأزمة، إذ إنه

يجعل من هذه الأزمة تقوده في كل مراحل حياته، ولهذا نحن نردد دائماً: الاستعمار.. الاستعمار! مع أننا جميعاً نعلم أن الاستعمار يسعى بكل ما أوتي من قوة، ويستخدم كافة الأساليب من أجل مصالحه، وسيبقى مهيمناً على مقدرات كثير من الشعوب والأمم، ما دامت هذه الأمم تسمح له بالتمكن من نقاط ضعفها. إننا نعيش في حالة أزمة، ولا نسعى لأن نتخلص منها، في حين أن اليابان مرت بأزمات أشد من أزماتنا، ولكنها استطاعت أن تتخلص منها، وعلى سبيل المثال كان في اليابان «١٣» مليون طالب ليست لهم مقاعد دراسية، وكانت هناك «٤» آلاف مدرسة مدمرة تماماً، أما اليوم فإن التعليم في اليابان هو أكبر نظام تعليم في العالم بعد سنغافورة!

□ اليابان تجاوزت الأزمة لأن الغرب قد جعل منها مصنعاً للتنمية الرأسمالية الغربية؟

ــ ولماذا لا نستطيع أن نتعامل مع الغرب كما يريد هو، أو كما نريد نحن؟ بلا شك أن للغرب أهدافاً في منطقتنا، كالهيمنة على البترول مثلاً، ولكن هل معنى ذلك أن نبقى في حالة من الضعف تمكنه من تحقيق أهدافه دون أن نفعل شيئاً؟!

□ وماذا تسمي ما يجري في فلسطين.. أليس الغرب هو الذي يمد الصهاينة بالمال وبالسلاح، ثم يأتي الرئيس الأميركي ليطلق على شارون لقب رجل السلام؟!

ــ سيذهب شارون وسيأتي ألف شارون. إذا ظلت رؤيتنا كما هي

عليه الآن، ولا نعرف طريقة للتعامل نتجاوز بها مخلفات الاستعمار!! مع أننا تحررنا وطنياً، ولكن بكل أسف ما زلنا نعيش حالة ما سماه مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ قابلية الاستعمار!!..
نعم نحن نعيش حالة قابلية الاستعمار، هذه الحالة التي سماها صاحب كتاب «النفس المبتورة» إننا نعيش هاجس الغرب في حياتنا، لماذا لا نعيش هاجسنا كعرب، كأمة لها كيان، وننطلق بمشروعنا؟!

□ أنا أطرح السؤال نفسه: لماذا؟!

ـ لأننا نعيش أزمة. منذ مئة سنة ونحن نعيش هذه الأزمة ونردد الاستعمار، والغرب وإن الكل يتآمر علينا!!

□ دكتور سعيد، كانت لك نشاطات، وإطلالات صحافية، وفجأة وجدناك توقفت عن الكتابة في الصحف. هل من سبب؟!

ـ لأنني مررت بمرحلة كنت أكتب فيها، ثم جاءت ظروف جعلتني لا أكتب.

□ أليس هذا جزءاً من الأزمة؟! تطالب بالحرية، وأنت محروم من الكتابة؟!

ـ قد يكون هذا جزءاً من الأزمة، ولكنني أعتقد باحترام القوانين في مجتمعي وفي بيئتي حيث إن هناك ظروف خاصة، يجب عليّ أن أتعامل معها باحترام.

□ هل انحصر دورك كمثقف بالادارة والتدريس الجامعي بعدما كانت لك إطلالات صحافية؟!

ـ أنا أعتقد أن المثقف يجب أن تكون له رسالة توعية في المجتمع، حتى يقود نفسه. والمثقف ليس وعظياً أبداً، ورسالة التوعية للمجتمع ككل يقوم بها المثقف من موقعه كأستاذ جامعي، أو كصحافي، أو كممثل، أو كفنان تشكيلي، أو كشيخ في المسجد، أياً كان موقعه، أن يقول لهذا المجتمع: أن تقود نفسك نحو الرفاهية والخير، والعدل، والجمال. أن تقول لهذا المجتمع: حررّ إرادتك من القيود المتراكمة إرثاً، والمفروضة جهلاً، والمكتسبة خطأً، لأن إرادة نخبة معينة من المثقفين - ونحن لا نريد أن نقع في تلك المطبات التي يقع فيها السياسيون، فالمشروع النهضوي، لا يحتمل سوء النوايا، واتباع الأساليب الميكيافيللية. الشعوب قادرة على أن تقود نفسها إذا تحقق لها الوعي، وتحققت لها الإرادة، ورسالتنا كمثقفين، كمتعلمين، أن نُبصّر هذه الشعوب بدورها، وبرسالتها.

□ دكتور سعيد، إلى مَ تعزو حالة الانحطاط التي اكتنفت حياتنا الأدبية والفكرية والثقافية، فضلاً عن الفنون الأخرى كالموسيقى والشعر، والمسرح، والسينما؟!

ـ أعزوها إلى تقرير العار!

□ ما هو تقرير العار هذا؟!

ـ تقرير التنمية العربية الذي قاده فريق من الخبراء العرب، ومولته الدول العربية، والذي كشف بعد خمسين سنة أننا لا نقف في مرحلة من التخلف، بل نتقهقر الى ما دون مراحل التخلف!! والشاعر قديماً يقول:

«**وليس من عافية أن يكبر الورق**». . ونحن عندما ننظر الى هذا التقرير، علينا أن نتخذ منه مصدراً من مصادر الإلهام، لكل مشروعاتنا التنموية سواء كانت في مجالات الفكر أو الثقافة، أو الفنون، أو حتى السياسة، فنعرف أين نحن ومن أين ننطلق.

□ **مَنْ وراء مشروع هذا التقرير؟!**

ـ الذي وراءه منظمة دولية محترمة، والذين قاموا عليه أُناس من أهل الاختصاص، لهم مكانتهم العلمية، ولا يختلف أحد على نزاهتهم، وعلى إخلاصهم، وهو تقرير يقول لنا بطريق لطيفة، والذين يقولونه هم من أبناء جلدتنا. . على الإجمال: إننا أمة لا تستحق الحياة!. وهناك من شكك في التقرير، واعتبره مؤامرة على الأمة العربية، ومحاولة لتشوية صورتنا استغلالاً للظروف الراهنة!

□ **دكتور حارب: من يتحمل مسؤولية هذا التخلف المستشري في الوطن العربي؟!**

ـ أنا لست من أولئك الذينْ يعلقون الأخطاء على شماعة رواسب الاستعمار، ولست ممن يعلقون الأخطاء على شماعة الأنظمة السياسية وحدها. أقول كلنا مسؤولون عما يجري. . بالعامل

الذي يقوم بتنظيف الشارع، ووصولاً إلى رأس الهرم. ويجب أن نؤمن أيضاً بـ«كيفما تكونوا يولّ عليكم. . ».

□ **أنت مؤمن بذلك؟**

ــ نعم!

□ **وهل تعتقد أن الحل يأتي عن طريق دبابة يمتطيها عسكري ليحرق الأخضر واليابس، ويزج بالناس الأبرياء في غياهب السجون، ويقتل، ويبطش. . ثم يأتي رجل مثقف ويقول: «كيفما تكونوا يولّ عليكم. . »؟!**

ــ لا، لا. . بالعكس أنا أقول عندما تنهج المنهج السليم. خذ أوروبا مثلاً، من ذا الذي يتولى الأمور في أوروبا؟

□ **يا سيدي بمقولتك هذه، كأنك تريد أن توجه أصابع الاتهام، لقطاعات كبيرة من أبناء الوطن العربي، وكلها مغلوبة على أمرها، أمام الحكم الوحشي الديكتاتوري الكاسر؟**

ــ لا، لا. . ليس في ما أقول اتهام، لا لقطاع معي. ولا لأفراد معينين، ولكن أقول: إن المجتمعات هي التي تفرز هذه العناصر، هذا العسكري الذي نتحدث عنه من أين جاء؟ لم يهبط إلينا من السماء! ولا جاءنا من المريخ!!

□ **هناك من قالوا إنهم جاؤوا على قطار أميركي!**

ــ قد يركبون قطاراً أميركياً، أو قطاراً وطنياً، فلماذا نحن نشمل الكل ونتهم الكل بأنهم جاؤوا على قطار أميركي؟!

□ لأنهم كانوا سبباً مباشراً في دمار الأمة؟!

ــ بلا شك، وهذا جزء من المصيبة، جزء من تقارير العار، والمشكلة الأهم تغييب الإرادة الشعبية، أصبح القرار في بلادنا فردياً وعلى الجميع أن يقولوا: سمعنا وأطعنا ولا رأي للناس في أوطاننا في أي شيء.. فالمواطن العربي، لا رأي له في ما يأكل، وفي ما يشرب، لأن هناك السوبرمان الذي يخطط له ويفكر نيابة عنه!!

□ أمام هذا الذي أشرت إليه، ألا يتحمّل المفكر والمثقف، بعض المسؤولية عما يجري؟!

ــ لا نريد أن نحمّل المثقف كل أخطائنا، فموقف المثقف مثل **«إلقائه في اليمّ** مكتوفاً ويقال له: **إياك.. إياك أن تبتل بالماء»**، فهذا المثقف مسكين، فإذا غضبت عليه السلطة، غضب عليه الناس جميعاً، وإن أصلح أمره معها، صار مقبولاً من الجميع! فماذا يفعل؟ هل يحمل السلاح ويواجه الآخرين لكي يؤمنوا بأفكاره؟ لا يستطيع أن يفعل ذلك.. ولا يستطيع أن يأتي كما جاء غيره بهذه الطريقة.

□ ألا تشعر بأن الفضائيات فتحت شبابيك أدخلت علينا رياحاً مسمومة وخانقة.. وأفكاراً يختلط فيها السم بالعسل، فضلاً عن التجهيل والتهميش؟!

ـ أنا لا أجد خوفاً كبيراً من هذه الفضائيات، فمعظم الشعوب مرّت بمرحلة المراهقة الإعلامية، ولكن في النهاية عندما تنتهي المراهقة سيكون البقاء للأصلح. ربما هنا مبالغة باستغلال جمال المرأة كمذيعة مهما كانت جاهلة، وربما هناك برامج تقدم بلهجات عامية، بسبب الضآلة الثقافية عند مقدمي البرامج، والمقدمات، لكن الإنسان هو القادر وفقاً لقيمه، ووفقاً لمعتقداته، ووفقاً لرؤيته على إفراز الغث من السمين. وهناك فضائيات ناجحة جداً، لكن نجاحها هذا كثيراً ما يسبب ضرراً عليها لأنها تقدم الجعجعة بشكل متقن، دون أن تقدم الطحن، فهي كما يقول شيكسبير «جعجعة بلا طحن».

□ **وتأثير الفضائيات على مكانة الكتاب، ألم تكن سبباً في انحسار عدد القراء؟!**

ـ نعم، هي قلّلت، ولكنها لا، ولن تتمكن من حسر عادة القراءة عند الانسان! وقيل إن الانترنت سيشكل خطورة على القراءة.. أنا أجد العكس: أن الانترنت قد شجّع على عادة القراءة، واستقطب أُناساً لم يكونوا يطيقون فتح كتاب، لكنهم الآن يحرصون على القراءة اليومية من خلال الانترنت، وخاصة في أوساط قطاع الشباب.

□ **بوصفك في الصفوف الأمامية من قيادة صرح أكاديمي، ألا ترى أن التعليم ساهم بتخريج أفواج من ذوي مؤهلات الأمية الثقافية؟**

ـ هذا وارد، وأنا عندما ألتقي بزملائي من أعضاء هيئات التدريس

في دول العالم العربي المختلفة، لا أجد فيهم من هو راضٍ عن وضع التعليم في بلاده، ولكنا نقول: إن الوضع التعليمي في العالم العربي متردٍّ وربما كلمة متردٍ هذه، تعتبر لطيفة على الأسماع، إذا ما قارنّاها بالأوضاع التعليمية. وبكل أسفٍ أقول: إن الكثيرين من متخريجي الجامعات العربية لا يحسنون أن يكتبوا موضوعاً في التخصص الذي تخرجوا فيه!

□ إذاً كيف يمكن الوقوف بوجه هذه الكارثة؟

ــ إذا لم نعمل بجدٍ واجتهاد وإخلاص، كلّ من موقعه لمواجهة التحديات التي تحدق بنا، فإننا لن نكون أمة محترمة بين الأمم. ونحن أمة أراد لها الله أن تتحمل أشرف الغايات وأنبل المقاصد، ولا بد لنا من أن نكون بالمستوى الذي أراده الله لنا. ولا أريد في نهاية هذا اللقاء أن أكون واعظاً، ولكنني أؤكد أن الانسان هو أثمن مخلوقات الله وأرقاها، وتقييد حريته مخالف لإرادة الله، ولهذا لا بد أن يكون الانسان حراً لكي تكون الأمة بأسرها حرة. وعندما تكون الأمة حرة فإنها تستطيع أن تصنع حضارة.. فلا حضارة بلا حرية!

□ □ □

سمير سرحان

دُعيت الى معرض الكتاب في القاهرة عام ١٩٩٦، وهو بحق يُعد من المهرجانات الثقافية النادرة في الوطن العربي لما يحفل به من تنوع النشاطات الفكرية والأدبية والثقافية، بل والسياسية.

والدكتور سمير سرحان الذي بدأ حياته يسارياً ويعمل في صفوف الليبراليين المصريين، الى جانب قيامه بواجباته الأكاديمية، والذي انتهى به المطاف أن يكون رئيساً لهذا المهرجان، ومشرفاً على أكبر مؤسسة تقدم الغذاء المعارفي من خلال أكبر منظومة لإنتاج الكتب في العالم العربي «الهيئة المصرية العامة للكتاب».

هذا الرجل ينظر إليه البعض من زوايا متعددة، فهناك من يراه رجلاً من رجال السلطة من حيث هيمنته على الجانب الثقافي والفكري، وتبنّي المشاريع التي تُجمّل وجه السلطة كإصدار كتبٍ بأسعار متهاودة تحمل صورة سوزان مبارك باعتبارها رائدة مشروع «مكتبة الأسرة» و «القراءة للجميع».. وهو يرد على مناوئيه بالقول: **«أنا لستُ محنّطاً، وإنما أتفاعل مع معطيات**

الأمر الواقع، فأدفع بعجلة التقدم للإنسان بما أقوم به من إيجابيات في مجال اختصاصي.. وليقل ما يقل عني ولكنني مقتنع تمام الاقتناع بما أقوم به..».

الدكتور سمير سرحان دعاني الى تناول الغداء ضمن مجموعة من ضيوف المهرجان في نادي السيارات، وانفردت به بعدما انتهى الوقت المحدد لحفل الغداء لتسجيل هذا اللقاء.

□□□

□ دكتور سمير.. إذا رصدنا النتائج لما تقوم به من نشاطٍ ثقافي، يتكشف لنا أن هناك فشلاً ذريعاً في بلورة مشروعٍ نهضوي على الصعيد الثقافي والفكري في عالمنا العربي، فما السبب في رأيكَ؟

ـ المشروع التنويري ـ وليس النهضوي ـ كان قائماً على عدة مرتكزات أساسية، أولاً: إشاعة الروح العلمية في البحث، وفي مراجعة كل ما يتعلق بالقيم التراثية والقيم الفكرية التي استند إليها الماضي، وكذلك استند إلى الحقوق المدنية، وخصوصاً حقوق المرأة التي نادى قاسم أمين بتحريرها، وهذه المناداة لم تأت من فراغ، إنما جاءت من مكتسبات سياسية عامة، تدعو إلى بناء مجتمع الديموقراطية والتعددية والحزبية، وتفريخ القيادات الفاعلة من خلال العمل الحزبي.

والإجهاض الذي تعرضت له هذه الطموحات، هو بسبب عدم ممارسة التجربة الديموقراطية بشكلها الصحيح، طبعاً نحن لسنا

نتحدث عن أنظمة سياسية بشكل محدد سواء كانت ملكية أو جمهورية، ولكن الحقيقة التي لا بد من الإشارة إليها: أنه حدث في بداية قيام الثورة أن تم إجهاض التجربة الديموقراطية لحساب ما سُمي وقتها «الشرعية الثورية».

وهذه الشرعية الثورية أعطت للحاكم الفرد الحق في سنّ التشريعات والقوانين والأنظمة واللوائح التي يراها هذا الحاكم - من وجهة نظره - كفيلة بحماية الثورة من أعدائها ومن خصومها، لكي يمضي قدماً في تحقيق مشروعات العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة والإصلاح الزراعي والتعليم، التي ارتكزت عليها الثورة بصفتها منحازة للفقراء، ومنحازة للطبقات الكادحة. وصاحَب ذلك طبعاً اختفاء تام لقيام مجتمع مدني مبني على أساس من التعددية والحزبية، وحق الاختيار، حتى اختفت - إلى حدٍ ما - حرية الرأي، وحرية التعبير.

□ **كأنك ترى أن المرحلة الناصرية قد أعاقت المشروع النَهضوي؟**

ـــ إذا فهمنا المشروع التنويري على أنه يشتمل على الديموقراطية، وحرية الرأي، والتفكير العلمي، وحق الاختلاف، وتقوية عمل الحزب داخل الشارع. . إذا فهمنا أن النهضة تقوم على ما ذكرت، فإن المرحلة الناصرية كانت عائقاً دون تحقيق ذلك.

□ **لكن عبد الناصر طرح البديل؟**

ـــ نعم جاء ببديل اسمه الحزب الواحد. حكم الحزب الواحد،

حكم المؤسسة العسكرية، وأنا كمثقف واجبي يدعوني أن أتكلم بصراحة وأنا أجهر بهذا الرأي، علماً أنني لست ضد عبد الناصر، فأنا أحد أبناء ثورة ٢٣ يوليو ولولا هذه الثورة، لما كنت قد حصلت على تعليم مجاني أوصلني من الدراسة الابتدائية حتى أعلى الدرجات الإعلامية، ثم لا ننسى مكتسبات عظيمة مثل الإصلاح الزراعي، وتأميم القنال وبناء السد العالي، لكن السؤال الهام: هل كل تلك المكتسبات التي تحققت لصالح الطبقات الفقيرة والمحرومة أهم، أم أن تحقيق الديموقراطية على الشكل الغربي والتعددية الحزبية التي تتناطح وتتناحر هو الأكثر أهمية؟

بالطبع المرحلة الناصرية اختارت ما هو لصالح الشعب ولكن في النهاية كان الثمن هو تواري المشروع التنويري بالمفهوم الذي أشرنا إليه في بداية الحوار. لكن في المرحلة الراهنة، أي منذ عشرين سنة، ها هو المشروع التنويري يعود عندما اختار الرئيس حسني مبارك قيام المجتمع المدني الذي يقوم على سيادة القانون، وعلى التعددية الحزبية، وإن كانت الأحزاب حتى الآن ضعيفة جداً، ولا تمثل أحزاباً حقيقية قوية، إنما هي تعمل ضمن دائرة مجموعات من المثقفين، مجرد جرائد، ليس لها وجود حقيقي في الشارع. . لكن تمخض عن كل هذا حرية صحافة ليس لها مثيل في أي بلدٍ عربي، وحالة الانفتاح المدني هذه، قد أثمرت بروز تجربة حزبية لا بأس بها، تجدد نفسها، أعني الحزب الوطني الذي يضم كوادر تنتسب إلى مؤسسات علمية كبيرة كالجامعات، والنقابات، والاتحادات النسائية والعمالية،

وكل أركان المجتمع. وفي الوقت نفسه، هناك عناصر تهديد تقف في وجه قيام المجتمع المدني، وتهدد حرية الرأي وحرية الصحافة، ويتمثل هذا التهديد بقوة وجود التيارات السلفية المسرفة في الشارع المصري، مع أنه ليس لها حزب، وليس لها كيان سياسي يتحدث باسمها، ومع أن نشاطها غير مشروع، إلا أنها تسعى إلى سلب هذا المجتمع من تحقيق طموحاته الاجتماعية والاقتصادية، من خلال عمل سياسي متفتح على كل شرائح المجتمع المصري، ومن أخطر ما تشكله هذه السلفية من آثار مدمرة في المجتمع، هو الإصرار على سلب المرأة لكل حقوقها.

□ **لماذا لم تستوعب مرحلة الإنفتاح التي يعيش المجتمع في ظلها الحركة السلفية، ما دامت مؤثرة في الشارع المصري كما تقول؟**

ـ لا، مرحلة الانفتاح بدأت نشاطها في عصر أنور السادات لتضرب الشيوعيين، وتقضي على المنجزات التي حققها الفكر السياسي في العهد السابق لأنور السادات، واستبدال ذلك بالاتجاهات الدينية، وكان الغرض من ذلك الاتجاه أن يقضي على التيار اليساري الذي كان من الممكن أن يستفحل شيئاً فشيئاً في محاولة السيطرة على مقدرات المجتمع، إلا أن التيار الديني هو الذي استفحل بشكل سلفي متطرف، مع أن طبيعتنا كمسلمين تنبذ التطرف بكل أشكاله، وتحب أن يسود الاعتدال.

□ **ألا ترى أن هذه الديموقراطية التي تتحدث عنها،**

والانفتاح في حرية الصحافة، هو الذي أعطى تبريراً للبعض أن يجعل المواجهة مع الصهيونية ليست موجبة؟ ثم ظهرت طائفة دعاة التطبيع، فالديموقراطية تحول دون حق الإسلاميين في ممارسة عملهم السياسي من جهة، ولكنها تسمح للتوغل الصهيوني من خلال تطبيع علاقات سياسية واقتصادية من جهة أخرى!

ـ أنا أرى، وقد أكون متطرفاً في هذا الرأي، أن محاولة طمس كل مكتسبات المجتمع المدني، من حرية الرأي والديموقراطية، والروح العلمية، ومحاولة تسييد وتقوية التيار السلفي، لدرجة السيطرة على المقدرات الاجتماعية، والمكتسبات التي حصلنا عليها، إنما هي محاولات صهيونية في الأساس!

□ **تعني أن الصهيونية تلتقي بالأهداف السلفية؟**

ـ أنا أعتقد أنها مرسومة، ومرسومة منذ أمدٍ طويل. خذ محاولة إخراج الشباب من استعدادهم للحرب من أجل أوطانهم، أو الانخراط في نشاط قد يؤدي إلى هذه الحرب.

□ **عفواً، لم أستوعب هذه النقطة؟**

ـ يعني إخراج الشباب عن طريق: إما التطرف الديني أو الانحلال الخلقي والمخدرات، وما شابه ذلك، حتى لا يكون هناك شباب يتهيأون للدفاع عن وطنهم خلال الخمس سنوات القادمة على الأقل لأنهم ـ أي الشباب ـ إما مغيّبون في الاتجاهات السلفية، أو مغيّبون تحت وطأة الانحلال الخلقي والتخدير. فشبابنا بين

هؤلاء وأولئك صاروا يعانون من التدمير الذي أدى إلى شلل حركتهم!

□ **من هو المتسبب في إخراج شباب الأمة كي يتقاعسوا عن دورهم الوطني، وأن يكونوا على هذه الحالة من التهشيم والتهميش والتدمير؟**

ــ أنا أعتقد أن الموساد والصهيونية العالمية تعمل وفق تخطيط مرسوم لتدمير شبابنا.

□ **وهل الموساد والصهيونية يعيثون في بلادنا؟**

ــ طبعاً!

□ **وهل نحن في غفلة؟!**

ــ طبعاً، أنا أرى أن هناك مؤسسات دولية تعمل، ونحن نظن أنها غير موجودة، ولكنها موجودة، وموجودة بقوة! ونحن نقاوم هذا التيار مقاومة واعية جداً بإطلاق مشروعات قومية كبرى مثل القراءة للجميع، ومكتبة الأسرة، وإعادة نشر وإتاحة تراث التنوير والتراث الإبداعي، والتراث الفكري المستنير أمام الشباب، حتى يقرأوا تاريخهم، يقرأوا فكرهم التنويري، ويقرأوا الدين الصحيح.

□ **دكتور سمير، في المرحلة الناصرية كانت هناك إيديولوجية يعيش الإنسان في ظلّها، ولهذه الإيديولوجية أهداف كبرى، ألا ترى معي أن الإنسان الآن برغم الانفتاح والديموقراطية، والحرية**

المتاحة سواء في الصحافة أو في شتى مرافق الحياة لا يسير وفق ايديولوجية أو حتى مشروع مستقبلي يسعى الشباب إلى الانخراط في العمل من أجل تحقيقه؟ باستثناء تلك الحالة الاستهلاكية التي يعيشونها مما جعلهم يتيهون ما بين التيارين اللذين أشرت إليهما فكانوا فريسة سهلة للموساد أو الصهيونية العالمية أو التطرف، كما جاء في إجابتك السابقة؟

ـ نعم، كان هناك مشروع في بداية الثورة، وهو المشروع القومي لتحقيق الاستقلال عن الاستعمار الإنكليزي، وقد تحقق.

□ **أنت تتكلم في حدود جمهورية مصر العربية فقط!!**

ـ أجل في حدود مصر، وكان هذا المشروع القومي أساسه عبد الناصر أيضاً، يعني عبد الناصر هو رائد المشروع القومي لفكرة الوحدة العربية، وفكرة جمع العرب حول العزة والكرامة والفخر، لكن هذا المشروع كان مشروعاً هلامياً، ولا خطة موضوعية محددة له تنتقل بالأمة العربية من مرحلة كونها مكونة من عدة دول نامية متخلفة غير متفقة مع بعضها البعض، لا في الاقتصاد ولا في السياسة، ولا في الاجتماع. كان المشروع يحمل طموحات كبيرة، وهي أن تكون الدول العربية دولة واحدة تشبه الوحدة الأميركية والوحدة الأوروبية، وحدة تواجه العالم بقوة المال والسلاح والثروة، لكننا بدلاً من السعي الجاد لتحقيقها، والتخطيط السليم لانبعاثها، صرنا نردد شعارات

ونتكلم أكثر مما نعمل، مما أعاق مشروعنا النهضوي، بل إن الانقلابات العسكرية في العالم العربي، والتي تأثرت بثورة ٢٣ يوليو سواء في سورية أو في ليبيا، أو في العراق، أو في اليمن، أو في أي مكان آخر، كان من الممكن لهذه الدول أن تشكل في حد ذاتها مشروعاً تنموياً في ما بينها، لكن كل مشروعات هذه الدول أُجهضت لأنها لم تكن تملك رؤية واضحة لـ «ماذا ستفعل في المستقبل». . وأخذوا يرددون شعارات، وكانت هذه هي النتيجة التي نعيشها الآن.

□ **هذا ليس رداً على سؤالي!!**

ــ ما هو سؤالك؟!

□ **الناس في مصر في الستينيات كان لديهم قضية، يعيشون من أجلها، ويعملون من أجل تحقيقها. ماهي قضية الإنسان في مصر الآن؟**

ــ ما هي القضية؟ وما هي القضية التي كانوا يعيشون من أجلها؟!

□ **كان هناك ـ بعد مؤتمر باندونج ـ مشروع دول عدم الانحياز، وكان ذلك الوهج الشعبي في كل من آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، للتخلص من هيمنة الاستعمار، كانت هناك بلورة الموقف القومي بحيث يجتمع العرب جميعاً في إطار واحد، كان هناك السعي لتنظيم تدابير اقتصادية، بحيث تعم العدالة الاجتماعية كافة الناس، وكانت هناك مواجهات ساخنة مع معارك التخلف والأمية،**

والبيروقراطية، وإصلاح مناهج التعليم. . أليست كل هذه قضايا؟ فضلاً عن القضية القومية!!

ــ كل هذا كلام هلامي! القومية كانت مشاعر جيّاشة لا يحكمها برنامج عمل أو لدى الداعين إليها خطة واضحة المعالم. فعندما نقول: قومية لا بد أن يكون عندنا برنامج عمل، فأوروبا عندما سعت إلى اتحاد، كان عندها خطة عمل لإنجاز ذلك الإتحاد. أوروبا أوجدت في ما بينها المؤسسات الهامة، وصار عندها برلمان مشترك، وأخيراً وحّدت العملة، وهي بصدد توحيد الاقتصاد على تنوعه، وصار مبدأ الاعتماد المتبادل في التصدير والاستيراد قائماً على برامج وخطط منبثقة من أرضية الواقع، فما هي البرامج والخطط التي قدمها زعماء القومية العربية! قل لي: ماذا قدموا غير الخطابات الحماسية والجيشان العاطفي! ثم قل لي من فضلك: ما معنى «مشروع قومي»؟ يعني ماذا نقصد بهذه الكلمة؟ نعم نحن مجتمع عربي واحد نجتمع في التاريخ والتراث واللغة والدين، لكن هل اجتماعنا في هذه القواسم المشتركة يكفي؟! ونحن لا نفعل شيئاً آخر غير أن نصرخ بشعارات مثل: «علينا أن نقاوم الاستعمار» و«إرفع راسك يا أخي لقد مضى عهد الاستعباد»، و«علينا أن نعتز بعروبتنا، وبكرامتنا» ماذا يفيد الصراخ بتلك الشعارات إذا لم تترجم إلى واقع ملموس؟! ثم قل لي بربك: أي مشروع قومي هذا الذي تتحدث عنه، وأنت ليس لديك تخطيط زراعي أو صناعي أو اقتصادي؟ ثم أين هي التكنولوجيا التي ستحقق لك مشروعك

القومي هذا؟ هل استطعنا في عالمنا العربي أن نصنع راديو، أو تلفزيوناً، أو سيارة؟ يا سيدي إن مشروعك القومي هذا الذي تتكلم عنه يعيش في عالم من «الكلامنولوجيا» في الوقت الذي كان يجب أن يعيش في عالم من التكنولوجيا، فأوروبا لم تتكلم عن مشروع قومي أوروبي، ولم تتكلم عن وحدة أوروبية، إنما خططوا من أجل وحدة اقتصادية، ووحدة علمية، وليس في حسابهم الكلام عن وحدة سياسية، لكنهم يتكلمون من أجل العمل المشترك في مجالات البنوك، وفي مجالات التجارة الخارجية.. ونحن العرب حتى هذه الساعة أخفقنا، وفشلنا فشلاً ذريعاً في السير في الخطوات الأولى نحو سوق عربية مشتركة! فكيف يا أخي من الممكن أن يتحقق عندنا مشروع قومي، ونحن أمة ممزقة إلى شيع، وقبائل، وأحزاب، وطوائف، ومذاهب وكل منها يتناحر مع الآخر؟!

□ **ألا ترى يا دكتور أن ما تفضلت به الآن أدعى إلى العمل الجاد من أجل بلورة مشروع عربي يستفاد فيه من حالات الفشل السابقة؟ كما يمكن الاستفادة من التجارب الأخرى، والتي حققت نجاحاً في أماكن متعددة من العالم؟!**

ـــ صعب! هل تستطيع أن تتنبأ بوجود عملة عربية موحدة خلال العشر سنوات القادمة؟ مستحيل! لا بل قل الخمسين سنة القادمة! مستحيل! فالعرب كل واحد منهم يعيش في مدار فلك ذاته، وليس في فلك القومية العربية أو العروبة، بيد أن

الأوروبيين استطاعوا في فترة وجيزة أن يجعلوا «اليورو» عملتهم الموحدة.

□ **هناك من يوجّه أصابع الاتهام للمثقفين بوصفهم الأكثر اقتداراً على بلورة الأخطاء التي ترتكبها السلطة لتظهر وكأنها حسنات وليست أخطاء، وهذا الذي أشاع مصطلح «مثقفو السلطة»!**

ـ أنا أرفض هذه المسميات. ماذا تقصد بمثقفي السلطة؟ هذه مسميات عامة، وليس لها أي أساس في الواقع. أريد أن أفهم ماذا تعني بمثقفي السلطة؟!

□ **أعني أن هناك من يتكلم عن الديكتاتور أو يكتب عن الديكتاتور فيصفه بالديموقراطي! وهذا المثقف يحتل مساحة من وسائط الإعلام في العالم العربي، وكذلك يحتل مكاناً بارزاً في المؤسسات الثقافية، وأبرز مثال على ذلك ما يجري في بلاد الحكم الشمولي كالعراق وسورية وليبيا واليمن وتونس وغيرها.**

ـ إذا كان ذلك المثقف يعبّر عن رأيه، ولديه إيمان بأن حاكمه ديموقراطي وهو يمارس أعمالاً ديكتاتورية، فلنعطه الحق في الخلاف، ولنتحاور معه، ونثبت له عكس رأيه بالدليل والقرينة ولا نرفض بعضنا البعض ولا ينفي بعضنا البعض الآخر.

□ **دكتور، أنت تفترض نوعية من الحوارات تدور في أجواء مكفولة بالحرية، لكن ما أقصده بسؤالي هم**

مثقفو السلطة، البعض منهم يعيش في أجواء من الظلم والاضطهاد، ويقف أمام ذلك كشيطان ولكن ليس أخرس، إنما يستخدم ملكاته التدميرية لمباركة ذلك الظلم وذلك الاضطهاد، وتلك الديكتاتورية!

ــ طيب، ماذا يفعل المثقف ومعظم الأنظمة العربية ديكتاتورية؟ هل تستطيع محطة الجزيرة مثلاً أن تهاجم أمير قطر؟ أتحدى. أتحدى. أن يظهر برنامج واحد في «الجزيرة» يمس أمير قطر مساً عابراً، بينما يهاجمون السعودية، ويهاجمون الأردن، وأتحداهم في «الجزيرة» لو أنهم عملوا برنامجاً عن شرعية الحكم في قطر يوم انقضّ الابن على أبيه، وجرّده من صلاحياته!

أليست هذه قضية تستحق البحث؟ فلماذا يسمحون لأنفسهم بمناقشة القضايا الأخرى التي تمس الآخرين دون أن يتحدثوا عن أنفسهم؟

□ لنتحدث الآن عن المثقف المصري؟

ــ اسمع: إذا لم تكن هناك ديموقراطية، فلا مثقف ولا مثقفون! لا تصدق أن هناك مثقفاً إلا إذا كان يعيش في مناخ ديموقراطي يستطيع فيه أن يقول رأيه ويعبر عن ذلك دون خوف من السجن، لأن الأنظمة الديكتاتورية تعتبر مناداتهم بتحقيق العدالة الاجتماعية، والمطالبة بالحرية والديموقراطية، شوكة في حلقها.

□ ألا تعتقد أن منظمات حقوق الإنسان التي أخذت تنشط في السنوات الأخيرة سوف تساهم في شيوع الحريات؟

ـــ قد تكون طبعاً، على ألا تستغل وجودها للترويج لأفكار استعمارية أو صهيونية، أو أن تحاول استغلال نشاطاتها لأسباب أخرى.

□ مرّت على مصر حقب كثيرة تلونت معها الطبيعة الثقافية، يعني هناك الثقافة الناصرية، والثقافة الساداتية، وثقافة المرحلة الراهنة، فكيف تصور لنا الاختلاف أو التوافق بين تلك الثقافات؟

ـــ أقول: كانت هناك محاولة جادة لمشروع ثقافي نهضوي في مصر أُجهضت في العصر الناصري، والعصر الساداتي أيضاً، لأن عصر السادات سادت فيه الثقافة غير المتعمقة، الثقافة التافهة، الثقافة السطحية، لأن السادات حاول محاربة الماركسيين بالإخوان المسلمين، فأحدث خلطاً كثيراً. لكن هذا لا يمنع أنه أعاد إلى مصر أراضيها وقاد حرب أكتوبر، وأنا ضد إدانة السادات بأي شكل من الأشكال، حتى في إتفاقية «كامب ديفيد» لأنها أعادت إلى مصر أراضيها.

□ ألا ترى أن عالمنا بات يفتقر إلى العمالقة؟

ـــ لأننا نعيش في عصر الأقزام. فالعملاق كان يولد في عصر عملاق، كان يولد في عصر ثقافة موسوعية، ويعيش في خضم معارك فكرية، أما الآن فإن أكبر معركة هي معركة أكل لقمة العيش، أو البقاء على قيد الحياة. ليست لدينا أفكاراً سياسية متداولة في المجتمع، وليست هناك أفكار فلسفية أو حتى سياسية أو اجتماعية، وليست هناك أفكار تشكل وجهات نظر كبيرة،

فنحن لا نسعى لأن نكون قوة ثقافية كبرى في العالم، وإنما ظللنا نجتر الماضي معظم أوقاتنا، ونجتر أمجاد السنوات السابقة، وهذا مناخ لا يظهر فيه مثقف كبير، ولا يظهر فيه مثقف موسوعي، وبالتالي لا تظهر فيه أفكار عملاقة كما حدث في عصر النهضة الأوروبية.

□ هل هذه النظرة تشمل مرافق أخرى كالموسيقى والفنون التشكيلية والمسرح وما شابه ذلك؟

ــ أنا أتكلم عن الأفكار الكبرى وليس عن المواهب.

□□□

شادي عبد السلام

كان شادي عبد السلام شخصية مثيرة للجدل بين أوساط العاملين في الحقل الفني، فهو لم يكن مجرد مصمم مناظر أو مهندس ديكور، أو مخرج سينمائي، إنما كان يحمل فكراً سياسياً مضاداً ومناهضاً لما كان سائداً في مصر، فهو غير متفاعل مع كلمة «ثورة»، ويزدري الدهماء والسوقة، ربما كان ملكياً في ما يحمله من أفكار، أكثر منه ثورياً! شادي عبد السلام لا يتكلم إلا همساً، مما جعلني أنبهه أكثر من مرة أن يرفع صوته أمام الميكروفون عندما أجريت له هذا اللقاء، الذي لم يذع حتى هذه الساعة، لأن مدير الإذاعة الكويتية آنذاك، لم يسمع بشادي عبد السلام من قبل، وبالتالي فإن برنامجي يجب أن يقتصر على المشاهير، والسيد المدير لا يرى في شادي أنه ينتمي إلى زمرة المشاهير!!.. مع أن الدراسات والبحوث التي كُتبت عن شادي عبد السلام بعد قيامه بإخراج فيلم «المومياء»، بلغت العشرات بل المئات، أما عن الجرائد والمجلات التي تناولته، فالحديث عنها بلا حرج، فضلاً عن الجوائز العالمية التي حصل عليها.

□ □ □

□ اعتدنا أن نبدأ اللقاءات بالسؤال عن البدايات؟!

ــ المشوار طويل، ولكن إذا كان لا بد من السير على هذا المنوال «السيمتري» لذكر التسلسل الزمني، فأنا أنتمي الى منطقتين: الوجه القبلي والإسكندرية، والدي كان من رجال القانون، رحل من المنيا، ليستقر في الإسكندرية لكن لم تنقطع صلاتنا بالصعيد.

□ اهتمامك بالثقافة الفرعونية في الديكورات والملابس التي تصممها جعلك متميزاً في هذا اللون. ما السبب؟

ــ أن تكون صعيدياً يعني بالضرورة أن تكون فرعونياً! وأنا ورثت منذ الصغر حب الحضارة الفرعونية، وكنت أتمعن في كل شيء في الصعيد، التقاليد، العادات، طريقة الكلام، الصفات الأخلاقية، لون أهل الصعيد المريح للعين.

□ طبعاً هذا لا يكفي لكي تختص بالفن الفرعوني!!

ــ طبعاً طبعاً لقد عززت كل هذه المشاهدات بالقراءات المكثفة عن أصول العائلات الفرعونية المختلفة.

□ هل كان في العائلة مناخ فني هيأك للاهتمام بالفن الفرعوني؟!

ــ إطلاقاً، ليس في العائلة فنان واحد، ولكنني كنت أزاول هوايتي هذه منذ الصغر، وكانت مشكلتي أن معظم الكتب في بيتنا تتناول الأمور القانونية، وعندما تعرضت لنكسة صحية وأنا

في الثالثة عشرة من عمري، لم أجد مفراً من الانكباب على القراءة، فمرضي كان في القلب، وأي حركة كانت ستعرّض حياتي للخطر، فصارت حركتي بطيئة، وصارت تنتابني نوبات من الكآبة دفعت بي إلى الانطواء والتراجع في دراستي.

□ **ولكنك سافرت إلى أوروبا قبل أن تبلغ العشرين من عمرك؟!**

ــ نعم. هذا صحيح، سافرت إلى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، وكانت رغبتي أن أدرس المسرح، ولكنني لم أتمكن!

□ **متى بدأت علاقتك بالفن كمحترف؟!**

ــ عام ١٩٥٩ التقيت بصلاح أبو سيف، وحدثته عن اهتماماتي الفنية، وأطلعته على بعض إنجازاتي، فأتاح لي فرصة الحضور معه إلى الاستوديو، وكان أيامها يصور فيلم «الفتوة»، الذي كان بمثابة فترة تدريب لي، ليلحقني بعد ذلك كمساعد مخرج له في عدة أفلام، منها «أنا حرة»، و«الطريق المسدود»، و«الوسادة الخالية». ثم اتسعت شبكة علاقاتي، فعملت مساعداً للمخرج هنري بركات، وللمخرج حلمي حليم، وغيرهم. وهناك حادثة طريفة وقعت لي جعلت اهتماماتي تنصب على هندسة الديكور أكثر من الإخراج السينمائي، حينما غاب أحد مهندسي الديكور عن العمل في أحد الأفلام، فأُنيطت بي مهمة رسم الديكورات حتى لا يتوقف العمل، وبالفعل شرعت بعمل ديكورات، كانت من الإتقان إلى درجة جعلت من الاستوديو يتفق معي لعمل ثلاثة ديكورات لثلاثة أفلام دفعة واحدة، من هنا تغير اتجاه مسار

عملي، لكن عيني ظلت تتابع الإخراج السينمائي باهتمام رغم نجاحي في تصميم الديكورات وتصميم الملابس.

□ تصميم الملابس للأفلام التاريخية؟!

ــ نعم، ولكن لعلي أعطيك سراً أبوح به للمرة الأولى وهو أنني صممت بدلة رقص لتحية كاريوكا.

□ فيلم «صلاح الدين الأيوبي» كان مزيجاً ما بين الديكورات التاريخية والملابس التاريخية، فهل قمت بذلك؟!

ــ نعم، لقد قمت بتصميم الديكورات والملابس لهذا الفيلم عندما كان يقوم بإخراجه عز الدين ذو الفقار. وكذلك قمت بتصميم الديكورات والملابس لفيلم أخرجه الأميركي أندرو مارتين.

□ ما هي أبرز الأفلام التي صممت لها الديكورات والملابس؟!

ــ كثيرة، مثلاً. . «كليوباترا» «شفيقة القبطية» «ألمظ وعبده الحامولي»، «رابعة العدوية» «أمير الدهاء» أما من الأفلام الحديثة التي ليست تاريخية: «الخطايا»، «السمان والخريف»، «بين القصرين»، ونسيت أقول لك إنني قمت بعمل الديكور والملابس للفيلم التاريخي «واإسلاماه».

□ بلا شك إن صناعة الديكورات والملابس التاريخية تقتضي الإلمام بـ أنثروبولوجيا الشعوب؟

ـــ يا سيدي قضيت حقبة من تاريخ حياتي ما بين المجلدات والبحوث التي تتناول جذور حضارات الشعوب، وتيسّرت لي معرفة دقيقة بالتاريخ والعادات واللهجات.

□ **عملت مع روسيليني رائد الواقعية في السينما العالمية، هل ممكن أن تحدثنا عن هذه التجربة؟.**

ـــ نعم اشتغلت معه في فيلم «الحضارة». لقد بهرني روسيليني ببساطة تفكيره بالعمل السينمائي، أقول ببساطة التفكير مع العمق في نفس الوقت، وإذا قلت لك أنا أعمل في الديكور وتصميم الملابس وعيني دائماً صوب الإخراج السينمائي، فإن عملي مع روسيليني قد أصَّل هذه الرغبة بداخلي، لأكتشف بعدها أن عمل الديكورات من حوائط ونوافذ وحارات اصطناعية ما هي إلا مضيعة للوقت، فصممت على تحقيق هذه الرغبة التي تعتلج بداخلي لممارسة الإخراج السينمائي، فبدأت بكتابة «المومياء».

□ **هل توقفت عن العمل أثناء استعدادك لخوض تجربة الإخراج في فيلم «المومياء»؟!**

ـــ تقصد عمل الديكور وتصميم الملابس؟!

□ **نعم.**

ـــ توقفت تماماً، رغم أن العروض التي جاءتني لتصميم بعض الديكورات كانت مغرية من حيث الفوائد المالية، ورفضتها، حتى وصلت إلى حافة الإفلاس!

□ كم استغرقك الاستعداد لفيلم «المومياء»؟!

ـ أكثر من سنتين، ولكن بدأت مشكلتي بعد الانتهاء من تنفيذه، فأين الجهة التي ستقوم بإنتاج فيلم تدور معظم حوادثه حول التراث الفرعوني وليس فيه مغريات تجذب السواد الأعظم من مشاهدي الأفلام العربية؟!

□ كيف تغلبت على هذه المشكلة؟!

ـ كان روسيليني موجوداً في مصر، فعرضت عليه سيناريو «المومياء»، فأُعجب به أيما إعجاب، فأخذه مني وذهب به إلى الدكتور ثروت عكاشة ـ وزير الثقافة ـ محفزاً إياه على قيام مؤسسة السينما بإنتاجه. فكانت إجابة ثروت عكاشة لروسيليني: إنه لا يعرف كاتب هذا السيناريو، إذ ليست له سابقة في هذا المجال، فقال له روسيليني: أنا واثق أنك ستعرفه جيداً عندما تتيح له فرصة إنتاج هذا العمل، الذي لا شك أنه سيكون عملاً عالمياً.

وقرأ الدكتور ثروت عكاشة السيناريو، فأثار إعجابه، ووافق على أن يكون ضمن مشاريع مؤسسة السينما.

□ لماذا كانت بدايتك «المومياء» بالذات وهو موضوع لا يقدم عليه إلا من تمرّس في تجربة الإخراج السينمائي لسنوات طويلة؟!

ـ لقد أقدمت على هذا العمل وأنا أحمل تجربة في العمل السينمائي. فكما قلت لك بدأت مساعداً للإخراج مع العديد من المخرجين إلى جانب تصميم الديكورات للكثير من الأفلام،

بالإضافة إلى تصميم الملابس، يعني أنا معجون بهذه المهنة، ومسكون بالهوس الفرعوني، فكما قلت لك أنا من المنيا.. وكان لهذه المنطقة تأثير كبير، فلو أنك قرأت عن تل العمارنة لأدركت أنها بلد الشمس، وقد بُنيت على أفضل الطرازات المعمارية.

□ يقال إنك تحمل أجندة فرعونية، بمعنى أنه بعد «المومياء»، سيكون فيلمك الثاني «أخناتون»، هل هذا صحيح؟!

ـ صحيح!!

□ لماذا أخناتون بالذات؟!

ـ أخناتون ليس ملكاً فحسب، إنه فيلسوف، أخناتون القوة العظيمة، والثقة بالنفس تمثلان عنده مسيرة حياة الإنسان بعيداً عن خزعبلات الكهان التي كانت سائدة في العصور الفرعونية المختلفة.

□ هل تعتقد أن إمكانية السينما المصرية تعطيك مستوى عالي الجودة في عمل هذه الأفلام التاريخية، إذا ما قورنت بالسينما العالمية، هوليود مثلاً..؟!

ـ تجربتي في المومياء أكّدت لي أن الكوادر المصرية رائعة، ولكن تنقصها الإمكانات. فمدير التصوير عبد العزيز فهمي، والمصور مصطفى إمام، والذين ساعدوني من تلامذتي كصلاح

مرعي، وسمير عوف، وأنس أبو سيف، لا يقلّون في مستواهم في العمل السينمائي عن أي واحد في هوليود، أو غير هوليود.

□ **هل معنى ذلك أنك ستتخصص بإخراج الأفلام التاريخية ذات الطابع الفرعوني؟!**

ــ نعم، فأنا مؤمن بالتخصص في هذا المجال، وأذكر أنني سألت يوماً المخرج العظيم زيفيريللي عن الأسباب التي تدفعه لأن يخرج فيلماً عن الحضارة المصرية، فقال: إنه قرأ بعض المعلومات عن مصر، وهي التي تدفع به لإخراج فيلم في تراثها، فأجبته بأنني قرأت العشرات من الكتب عن إيطاليا، وعن الرينسانس أي مرحلة النهضة، وكذلك قرأت الكثير عن ليوناردو دافينشي، ومايكل أنجلو وغيرهم، ولكنني لم أفكر يوماً بإخراج فيلم عن إيطاليا، أو عن شخصية إيطالية!

□ **يبدو أنك بهذا تستهدف الجمهور الأوروبي ممن يعجبون بالتاريخ والتراث الفرعوني، ولا يعنيك أن تخوض في قضايا الإنسان العربي المعاصر.**

ــ في «المومياء»، حاولت أن أعبر عن قضية عامة، حدثت عام ١٨٨١، وهو العام الذي دخل فيه الاستعمار البريطاني إلى بلادنا. أليست هذا قضية عامة؟!.. والذي يريد أن يخاطب العقل الأوروبي بموجب سؤالك، فلا يقتضيه الأمر سوى أن يقوم بفيلم يملأه بالملابس الفرعونية ويكثر من تماثيل الجبس المزينة ليحاصر السائحين بمناظر تثير إعجابهم ولا تخاطب عقولهم، أما الفيلم الذي يعطي المعلومات

التاريخية، ولا يخلو من متعة ليصل إلى كافة المشاهدين، فهو ما توخيته في أسلوبي بفيلم «المومياء».

□ **لكن «المومياء» تعرّض لهجوم من النقاد عند عرضه في مصر!!**

ـ هذا في الداخل، ولكنه في خارج مصر حصل على التكريم والجوائز.

□ **كما أنه لم يحقق إيرادات داخل مصر!!**

ـ إذا كنت تقصد الإيرادات المالية، فهذا صحيح، ولكن على الصعيد الفني قد حقق «المومياء»، أكثر بكثير مما هو متوقع منه. ثم إن فيلم «المومياء» لم يعرض في داخل مصر على صعيد تجاري، إنما يتم عرضه للنقاد والرسميين فقط. ألا يكفي هذا العدد من الجوائز التي حصدها في كل المهرجانات التي مثَّل مصر فيها؟!

□ **هل حاولت التعامل مع معطيات نجيب محفوظ التي كتبها في بداياته مثل: «كفاح طيبة»، و«رادوبيس»، فهي تتناول التاريخ المصري الفرعوني القديم أيضاً؟!..**

ـ لقد قرأتها وتبيّن لي أن نجيب محفوظ يكتب بعقلية الروائي، أما أنا فإن اختياراتي أُركز فيها على الصورة الجمالية من الناحية الفنية، بمعنى آخر أنا أُجسد الحالة الفنية التشكيلية المرتبطة بالصورة والتي تمنحها جماليات فنية تنعكس على الأحداث،

بينما روايات نجيب محفوظ التاريخية هي أقرب ما تكون الى البحث التاريخي الذي أخضعه نجيب إلى أن يغدو درامياً بعدما وضع المعلومات على لسان الشخوص التي ابتدعها، ولكن ذلك لا يمنع من إعادة النظر في قراءة معطيات نجيب محفوظ التاريخية، وخاصة الفرعونية والعمل على تقديمها في أعمال سينمائية في المستقبل.

□ □ □

شفيق الحوت

إذا قيل عن إنسان إنه صادق كأصدق ما يكون الصدق فهو شفيق الحوت. هذه السمة ارتبطت بشخصيته عند كل من يتعاملون معه ويعرفونه. فوق هذا وذاك فهو - برغم الحالة المأساوية التي يعيشها - يتحلى بروح متفائلة ومرحة، ولديه حسٌّ ساخر منقطع النظير، ظهر بجلاء في الكثير من معطياته الأدبية.

عرفت شفيق الحوت منذ سنين طويلة، وارتبطت معه بصداقةٍ، وبيننا مراسلات أختصر لكم إحداها، يوم كتب لي:

«أعتز بك يا نجم كمتمرد على الظلم والظُّلام، وساخر لا يدري خصمه إن كان يُضحكه أو يضحك منه أو عليه. ليتك تكتب بعض ما سمعته منك وعنك من حكايات، فإن فعلت كنت رائداً في الأدب الساخر».

في أوائل التسعينيات كنا نلتقي سنوياً في احتفالات الجنادرية الثقافية، إذ كان يجمعنا مجلس الشيخ عبد العزيز التويجري،

ولما عرضت عليه فكرة هذا الحوار استجاب دون تردد.

□□□

□ كثرة المنطلقات التي أمامي في التحاور مع رجلٍ بحجم شفيق الحوت، تجعل من مهمتي عسيرة!!

ـ أنا أخفف عنك المهمة، ولكن بالله عليك بلاش حكاية رجل بحجم شفيق الحوت هذه.

□ إذاً من أين تبدأ؟

ـ من الجذور، أو لنقل الأصول: حيث ولدت عام ١٩٣٢ في يافا التي هاجر إليها من بيروت جدي سليم يوسف الحوت في أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر، فأصبح واحداً من تجار البرتقال فيها، وعلى ما يبدو أنه كان رجلاً طيباً وخدوماً، مما جعل الناس ينتخبونه مختاراً للحي. وظل على هذا النهج إلى أن توفاه الله عام ١٩٤٨. والدي اسمه ابراهيم، ووالدتي اسمها تحفة.

□ أخ شفيق، دعنا نقفز على تفاصيل النشأة الأولى، لنقف قليلاً أمام تلك الخميرة التي صقلت الجانب الثوري في شخصية شفيق الحوت؟!

ـ كانت الظروف الساخنة التي تحيط بي كلها تقود بي نحو بوصلة العمل الوطني، فأخي الأكبر جمال كان قدوتي في ما يطرحه من آراء ثورية، وكذلك أخي مصطفى، أضف إلى هذا وذاك أنني كنت أقرأ ما تكتبه الصحف، وأتابع ما تبثه الإذاعات، خصوصاً

أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية التي جعلت من الناس في يافا لا هم لهم سوى متابعة الأحداث في المجالس، والمنتديات، والمقاهي. فالجو العام أثناء سنواتي الأولى كان هو الخميرة التي حوَّلت اهتمام معظم أبناء جيلي في اتجاه العمل الوطني.

□ هل التأثر بالجو العام يسهم في خلق إنسان ثوري؟

ــ بلا شك، ولكن وإن كان الحديث عن الشخصانية غير محبب، إنما دعني أروي لكَ واحدةً من الأحداث التي أثَّرت في حياتي: كنتُ في سن السابعة أو الثامنة من العمر، وفي فجر أحد الأيام سمعنا طرقاً عنيفاً مدوياً على باب بيتنا، مما أصاب الجميع بالهلع والفزع، وما هي إلا لحظات حتى اقتحمت بيتنا مجموعة من الجنود الإنكليز ومعهم مجندة يهودية، وأمروا كل أفراد عائلتي من الرجال بالخروج إلى ساحةٍ كانت تكتظ بجيراننا، ثم قاموا بتفتيش منزلنا بطريقة متوحشة، فأتلفوا كل مقتنياتنا ومخزون الطعام وقاموا بتمزيق أثاثنا، وكانت والدتي قد توضأت لصلاة الفجر وهي صائمة، فلم تكن تسمح للمجندة اليهودية بتفتيشها ودخلت معها في مشادة ومجادلة أدّت إلى إعفائها من التفتيش. وما أن هدأت الزوبعة بعد خروجهم وعودة والدتي وأشقائي إلى البيت، أخرجت والدتي من صدرها جسماً حديدياً سرعان ما تلقفه والدي وقام بدفنه في مكان يبعد عن متناول يدي شقيقي مصطفى وشقيقي جمال، عرفت في ما بعد أن ذلك الجسم كان قنبلة! حادثة كهذه لا بد أنها تتجذر في وجدان طفلٍ لتسهم في تشكيل وعيه الوطني.

□ كم من هذه الأحداث مخزون في ذاكرتك؟

ـ التفاصيل المأساوية التي مررنا بها تملأ مجلدات، وهي كلها أجزاء ضئيلة إذا ما قورنت بضياع فلسطين برمتها، لكن وبرغم كل ما حدث فإن الأمل في عودة فلسطين لم يفارق تفكيري ولو للحظة واحدة على الإطلاق.

□ ما مقومات استنادك إلى هذا الأمل؟

ـ أضرب لك مثلاً صغيراً فقط: رغم مرور أكثر من خمسة عقود على إنشاء الكيان الصهيوني، فإنك لو سألت أي طفل من أطفال المخيمات الفلسطينية سواء في الداخل أو الشتات، أو أي طفل من أسرة فلسطينية حيثما تقيم في العالم عن اسم مدينته أو قريته في الأراضي المحتلة التي هُجّر منها أبوه أو جده فإنه سيستذكرها بكل تفاصيلها. ثم إن أملي بالعودة ـ يا أخي ـ أستمده كحتمية تاريخية، فأنا سليل الحضارة التي عاشت على أرض فلسطين لآلاف السنين، فلا يمكن أن أُقارن بشُذَّاذ الآفاق ممن يحتلونها الآن. ومسألة عودتي هي مسألة وقت ليس إلا، ومن ناحية أخرى ففلسطين لم تُبارح وجدان الإنسان الفلسطيني، ولم يعترف أي فلسطيني بأن ثمة بديلاً عنها كأرض، كتراث، كهوية، ولهذا لا بد من العودة إن قصُر الزمان أو طال.

□ أين كانت محطتك الأولى بعدما هُجّرت من يافا؟

ـ بيروت. كان والدي مصراً على تأجير بيت مفروش آملاً بقرب العودة ليافا، وكان أشقائي يتعاملون مع الوضع وكأنهم في رحلة

سياحية إلى لبنان سيعودون بعدها إلى وطنهم. لكن تدفق أفواج اللاجئين من يافا وغيرها من المدن الفلسطينية، حيث امتلأت المدارس والمساجد والأديرة، وكَثُرت المناطق التي نصبت فيها الخيام في أماكن متعددة من لبنان وسورية والأردن.. هذا الوضع حتَّم علينا الاستقرار في بيروت.

□ في ظل ظروف كهذه، كيف تيسرت لك مواصلة تعليمك؟

ـ الجامعة الأميركية كانت عبارة عن تجمع يضم العديد من الخلايا الوطنية، فكانت حركة القوميين العرب بقيادة جورج حبش ووديع حداد، وغيرهم، وهناك مجموعة ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار، وهما اللذان قد أسسا حزب البعث.. يُضاف إلى ذلك أعضاء الحزب السوري الاجتماعي بزعامة أنطوان سعادة، وهو حزب يعتبر فلسطين في سُلم أولوياته ومؤمن بالكفاح المسلح. أما منصور أرملّي الذي كان يدرس الطب فقد كان يتزعم قيادة الحزب الشيوعي في الجامعة الأميركية وكان يضم العديد من طلاب البلاد العربية.

إذاً من الطبيعي لواحد مثلي يتلهف للعودة إلى وطنه من الانضمام لهذه الجامعة التي يزخر تاريخها بتخريج العشرات، بل المئات من الرجال ممن قادوا مشاعلِ التنوير الفكري والثقافي والسياسي طوال العقود الماضية.

□ ألم تكن في الجامعات تنظيمات إسلامية؟

ـ لم يكن لمثل هذه التنظيمات وجود ولا حضور.

□ **ماذا درست؟**

ـ كانت طموحاتي وطموحات العائلة أن أدرس الطب، وفعلاً قُبلتُ في كلية الطب، ولكن لظروف صعبة ومعقدة لم أتمكن من إكمال دراسة الطب، واتجهت اتجاهاً آخر.

□ **هل يمكن المرور ولو باختصار على تلك الظروف؟**

ـ قُلتُ لك إنها صعبة ومعقدة، ولكن باختصار أقول لك: كان لا بد لي من ممارسة دوري في الأنشطة الوطنية داخل الجامعة وخارجها، فكنتُ أسعى لإنشاء تنظيم يضم الفلسطينيين ويهدف إلى القيام بدورنا حيال اللاجئين ومعايشة ما يجري من أحداثٍ والاجتهاد في كيفية التعامل معها، وقد لجأت لعدة جهات في سبيل تحقيق هذا الهدف، بمن فيهم الحاج أمين الحسيني، ولكن بكل أسف لم ألقَ سوى الإحباط تلو الإحباط.

ضاعفت من جرعة نشاطاتي داخل الجامعة بكتابة المنشورات والخُطب والتنسيق مع التنظيمات الطلابية ومنها الحزب الشيوعي لطلاب الجامعة الأميركية، فأُلقي عليَّ القبض لأقضي فترة في السجن.

□ **سُجنت وأنت طالب في الجامعة؟**

ـ هذه المرة الأولى التي عَدَّت بسلام، وعُدت إلى الجامعة. لكن في العام التالي صدر حكم بسجني لعدة شهور، وإبعادي عن لبنان بتهمة نشاطاتي في التنظيم الشيوعي. ولكن بعد سقوط

حكومة عبد الله اليافي ومجيء حكومة سامي الصُلح تم التوصل إلى إلغاء حكم إبعادي عن لبنان، إذ تمكن أفراد عائلة الحوت فرع لبنان من التدخل لإثبات أصولي اللبنانية قانونياً. وعندما أُطلق سراحي وعدت إلى الجامعة كان عليَّ القبول بشروطٍ كانت معدة سلفاً، منها حرماني من أي نشاط سياسي داخل الحرم الجامعي، وألا أواصل دراسة الطب لأنها تقتضيني سنين أطول. . ولم أجد أمامي سوى اختيار علم النفس. هذا هو الاختصار الشديد والشديد جداً لحرماني من دراسة الطب.

□ **إلى أين قادتك دراسة علم النفس؟**

ــ شوف يا أخ نجم، لا تنتظر مني أن أكون قادراً على سرد تفاصيل أحداث حياتي في هذا اللقاء، لأن ذلك الأمر يقتضيني جهداً لا يقل عن جهد من يكتب مذكراته، وأخشى أن يكون هذا اللقاء مبتوراً إذا لم نعطه حقه.

□ **لنركن إلى الحيز الذي يقلُّ ويدل؟**

ــ قصدك خير الكلام ما قَّل ودل، إذاً كيف أستطيع أن أصور لك قصة حصولي على جواز سفر والذهاب إلى الكويت ما بين عامي ١٩٥٦ وعام ١٩٥٨؟ هذه بحد ذاتها دراما ملحمية سوداء كان العيش في قعر قاع جحيم جهنم أهون منها بكثير.

□ **يا ساتر!!**

ــ ولستُ مغالياً يا أخ نجم عندما أقول لك إن عجزي أمام تأمين أبسط مستلزمات العيش لي ولأفراد أسرتي كان كفيلاً بأن يجعلني

من أكثر خلق الله سُخطاً على كل شيء!!.. على كل شيء!!.. إلا أن الأقدار كثيراً ما تلعب لعبتها لحكمة لا يعلمها إلا الله.

□ كيف؟

ــ كنتُ أُقيم في زقاق البلاط، وهو حي متواضع، لفت انتباهي أن عاملاً يقوم أمام منزلي بدق قطعة كُتبتْ عليها كلمة «الحوادث»، وتحتها ثلاث كلمات «أسبوعية، سياسية، عربية».. وبدون الدخول في تفاصيل كيفية التحاقي بها، وكيف تعرفت إلى صاحبها سليم اللوزي، وجدت نفسي أبدأ معها منذ بدايتها. أخذت أرسم، وأكتب، وأُصحح اللغة، وأحمل الكليشيهات للمطبعة، حتى غدوت عاشقاً لهذه المهنة ـ الصحافة ـ وكأنني ما خُلقت إلا لها. لكن مسؤولياتي المادية أمام أفراد أسرتي كانت تحول بيني وبين استمراري في المهنة التي أحببتها إلى درجة العشق، وإمكانات صاحب المجلة كانت غير قادرة على تلبية الحد الأدنى من متطلبات العيش، فكان لا بد لي من السفر إلى الكويت بعد اختياري للقيام بالتدريس هناك.

□ كيف تصف لنا حالة الكويت عام ١٩٥٦؟

ــ الطبيعة كانت قاسية، فلم تكن في ذلك الوقت مكيفات هواء، والحياة عموماً كانت خشنة.. لكن في المقابل كانت هناك مساحة من حرية العمل الوطني وخاصة لأبناء فلسطين الذين كانت الكويت من أوائل المحطات التي شهدتها تنظيماتهم بمباركة من الكويتيين حكومة وشعباً. كانت الكويت مفتوحة على

صراع الأفكار وحرية الحوار لمختلف التيارات السياسية، ولكن لم يكن يواكب كل ذلك النشاط أي عمل صحافي، فكانت الصحف المصرية واللبنانية هي الأكثر حضوراً في الكويت.

□ **هل تغلبت مهنة التدريس على عاشق الصحافة؟**

ـ بالعكس، فقد كنت إلى جانب مهنة التدريس أعمل مراسلاً صحافياً لمجلة الحوادث التي كان لها جمهور في الكويت.

□ **عملك الصحافي في الكويت هل أتاح لك حيّزاً لممارسة نشاطاتك السابقة في لبنان؟**

ـ كنت أُعطي الأولوية لمصدر رزقي في العمل، لكن ذلك ما حال دون اتساع خطواتي في العمل الصحافي، حيث كنت أكتب للحوادث أهم ردود الأفعال التي كانت تحدث في الكويت على ما يجري من أحداث في الوطن العربي، خاصةً عجلة التحولات السريعة التي تحدث في مصر عقب سنوات قليلة من ثورة يوليو، وتأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي على مصر.. وارتباط كل هذه الأحداث وسواها بالقضية الفلسطينية.

□ **كيف تُقيّم تجربتك في الكويت؟**

ـ هي لم تتجاوز العامين، ولكنها كانت ثرية، وثرية جداً.. طبعاً الجانب الصحافي طغى على التدريس، فلولا هذا الجانب لما تعرفت إلى الشيخ جابر العلي، ولا إلى الشيخ صباح الأحمد، حيث كنت ألتقيهما وألتقي بسواهما بحكم هذه المهنة، مما شكّل لي معهم صداقة لا زالت ممتدة حتى

الآن. وفي الكويت التقيت بالعديد من زملاء الدراسة كالدكتور أحمد الخطيب، وهو من مؤسسي حركة القوميين العرب، وسواه من أصدقاء لا يحصرهم العد.

□ **هل تحسن وضعك المادي خلال هاتين السنتين؟**

ـ هو لم يتحسن، لكن انقشع عن كاهلي كابوس الفقر وشبح العوز. ومع أنهم قدّموا لي إغراءات زيادة في الراتب للبقاء أكثر في الكويت آثرت العودة إلى بيروت.

□ **والسبب؟**

ـ لأحترف الصحافة بعدما بلغ المد القومي مداه بقيادة عبد الناصر، فعدت عام ١٩٥٨، وما هي إلا فترة وجيزة حتى أصبحت منغمساً في العمل الصحافي الذي كان يأخذ كل وقتي، لأن سليم اللوزي صاحب «الحوادث» كان ميالاً للاهتمام بالجوانب الفنية والأدبية والاجتماعية، لم تكن جرعة «الحوادث» السياسية تشغل حيزاً من اهتمامه، وعندما اضطر للإقامة في دمشق بسبب موقف معادٍ كان يكنه له الرئيس اللبناني كميل شمعون، سافر إلى هناك خشية أن يبطش به، فتسلمت كافة مسؤوليات العمل في المجلة، فضاعفت من عدد صفحات السياسة بعدما استعنت بالكثير من الأصدقاء كمنح الصلح، وموريس صقر، وباسم الجسر، وغيرهم.. فانتقلت الحوادث نقلة نوعية جعلتها واحدة من أهم المجلات السياسية في الوطن العربي. ولما عاد صاحبها سليم اللوزي من دمشق، سار على هذا النهج وفتح الباب على مصراعيه أمام مجموعة من الشباب

وجدوا في «الحوادث» ملاذهم، للتعبير عن أفكارهم السياسية والفكرية والثقافية، أذكر منهم طلال سلمان، نبيل خوري، فؤاد مطر، والياس سحاب، وغيرهم.

□ **ما الخط السياسي الذي كانت تنتهجه مجلة الحوادث؟**

ــ باختصار وبدون مقدمات، كانت سياستنا الداخلية مناصرة لفؤاد شهاب، أما عربياً وعالمياً فكنا مع جمال عبد الناصر على طول الخط.

□ **يعني كنتم سائرين في ركاب التيار القومي الوحدوي؟**

ــ طبيعة المرحلة كانت تفرض علينا ذلك التوجه، ودعني أضرب لك مثلاً بسيطاً عن الفلسطينيين ـ حتى قبل النكبة ـ كيف كانوا يتفاعلون مع التوجهات القومية، كانوا يقاتلون تحت قيادة عز الدين القسام وهو من سورية، وكذلك كانوا مع فوزي القاوقجي وهو لبناني، وهم يعتزون جداً بالقتال مع الشهيد أحمد عبد العزيز وهو من مصر. في مثل هذه الأجواء والمشاعر كان العرب يعيشون في تلك الحقبة.

□ **من موقعك في إدارة مجلة تحرير الحوادث الناصرية، هل تيسَّر لك الالتقاء بعبد الناصر؟**

ــ التقيته أكثر من مرة، ففي عام ١٩٥٩ كنتُ ضمن وفد مجلة الحوادث الذي التقاه في دمشق، وأذكر أنه كان من بين أعضاء

أسرة الحوادث الزميل أحمد شومان، وقد سبق له قبل الانضمام إلى «الحوادث» أن كتب موضوعات يهاجم فيها عبد الناصر، فأراد سليم اللوزي أن يرطب الأجواء بشكل فَكِه، فقال لعبد الناصر: إنه ليس شوماً واحداً يا سيادة الرئيس، إنما هو شومان.. فضحك عبد الناصر وصافح الجميع ماعدا شومان الذي ألقى بنفسه في حضنه فأخذه بالحضن.

المرة الثانية في أوائل الستينيات كنا في مؤتمر الصحافيين العرب في القاهرة وكان رياض طه نقيب الصحافيين مرتبكاً وهو يُقدم أعضاء الوفد اللبناني، ومن شدة ارتباكه أنه قدَّم محمد بديع سربيه على أنه محمد أمين دوغان، فما كان من عبد الناصر إلا أن قال لرياض: الله.. هو محمد أمين دوغان تغير شكله وأصبح يشبه محمد بديع سربيه، ولا إيه يا رياض! فأضفى ذلك جواً من المرح على أعضاء الوفد.

ثم التقيت بعبد الناصر مراتٍ عدة أثناء العمل السياسي في منظمة التحرير الفلسطينية، كما دعاني إلى بيته في منشية البكري بصحبة زوجتي أثناء شهر العسل، وصرت واحداً من الذين يتواصلون معه كلما زرت القاهرة رغم كثرة مشاغله.

آخر مرة التقيت بجمال عبد الناصر كانت في الخرطوم عام ١٩٦٧.

□ **بعد النكسة؟**

ــ نعم، كنتُ عضواً في وفد منظمة التحرير الذي ترأسه أحمد

الشقيري لمؤتمر قمة الخرطوم بعد النكسة. كان عبد الناصر وقتها حزيناً أشد ما يكون الحزن برغم أن جموع الشعب السوداني قد حملت سيارته وكانت تهتف «عدو ناصر.. عدو الله». ولكن لمعة عينيه الصقرية لم تكن كما عهدتها، كان الجميع ينتظرون دخوله قاعة المؤتمر.. ولما دخل لم أتمكن من كبح جماح انهمال دموعي!!.. ولما تكلم كان يرتجل وكأنه يقرأ من كتاب.

كان مؤتمر الخرطوم الاستثنائي مزدحماً بحشدٍ كبير من أوراق العمل، فلم يكن ذلك الوضع يسمح لي بمجرد التفكير بمحاولة الالتقاء بعبد الناصر. وعندما كنت متوجهاً لغرفتي في الفندق، وبينما كنت منتظراً المصعد، فُتح الباب وإذا بي وجهاً لوجه أمام عبد الناصر، فبادر باحتضاني فلم أتمكن من حبس عَبراتي، فقال لي: إجمد يا شفيق.. قل لي إزاي بناتك؟.. جالهم أخ ولا لسه إنت أبو البنات؟.. وازاي مراتك؟..

شددت على يده ولم أقل شيئاً غير: ربنا معانا يا ريس. في غرفتي أسلمت نفسي لنوبة بكاء هستيرية. وكان ذلك آخر لقاء لي بعبد الناصر.

□ ليت أنك تسلط لنا الضوء على ظروف الانتقال من العمل الصحافي إلى العمل السياسي؟

ــ والله يا أخي القصة هذهٰ طويلة وطويلة جداً، فأجواء رياح الستينيات كانت من الخصوبة بمكان بحيث إنها فتحت قرائح أبناء جيلي من الفلسطينيين لإيجاد وسائل لتنظيم أنفسهم تحت

ألويتها، وكلها تهدف إلى العمل من أجل العودة وبحكم طبيعة عملي الصحافي كنت أُشاطر العديد منهم أفكارهم وأشاركهم في البعض منها، وفي عام ١٩٦١ كنت أساهم بكتابة نشرة دورية عنوانها «طريق العودة»، تبلور عنها تنظيم حمل اسم «جبهة التحرير الفلسطينية»، تشكلت نواة ذلك التنظيم من: سميرة عزام، خالد اليشرطي، عبد المحسن أبو ميزر، نقولا الدر، راجي صهيون، شفيق الحوت، وغيرهم. في تلك الفترة شهدت الساحة الفلسطينية أكثر من عشرين تنظيماً فلسطينياً أغلبها تحمل الأهداف مع اختلافات طفيفة حسب توجهات قادتها.

□ هل كانت «فتح» من بينها؟

ـ كانت تصدر في بيروت مجلة تحمل عنوان «فلسطيننا»، موادها كانت مثيرة للجدل، والقائمون عليها ليسوا من الأسماء المعروفة في ساحة النضال الفلسطيني من بين تلك التي لمعت عقب سنوات النكبة، وبعد البحث تبين أنهم أعضاء في منظمات إسلامية، كحزب التحرير الإسلامي، والإخوان المسلمين، وما شابه.

ولما كنت أعمل في الصفوف المتقدمة في تنظيم «جبهة التحرير الفلسطينية» كان لابد لي من الالتقاء بالعديد من الفعاليات الفلسطينية الكثيرة، فكان أن التقيت بمنظِّر منظمة فتح ـ آنذاك ـ خالد الحسن ـ أبو سعيد ـ ودارت بيننا حوارات حول الكفاح المسلح والسبيل للإستعداد له والوصول إليه. وأُعجبت جداً بخليل الوزير ـ أبو جهاد ـ الذي قال لي في اللقاء الأول:

«فلسطين للفلسطينيين، وقد أغتُصبت، وعلينا أن نستردها بقوة السلاح». ثم التقيت بياسر عرفات الذي قال لي: «نحن نعتمد عليك في التقارب بيننا وبين القاهرة، لأنهم هناك يحملون عنا أفكاراً مشوشة».

وكنت كذلك ألتقي بأعضاء الفصائل الأخرى، وكان كل ذلك النشاط في السنوات الأولى من الستينيات. وعندما أُنشئت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في أواسط الستينيات كنت ممثلاً للفصيل الذي أمثله كعضو في اللجنة التنفيذية، هذه كانت بداية الانتقال من الصحافة إلى السياسة.

□ **ما الذي تذكره ويستحق الذكر هنا في عملك السياسي؟**

ـ بل قل ما الذي لا أذكره ولابد من ذكره يوماً ما.

□ **ستكتب مذكراتك إذاً؟**

ـ بدأت بذلك منذ فترة، ومع هذا فسوف أذكر لك بعض المفارقات غير القابلة للتصديق ولكنها حدثت بالفعل.

□ **تفضل..**

ـ في مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ انسحبت منظمة التحرير من المؤتمر محتجة على القرارات بسبب «اللاءات الثلاث»، لأن الشقيري كان يريدها أن تكون أربع لاءات، وكان نص الـ«لا» الرابعة «لا.. انفراد لأي دولة عربية بقبول أي حل لقضية

فلسطين»!!؟؟.. والمفارقة هنا ليست بانفراد مصر السادات بإبرام اتفاقية مع إسرائيل، وإنما الكارثة أن منظمة التحرير الفلسطينية نفسها انفردت بصلح مع إسرائيل بعدما أبرمت اتفاقية أوسلو! فهذه مهزلة المفارقات.

□ **لا شك أن رصيدك السياسي مثقل بالمفارقات؟**

ـ أروي لك مفارقة عجيبة أخرى توضح لك الفرق بين زعيم وآخر في النظر للقضية الفلسطينية. أثناء تعاملنا مع بعض القيادات، ذهبنا لعبد الناصر وطالبناه بأن يتبنى فصيلاً فلسطينياً يرتبط به شخصياً، وكنا على ثقة من أن هذا التنظيم سيكون من أكبر الفصائل التي تجمع الفلسطينيين على هدف واحد، فكان جواب عبد الناصر: «أنا على أتم الاستعداد لمعونة أي فصيل فلسطيني وأدعمه سياسياً ولوجستياً من كل النواحي» ورفض المشروع بطريقة منطقية.

وعندما ذهبنا لنهنئ سليمان فرنجية بعد انتخابه بالرئاسة كنا أنا وزهير محسن وأبو يوسف النجار كممثلين للفصائل الفلسطينية، قال لنا بالحرف الواحد: «فلسطين على راسي.. وإسرائيل عدو.. بس أنا عم شوف وعم بقرأ كلام عند البعض منكم ما كنت أفهمو.. هيدا كلام عن الإقطاع والاشتراكية ما بدنا نسمعو بلبنان.. نحنا نظامنا حر.. وكل بلد حر بنظامو.. مارح اسمح لحدن يتدخل بشؤونا الداخلية.. فهمتوا ولا ما فهمتوا؟!».

□ **ما هي المناصب التي توليتها في عملك السياسي؟**

ـ تنقلت في مناصب متعددة أهمها حضوري اجتماعات الأمم المتحدة، ثم إدارتي لمكتب المنظمة في بيروت وما بينهما الكثير من المهام.

□ **مما كُتب عنك أنك في الأمم المتحدة قد دخلت في معارك طاحنة مع اللوبي الصهيوني خصوصاً أثناء زيارة عرفات لنيويورك؟**

ـ أطرف ما يتبادر إلى ذهني من تلك المعارك هو يوم خروج مظاهرة كبيرة من اليهود أمام مبنى الأمم المتحدة تطالب عرفات والوفد الفلسطيني بالعودة إلى بلادهم، وكان الشعار المرفوع «أيها الفلسطينيون عودوا إلى بلادكم»، فخرجت إليهم وقلت لهم: نحن هنا في نيويورك من أجل هذا الهدف، وشكراً لكم على مناصرتكم لنا في تحقيقه، فما كان منهم إلا أن أخفوا ذلك الشعار واستبدلوه بنعتنا بالإرهابيين.

□ **لم نتحدث عن شريكة حياتك في هذه المرحلة؟**

ـ أم هادر؟! كم أشعر بالذنب أمام الصدمات الكثيرة التي تحملتها هذه الإنسانة العظيمة في مرافقتها لي هذا المشوار!

كانت هذه الإنسانة العزيزة الغالية الشريك الفعلي في كل ما حققته من طموحات في النضال الوطني، فلولاها لما كان هناك شيء اسمه شفيق الحوت.

أم هادر قدمت للمكتبة أربعة كتب صارت مرجعاً لكل الباحثين في قضية فلسطين وتاريخها. ولا أنسى والدها عجاج نويهض،

كان كاتباً وباحثاً كبيراً، وهو الذي ترجم كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» فماذا عساي أن أقول عن هذه العائلة الكريمة التي جعلت من قضية فلسطين همّها الأول والأخير.

□ **شفيق الحوت الذي كان كتلة من النشاط والحركة، والمليء بالتفاؤل والحيوية، صار أقرب ما يكون للإنسان المتشائم. . لماذا؟**

ــ يا أخ نجم، ضع في اعتبارك عامل السن، ومداهمة الأمراض. ثم إنني عندما أقارن بين ما كنا عليه بالأمس وبين ما نحن عليه هذه الأيام فإنني أتساءل: أين كنا وأين أصبحنا؟!. . فحيثما أتجه أجد أنني محاط بالتدهور والسقوط، فأنا محاصر بما يجري من حولي، فكامب ديفيد يلازمني كالشبح حيثما أكون، وانهيار المشروع القومي الذي كان يشكل لي أملاً بعودة فلسطين، وتفرد فصيل فلسطيني بإبرام اتفاقيات متخاذلة مع الصهاينة، وحروب الخليج التي لا يبدو أنها ستنتهي، وهذه المجازر اليومية التي تحدث داخل الأراضي المحتلة لتشمل البشر والشجر والحجر. . فمن أين يأتي التفاؤل؟!

□ **هل تعتبر نفسك ضحية؟**

ــ أنا لست الوحيد الضحية في هذا الوطن العربي، فهناك مئات الملايين من الضحايا أمام ما يجري في بلادنا من أوضاع.

□ **في إحدى مقالاتك حمّلت أبو عمار مسؤولية اغتيال ناجي العلي؟!.**

ـ وأُحمّله أيضاً مسؤولية اغتيالي أنا. . فناجي العلي ارتاح في قبره، أما أنا فأموت كل يوم والبركة بياسر عرفات.

□ **ممكن ندخل في تفاصيل هذه النقطة الأخيرة؟**

ـ أرجوك أنا تعبت، ولكن أعدك وأعد القراء والمستمعين بأني سأذكر كل شيء وبكل صدق في مذكراتي.

□ □ □

صلاح أبو سيف

قبل أن أكون واحداً من طلبته في المعهد العالي للسينما، كنت قد تعرفت إليه، وشهدته في الاستديوهات، وهو يقوم بإخراج أعماله السينمائية، كان صلاح أبو سيف يُعد من أكثر المخرجين أهمية، ومن أكثرهم هدوءاً أثناء عمله.

ففي الوقت الذي كان فيه يوسف شاهين يرعد ويزبد، ويتلفظ بكلمات غير لائقة داخل الاستوديو، نجد أن صلاح أبو سيف كثيراً ما يعتريه الحياء والخجل، في مخاطبته للعاملين معه في الاستوديو.

أما عما تركه من آثار فنية، فهي تُعدُّ بحقٍ من أكثر الأعمال السينمائية ملامسةً للواقع المصري، حتى أطلق عليه النقاد لقب «مخرج الواقعية».

عندما التقيته انتابتني الحيرة! فالرجل قليل الكلام، وإجاباته مختصرة جداً، ولكنني لم أتورع لتبديد حيرتي من التوجه إليه بهذا السؤال في لقائي الاذاعي معه:

□ وسيلتنا في الاذاعة هي الكلام، وما أعرفه عنك أنك رجل قليل الكلام، فكيف ستتعامل مع هذه المعادلة؟!

ــ إذا جلست وراء الميكرفون وهناك أسئلة توجه إليّ، فلا أستطيع الصمت، لا بد من أن أتكلم.

□ أستاذ صلاح، عندما كنت تقوم بتدريس مادة السيناريو والإخراج في معهد السينما، كنت تشعرنا نحن طلبتك بأننا أمام صديق، وهذا الأسلوب التربوي في التعليم جعلنا نُميّز بينك وبين الأساتذة الآخرين ممن كانوا يُصرّون على الشدة التي تصل أحياناً إلى الشتم والتعزير، لدرجة أننا كنا نرتقب مجيئك، ونحرص على الحضور إلى مادتك، لكي نستمتع بالجلسة مع صديقنا صلاح أبو سيف!!

ــ دراسة السينما تختلف عن أي دراسة أخرى، فالانسان الذي يقرر دراسة هذا النوع من الفنون، لابد أن يكون بداخله فنان، لديه فكرة كاملة عن طبيعة ما هو مقدم إليه، إذن لابد من الصداقة بيني وبينه كي نتفاهم على مشاريع المستقبل، ثم إنني لست مدرساً، فأنا صاحب تجربة، ولديّ معلومات قد اكتسبتها من خبرتي العملية، ودوري كان يتطلب مني أن أُطلع أصدقائي الطلبة على تجربتي وخبرتي. وهذا ما حدث فعلاً في تعاملي مع الكثير ممن أصبحوا الآن زملائي في العمل أمثال عاطف الطيب، وأشرف فهمي، وإيناس الدغيدي، ورأفت الميهي، ومحمد خان، وغيرهم وغيرهم.

□ **عفواً أستاذ صلاح، رأفت الميهي ومحمد خان لم يكونا من متخرجي المعهد العالي للسينما!!**

ـ الميهي لم يكن متخرجاً المعهد العالي للسينما صحيح، لكنه اكتسب معرفته السينمائية من الخارج عندما كان يكتب سيناريو، وارتبط بشبكة علاقات مع السينمائيين، وكان موهوباً، وانتقل من احتراف كتابة السيناريو إلى الإخراج.

أما محمد خان فقد درس السينما في لندن، لكنه اكتسب خبرة سينمائية عملية عندما اشتغل معي حينما كنت رئيس مجلس إدارة شركة الإنتاج.

ثم لا تنس أن الميهي وخان كانا من أصدقائي، كما كنتم أنتم في معهد السينما أصدقائي. أقول أصدقائي لأنها الكلمة الأكثر تعبيراً عن تلامذتي أو طلبتي.

□ **في فترة الستينيات تبوأت موقع الريادة في تحديد مسارات السينما المصرية، رئيساً لمجلس إدارة قطاع السينما، وكانت لديك طموحات للارتقاء بمستوى هذا المرفق.. فكيف ترى صناعة السينما المصرية الآن؟!**

ـ بكل أسف أقول: إن صناعة السينما في مصر متخلفة جداً، جداً!!

□ **والسبب؟!**

ـ أن هناك من يسعون لتدمير هذه الصناعة وفشلها! وهم أنفسهم ما زالوا يقفون ضدّ صناعة سينما مصرية نظيفة!

□ **من هم هؤلاء؟!**

ـ وبكل أسف أقول أيضاً: إنهم من السينمائيين، أو بالأحرى من جماعة سينما المقاولات، لأنهم ينظرون إليها من زاوية تجارية بحتة، حتى وإن قدمت للجمهور كل ما هو مبتذل ورخيص، فوقفوا بكل ما يملكون من قوة لإفشال القطاع العام في مجال السينما، واستغلوا مرحلة الانفتاح الساداتية، لإيصال السينما المصرية إلى أحط مراحل تاريخها في عقود ما بعد القطاع العام، فأصبحت شاشة السينما المصرية مليئة بالمشاهد الإباحية والفجور، والإغراء والانحلال، فالبطلة تخرج من مشهد جنس إلى مشهد جنس آخر، والحوار بذيء والألفاظ رخيصة مكشوفة! أما الرقابة فكأنها تُعبر عن مجتمع أميركي، عن الليبرالية التي يمارسونها هناك، عن حضارة غسل المخ بالجنس والعنف، والمخدرات، وكرة القدم، والإعلانات، والسلع الاستهلاكية، لأنهم لا ينظرون إلا لحصيلة الشباك، وهذا تقليد في ابتذال السينما الأميركية ولكن على مستوى أقذر وأتفه. والجيد من أفلام المقاولات هذه، وهو نادر جداً، لا يزيد على فيلم أو فيلمين من كل مئة فيلم!!

□ **أليس هذا حكماً قاسياً على السينما المصرية المعاصرة؟!**

ـ ما أقوله هو ما يحدث الآن بالفعل، لدرجة أن السينما قد ربّت

نوعاً من الجمهور أكثره من الغوغاء. بل إن المحترمين من الناس إذا ذهب الواحد منهم إلى دار السينما ليشاهد فيلماً، فإنه لا يكررها ثانيةً، لما يسمعه من تعليقات منحطة داخل دور العرض، فهذا الفن السينمائي الرديء هو العملة الرابحة في السينما المصرية المعاصرة.

□ **والحل؟!**

ـ أن تكون هناك إدارة مكافحة لمن يقدمون أعمالاً سينمائية مبتذلة، شبيهة بإدارة مكافحة تجارة المخدرات!

. . وأن يحاكم من يخرجون هذه النوعية من الافلام الرديئة! أنا أعرف أحد المخرجين، يقوم بإنتاج وإخراج سبعة افلام في السنة! أو تعرف ماذا يعني هذا؟ سبعة أفلام!! متى يقرأ السيناريوهات الخاصة بها؟! متى يقوم بتقطيع المشاهد لكل سيناريو؟! متى يعقد اجتماعاته مع المساعدين، وجهاز التصوير، وجهاز الديكور، بل متى يلتقي بالممثلين؟! هذا النوع من المخرجين يجب أن يُقدم للمحاكمة.

□ **بأي قانون، تدعو إلى محاكمتهم؟!**

ـ كما قلت لك: تستحدث إدارة باسم مكافحة الأضرار الاجتماعية، شبيهة بإدارة مكافحة المخدرات، أليست إدارة شرطة الآداب مهمتها الحفاظ على السلوك العام، والحياء العام؟ فيجب أن تكون مهمة هذه الإدارة التي سيكون لها قضاتها ممن يحافظون على سلامة الذوق العام في المجتمع. تصور أن هناك

مسابقة تجري في الوقت الحاضر، تقوم على أساس: من يقوم بإخراج فيلم خلال أسبوعين؟! وأصبحت للأسف الآن عشرة أيام! وأنا أعرف أحدهم أخرج فيلماً كاملاً في اسبوع واحد!

عندما أسافر إلى الإسكندرية في الأوتوبيس أشاهد أفلاماً غريبة، عمري ما سمعت عنها! وهي أفلام مصرية بممثلين معروفين!!

□ إذن أنت ترى الحل بإنشاء إدارة لمكافحة الأعمال السينمائية الهابطة؟!

ـــ نعم، السينما رسالة ثقافية ترفيهية، ولا ينبغي أن يقوم على صناعتها إلا من كان جديراً بها، أما حكاية «الجمهور عايز كدة» التي أصبحت كلمة يُشار بها إلى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر بسبب الجهلة الذين اخترقوا صناعة السينما، هذه الكلمة «الجمهور عايز كدة» يجب أن تعطينا درساً لما تحمله من مضمون يدل على الرخص والابتذال. هذه الكلمة يجب أن تُمحى من قاموس السينما!

□ ألا ترى أن الابتذال الذي أشرت إليه في صناعة السينما المصرية المعاصرة قد انتقل إلى التلفزيون أيضاً؟!

ـــ في التلفزيون أهون، لكن خطورة الابتذال في التلفزيون ليس ما نخشاه من إنتاج الفضائيات العربية، بالرغم من تحفظاتي على الكثير منها، الخطورة من البرامج والتمثيليات والأفلام التي تبثها فضائيات الدول الأخرى، ويشاهدها الناس في بلادنا العربية.

ولتأكيد تخوفاتي هذه، أنني كنت أشاهد محطة فضائية تركية تبث أفلاماً جنسية، ومتى؟ في شهر رمضان المبارك. تخيّل؟! ناس مجردون تماماً من الملابس، ويمارسون الجنس علانيةً.. هذا في تركيا، فما بالك مما تبثه الدول الأخرى؟! ولذا فإني أدق ناقوس الخطر لأجهزة الفضائيات العربية ألا يفسحوا المجال للمشاهد العربي كي يلجأ لمثل هذه الفضائيات، عندما يقدمون له أعمالاً جيدة ومدروسة، مستفيدين من أخطاء السينما، وكذلك من أخطاء المسرح الذي جنح للابتذال هو الآخر!!

□ عُدت أخيراً من باريس، ونشرت الصحف أن هناك مشاريع مشتركة بينك وبين سينمائيين فرنسيين، فهل من الممكن أن تُسلط الضوء على هذا الموضوع؟

ـ ما نُشر ليس صحيحاً، أنا ذهبت الى باريس لحضور مناقشة رسالة دكتوراة في جامعة السوربون عنوانها: «المجتمع في أفلام صلاح أبو سيف» قدّمها باحث تونسي اسمه خميس خيّاطي، وحصل بموجبها على درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف، وكنت قبل ذلك قد حضرت رسالة دكتوراة أخرى لعبد الحميد يوسف تناول فيها «الروايات الادبية في أفلام صلاح أبو سيف».

□ أكيد كان لـ نجيب محفوظ النصيب الأوفر في هذه الرسالة.. خاصةً «بداية ونهاية»، و«القاهرة «٣٠»»؟

ـ نجيب محفوظ اشترك معي في كتابة ١٥ سيناريو، وكانت من أفضل ما أخرجت من أعمال سينمائية.

□ يُقال أنك أنت الذي اكتشفت نجيب محفوظ ككاتب للسيناريو؟!

ــ وهذا ما أعتزّ به. . ففي عام ١٩٤٥ كان لي صديقان عزيزان جداً هما: عبد الحليم نويرة الموسيقي المعروف، وشقيقه فؤاد نويرة، وكانا كثيراً ما يتحدثان عن كاتب اسمه نجيب محفوظ، ثم أعطياني روايتيه اللتين كتبهما عن تاريخ مصر القديمة وهما: «كفاح طيبة»، و«رابيديس». والذي أعجبني فيهما أن نجيب محفوظ يكتب بالصورة، وليس بالأسلوب اللغوي، وعندما التقيته، قلت له: «أستاذ نجيب أنا أريد أن تشاركني في كتابة السيناريو السينمائي»، فقال: «ليست عندي معرفة أو خبرة في هذا المجال، فشرحت له وقلت: «أنت عندك المبادئ الأساسية الخاصة بالسيناريو، لأنك تكتب بأسلوب درامي، وما ينقصك هو معرفة خصائص الكتابة للسينما، وهذه مسألة ممكن التغلب عليها». وجلبت له عدة كتب عن حرفية السيناريو، وتمخض أول تعاون بيننا عن فيلم «عنتر وعبلة» من بطولة كوكا وسراج منير، وإخراج نيازي مصطفى.

□ بمناسبة نيازي مصطفى، كثيراً ما نراك تذكره بوصفه أحد أساتذتك، مع أنه لم يكن مخرجاً مبدعاً؟!

ــ إنني أعدّ نيازي واحداً من السينمائيين المتميزين في صناعة الحيل السينمائية «special effects»، ثم إنه درس السينما والتصوير في ألمانيا، وأنا تتلمذت على يديه عندما كان رئيساً لقسم المونتاج في ستوديو مصر في أوائل الأربعينيات،

والمونتاج كما تعرف هو أهم عنصر في السينما، لأن المخرج الذي لا يعرف المونتاج لا يمكن أن يكون مخرجاً جيداً، والمونتاج هو الذي علّمني الإخراج! فنيازي كان من أحسن الأساتذة.

□ **لاحظت أن فيلم «القاهرة ٣٠» كان بالأسود والأبيض، ما عدا مشاهد القصر الملكي، فقد تم تصويرها بالألوان؟!**

ــ للتأكيد على أن المجتمع الفقير كان يعيش بالأبيض والأسود، وللتأكيد كذلك أن المجتمع الأرستقراطي كانت حياته مزخرفة بالألوان، ولإظهار البون الشاسع بين الفقراء والأثرياء.

□ **هل نستطيع القول أن هناك مدرسة سينمائية يتزعمها صلاح أبو سيف؟.. يعني أن مدرسة ألفريد هيتشكوك تميز بها بأسلوب خاص به، وكذلك فيلليني، وأكيرا كيراساوا، كانت لكل منهم مدرسته، فهل هناك ملامح لخصوصية مدرسة صلاح أبو سيف السينمائية، لأنني من خلال أفلامك المتنوعة، التاريخية، والموسيقية، والواقعية، لا أستطيع أن أحدد ملامح مدرسة خاصة بك، كما يحاول يوسف شاهين أن يؤسس لنفسه أسلوباً سينمائياً خاصاً به؟!**

ــ المسألة ليست بهذا الشكل، وإنما ترتبط عندي بنوعية الفيلم، أو ماذا يقول هذا الفيلم. على سبيل المثال، هناك مواضيع مهمة

جداً أجد نفسي لا أستطيع القيام بها بنفس الجدية، ولكني أتجه بها نحو الكوميديا، مثل فيلم «البداية» الذي كان عبارة عن فانتازيا كوميدية، فيه مشهد ينتقد التلفزيون، ونحن نعيش في الصحراء، ولا يوجد شيء اسمه تلفزيون أبداً، فجعلت من جميل راتب أن قاضياً في محكمة، وفي نفس الوقت وكيلاً للنيابة، ومحامياً أيضاً، والمسألة كلها كانت عبارة عن انتقاد للتلفزيون بشكل فانتازيا، أما في «بداية ونهاية»، فالأمر كان مختلفاً وكذلك في «شباب امرأة»، و«رصيف نمرة «٥»».

□ يعني نستطيع القول: تعددت الأساليب، وخط صلاح أبو سيف في التعبير يسير على نسق سينمائي خاص به..

ــ بالضبط.

□ اذن أين نضع إخراجك لأفلام فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ؟

ــ «الوسادة الخالية» جاءني بمصادفات عجيبة، لأن رمسيس نجيب منتج الفيلم، عرض الرواية على أكثر من مخرج ممن عُرفوا بإخراج الأفلام الرومانتيكية فرفضوه لأنه لم يعجبهم، مع أن القصة تتكلم عن الحب الأول! فلما أعطاني الرواية، تفاعلت معها، وكانت النتيجة أن «الوسادة الخالية» يُعتبر واحداً من الأفلام الناجحة لعبد الحليم حافظ.

□ كيف يصف صلاح أبو سيف صناعة السينما التي

يعتبرها البعض من أبرز إنجازات القرنين الماضيين؟!

ـ لو اعتبرنا السينما مثل الآدمي، لكان الأخوان لومير في فرنسا، وأديسون في أميركا هم الذين صنعوا هذا الآدمي، ثم يأتي دور الألمان في ما اخترعوه من أدوات ومكائن لكي يجعلوا لهذا الآدمي ما يشبه المخ أو العقل. أما الروس فقد جعلوا مكّنوا صاحب هذا المخ أو العقل من عملية التفكير.. وجاء شارلي شابلن ليبعث به الروح.

وساهم الإيطاليون بجعله آدمياً له عائلة، لكن الأميركان حوّلوه بالدرجة الأولى إلى شيء مادي، فقد نزعوا عنه الآدمية والعقل، والروح، والفكر، والعائلة، وجعلوه خادماً لشيء واحد اسمه الدولار!

□ **من المنتصر في نهاية هذا المطاف؟!**

ـ بكل أسف الدولار!!

□ **لكن لا تنس أن أميركا قدمت أعمالاً سينمائية خالدة!!**

ـ ولا تنس أيضاً أن الصهاينة قد استغلّوها ليقوموا بتشويه أعرق الحضارات الإنسانية، ويقدموا أنفسهم كشعب الله المختار.

□ **هذا يدخلنا في موضوع آخر.**

ــ السينما الأميركية تقوم بانتاج «٥٠٠» فيلم تقريباً في السنة، لا تجد فيها أكثر من عشرة أفلام جيدة.

□ ألم يحاول الأستاذ صلاح أبو سيف أن يُخرج أعمالاً تلفزيونية؟!

ــ لم أحاول ولن أحاول.

□ لماذا؟!

ــ لأن المسألة كلها وسيلة تعبير، وأنا أُحسن التعبير في السينما!!

□ هل عكس صلاح أبو سيف تجاربه الذاتية في أفلامه؟!

ــ نعم، حدث ذلك، فأنا مثلاً في فيلم «هذا هو الحب» جعلت من ماري منيب وهي تسعى إلى خطبة فتاة لابنها، تقترب من الفتاة وتقبلها لكي تتأكد من رائحتها، وتشد شعرها لكي تتاكد أنه ليس شعراً مستعاراً، ثم تعطيها شيئاً صلباً لتأكله لكي تتأكد من قوة أسنانها، ثم قامت بفحص عينيها، ولم تترك صغيرة ولا كبيرة في جسمها إلا وتفحصتها بطريقة تفعلها معظم الحموات في مصر. وهذه الحكاية قد استقيتها حرفياً من والدتي.

□ من أكثر النجوم شغباً ممن تعاملت معهم؟!

ــ أنا لا أتعامل مع أي نجم مشاغب. وكذلك هناك نجوم ممن لا يشاغبون أيضاً لم أتعامل معهم.

□ **يعني لو اقتضت الضرورة الفنية الاستعانة بواحد منهم، فماذا تفعل؟!**

ــ لا ألجأ إليهم أبداً، لأنني أعلم أن الجو الذي أعمل فيه هو جو عائلي، ومعظم من أختارهم للعمل معي، أعرف أنهم يعملون بحب ورغبة في النجاح. لذلك لا أتعامل مع النجوم المغمورين والمشاغبين!!

□ **كثيراً ما نجدك تعمد الى اظهار مشاهد فاقعة لإبراز عيوب المجتمع، خاصةً في فيلم «الافوكاتو»!**

ــ أنا لم أخترع تلك المشاهد لأنها موجودة في المجتمع، ولا أعتبرها فاقعة، إنما هي انعكاس للواقع.

□ **عندما يذكر صلاح أبو سيف، دائماً يتبادر إلى الأذهان ذكر كمال سليم، مخرج فيلم «العزيمة» الذي يعتبر أول فيلم واقعي في تاريخ السينما كما صنفه الناقد الفرنسي جورج سادول، فما هي علاقتك بكمال سليم؟!**

ــ في سنة ١٩٣٦ كان كمال سليم قد خرج من استوديو مصر، فلم ألتقه عندما دخلت الى الاستوديو في ذاك التاريخ، ولما بدأت بالعمل كنت أُبدي بعض الآراء، فكان يُقال لي:

هذا رأي كمال سليم، مع أنني لم أكن أعرفه، فكل كلمة أقولها سرعان ما يُقال لي: إنك تتكلم بلسان كمال سليم.. فضقت ذرعاً من جراء ذلك، وذهبت لمقابلة كمال سليم، وعندما التقيته

لأول مرة قلت له: أنا صلاح أبو سيف، اشتغل في استوديو مصر، وكل شيء أقوله في الاستوديو، يقولون لي: هذا رأي كمال سليم! وأصبحنا بعد هذا اللقاء أصدقاء، الى أن جاءت الفرصة لنشترك معاً في «العزيمة»، الذي لم يكن اسمه العزيمة، انما كان «في الحارة»، وكان دوري في هذا الفيلم مشاركاً تماماً لدور كمال سليم حيث شاركته في المونتاج والسيناريو والإخراج.

□ لقد تعرضت أفلامك الأخيرة الى هجوم شديد من النقاد خاصةً فيلم: «حمام الملاطيلي» وفيلم «السيد كاف»؟!

ـ أقول لك حكاية: فيلم «الزوجة الثانية» من أهم وأحسن الأفلام المصرية، ويُعرض بعض الأحيان في التلفزيون، وأسمع من الناس إعجاباً منقطع النظير بهذا الفيلم. وفي إحدى المرات عُرض «الزوجة الثانية» في التلفزيون، وكتب أحدهم عنه نقداً، أقسم بالله جعلني من شدة الانفعال أترك العمل في السينما نهائياً!! فعنوان المقال كان على الشكل التالي:

«أيتها الواقعية كم من جريمة تُرتكب باسمك» الله!!

«هوّ أنا أكرس كل حياتي كي تكون النتيجة بهذا الشكل؟»ـ.

□ أين صلاح أبو سيف من العالمية؟!

ـ سنة ١٩٤٩ أخرجت فيلماً اسمه «الصقر» في إيطاليا، ولم أكرر المحاولة، وفي لندن اتفقت معي إحدى الشركات لإخراج

فيلم تدور أحداثه في الحبشة، ولكن لأسباب سياسية رفضت الحبشة تصوير الفيلم في أراضيها، فاخترنا السودان، إلا أن السودانيين كانت لهم شروط تعجيزية، وجاء اقتراح أن يكون التصوير في البرتغال، فقدمت لهم قائمة تتضمن حاجتي إلى ألفي شخص عسكري أسود اللون لإدارة المعارك.. لكن الجهة المنتجة لم تتمكن من توفير هذا العدد، فتعثر المشروع!!

□□□

طـه حسـين

سبق أن نوهت في أكثر من مناسبة إلى تقديمي لبرنامج إذاعي بعنوان: «أديب الأسبوع»، الذي كنت أعدّه من القاهرة لإذاعة الكويت في أواسط الستينيات، حيث أتيحت لي فرص الالتقاء والتحاور مع أعداد كبيرة من رواد الأدب، والفكر، والفن، والإعلام.

وعندما تم ابتعاثي لإتمام الدراسات العليا في أميركا، كان لا بد لي من الاحتفاظ ببعض التسجيلات.

وشاءت المصادفات أن يقوم الدكتور يوسف إدريس بزيارة لمدينة لوس أنجيلوس كأستاذ زائر لتدريس مادة الأدب العربي الحديث في جامعة كاليفورنيا.

وكنت ألتقيه يومياً، فأخبرني بحاجته لإيجاد صيغة سهلة ويسيرة لإعطاء طلابه جرعات أدبية متنوعة للأدب العربي الحديث، فاقترحت عليه أن يعرض عليهم بعضاً من الأشرطة

التسجيلية التي جلبتها معي، ثم يصار إلى مناقشة ما جاء فيها من آراء. . فتحمس للفكرة، ووجد أنها عملية وفاعلة، ولما طرحها على طلابه وجد أنهم أكثر حماسة لتقبلها.

فسلّمته جميع الأشرطة، ولم يكن يخطر لي - حينذاك - القيام بنسخها، والاحتفاظ بأصولها.

وقد وضع الدكتور إدريس قائمة بخمسين أديباً، في مقدمتهم الدكتور طه حسين، يليه العقاد، ولويس عوض، ومحمود شاكر، وعزيز أباظة، ويحيى حقي، ومحمود تيمور وغيرهم.

وفي المحاضرة الأولى، استمع الطلاب الى شريط لقائي مع الدكتور طه حسين، ثم نوقشت العديد من الآراء التي جاءت على لسان عميد الأدب العربي. . وهكذا دواليك، قد تمت عملية الاستماع الى الأشرطة وتعقبها المناقشات.

عاد الدكتور يوسف إدريس الى القاهرة ولم أحصل على أشرطتي، اذ إنها توزعت بين الطلبة، ولما عدت الى الكويت، خطرت لي فكرة الحصول على نسخ منها لتفريغها على الورق، ونشرها في كتاب، خاصةً وأن عدداً كبيراً ممن التقيتهم، قد انتقلوا الى رحمة الله، وبكل أسف فقد وجدت أن أشرطة برنامج أديب الأسبوع قد تم الاستيلاء عليها أثناء غزو العراق للكويت، حيث نُقلت جميع مقتنيات مكتبة الإذاعة الكويتية الى بغداد.

ولحسن الحظ أن بعض الأصدقاء من زملاء الدراسة في لوس أنجيلوس قد احتفظوا بنسخ منها، فزودني الدكتور عبد الله

العسكر ـ الذي رأس قسم التاريخ في جامعة الملك سعود ـ بعدد منها، كما وعدني بأعداد أخرى احتفظ بها زملاء آخرون، ومن ضمن الأشرطة التي أعطاني إياها الدكتور العسكر، شريط الدكتور طه حسين، الذي تم تفريغه، حيث أُذيعت مقتطفات منه عندما كنت ضيفاً على برنامج «خليك بالبيت» مع الصديق زاهي وهبي وها هو بين يديكم كما سُجل في أواسط الستينيات.

□ □ □

سنمر مرور الكرام على تلك الديباجات التي اعتادت التمهيد للشخصيات المراد التحاور معها، لسبب بسيط جداً، وهو أننا نتحاور مع عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، فماذا عسانا أن نقول عنه؟

يكفي أن نذكر اسمه لترتسم في الأذهان تلك الصور المختزنة في ذاكرة القراء عن الرجل الذي اعتبر التعليم كالماء، والهواء، ودعا الى مجانية التعليم، وكافح طويلاً حتى تحقق له ما كان يهدف اليه!!

ولهذا سنبدأ بالحوار معه مباشرة..

الأزهري الثائر

□ **فلنتصور طه حسين الشيخ الشاب، الثائر على مناهج الدراسة في الأزهر، قد استمر في دراسته الدينية، فماذا ستكون الحال حينذاك؟**

ـ كنت سأكون أزهرياً ثائراً! وقد حاولت ما استطعت المحاولة،

وتقدمت الى الامتحان في الأزهر، لكنني لم أنجح لسبب معين، وهو أن شيخ الأزهر رحمه الله قد أصرّ على ألا أنجح في الامتحان! لأني كنت في تلك الأيام قد قلت شعراً هجوت فيه شيوخ الأزهر، لأنهم حضروا حفلاً أقيم في مدرسة الوعظ والإرشاد التي أنشأها رشيد رضا رحمه الله، وقيل أنه في هذه الحفلة دارت كؤوس الشمبانيا على المحتفلين، فطبعاً لم يشرب هؤلاء الشيوخ من الشمبانيا، ولكنهم رأوها، وسكتوا عليها، ولم ينكروا! فقلت في ذلك شعراً، مع الأسف الشديد نُشر في جريدة من جرائد الحزب الوطني، كان يرأسها المرحوم الشيخ عبد العزيز شاويش، ولا أذكر منها الا مطلعها:

رعى الله المشايخ اذ توافوا إلى سافوي في يوم الخميس

فأصرّ الشيخ على ألا أنجح في الامتحان، وتم له ما أراد بعدما غيّر لجنة من لجان الامتحان، أمرها بإسقاطي فأبت!! فغيّرها بلجنة أخرى كانت طائعة مذعنة.

□ على ذكر الأزهر، لقد طالبت كثيراً بإصلاح الدراسة فيه، فهل ترى أن تلك الإصلاحات التي حدثت في السنوات الأخيرة، قد استجابت الى المطالب التي كنت تنادي بها؟!

ــ والله، أنا أتمنى هذا، وإن كنت أعتقد أن الإصلاحات التي أُجريت، شابها بعض العجلة. كنت أتمنى أن يُبتدأ بإصلاح التعليم الثانوي في الأزهر أولاً، حتى تكون شهادة الثانوية الأزهرية معادلة حقاً للشهادة الثانوية الحكومية، وكنت اعتقد وما

زلت، أن هذا توحيد لعقلية المصريين، فلا تكون هناك عقلية مدنية صرفة، وعقلية دينية خالصة، إنما تكون هناك عقلية مصرية، مؤمنة بالدين، وبالشريعة، وبالعلم، وبكل ما يقتضيه الإسلام.

□ **دكتور عدت أخيراً من رحلتك السنوية إلى أوروبا، فكيف وجدت هذه الرحلة؟**

ـ أنا في رحلاتي الآن الى أوروبا في الصيف، أقصد أماكن بعيدة، لا ألقى فيها أحداً، أو لا أكاد أن ألقى فيها أحداً.

□ **ماذا أسمي هذا؟ هل تريد العزلة عن الآخرين؟**

ـ بل أريد الراحة. أريد الراحة والاستجمام، ولا أذهب منذ سنين الى فرنسا، وإنما أذهب إلى إيطاليا، وأقضي الصيف في شمالها، في السهل شيئاً، وفي الجبل شيئاً، وعلى البحر شيئاً، ولا أكاد ألقى أحداً من الأدباء أو المثقفين، وإن كانت بيني وبين كثير من أدباء إيطاليا علاقات صداقة ومودة متينة جداً.

□ **كنت سأتوجه الى الدكتور بسؤال يتعلق بعلاقاته، ولقاءاته بالمثقفين في أوروبا، وما هي نظرتهم إلى قضايانا العربية!**

ـ أنا لا ألقاهم، ولكني أقرأ الصحف، والذي فهمته من قراءة الصحف الفرنسية والإيطالية، أن الحكومة الفرنسية معنا، لأن الجنرال ديغول معنا، ولكن الشعب الفرنسي متأثر باليهود الى

حد بعيد، فاليهود يسيطرون على كثير من مصالح فرنسا، وكثير جداً من المثقفين في فرنسا يميلون إلى اليهود، وإلى إسرائيل، بحكم الدعاية، وبحكم المصالح المالية.

وقد عجبت عندما رأيت مثلاً جون بول ساتر الذي زار مصر، وأُكرم فيها إكراماً شديداً، ولقي رئيس الجمهورية، ومكث معه أكثر من ثلاث ساعات، ولم تكد تعلن الحرب في العام الماضي، حتى أعلن تأييده لإسرائيل.

□ **ما تفسير الدكتور طه حسين لهذه الظاهرة؟**

ـ تفسيري أنها مصلحة! إنها المصالح المادية.

□ **يعني رجل كجون بول سارتر بلغ من الثقافة والفكر مرحلة ما يكفي أن تحول بين مادياته وإيمانه الفكري والثقافي هل من الممكن أن يصل الى هذا المستوى؟**

ـ والله كل شيء ممكن في هذه الدنيا، ففي الشعب الفرنسي ميلٌ أيضاً الى إسرائيل!! ولكن هناك بعض الصحف الفرنسية المعتدلة والمستقلة، تناصرنا بقوة كصحيفة «اللوموند» مثلاً، وهي من أكبر الصحف الفرنسية، هي معنا بكل قوة، وتنشر مقالات تأييد لنا بكل سرور.

□ **دكتور، تفشّت في أوروبا ظاهرة الشباب الذين يطلقون الأذقان، ويمشون حفاة في الطرقات، ويطيلون شعر رؤوسهم، وصارت لهم طقوس**

مفـزعـة، ألم يبحث الدكتور طـه حسين في هـذه الظاهرة؟

ـــ نعم، هو الإسراف في الحرية من جهة، ثم ثورة الشباب على بعض القيم والأعراف القائمة، ومحاولة تغييرها، وللشباب أطوار! يتطرف أحياناً، ثم يسير الى الاعتدال شيئاً فشيئاً، وهذا الأمر لم يقف عند الشباب في فرنسا وأوروبا، لكنه تجاوزها الى بلدان أخرى، إلى أميركا الشمالية، والى كثير من بلاد أميركا الجنوبية أيضاً.

□ **دكتور، من الناس من يذهب الى أن الشعر العربي الحديث قد انتهى بعد أعلامه الكبار أمثال شوقي، وحافظ، والزهاوي، والرصافي، وغيرهم، فما رأي أستاذنا في من يقول بذلك؟**

ـــ أرجو ألا ينتهي الشعر العربي، لأني أعتقد أن اللغة العربية أشد قوة، وحياة، وخصباً من أن ينتهي الشعر فيها. وكل ما ألاحظه هو أننا نجوز فترة انحط فيها الأدب، أو الإنتاج الأدبي، انحطاطاً ظاهراً، وأرجو ألا تطول هذه الفترة.

□ **دكتور، كذلك يلاحظ المتابعون لحركة النقد الأدبي أن صوتها قد خفت هو الآخر؟**

ـــ لا غرابة في هذا. ما دام الأدب نفسه قد انحطّ، فماذا تريد أن ينقد الناقدون؟ وأين هم؟ كان هناك الدكتور محمد مندور رحمه الله، وقد سبقنا الى الدار الآخرة.

□ **هل معنى ذلك أن ميدان النقد خالٍ الآن بعد رحيل الدكتور مندور؟**

ــ هو يوشك أن يكون خالياً.

□ **هذا اتهام خطير على لسان الدكتور طه حسين لحركة النقد المعاصرة!**

ــ إنه حقيقة، وليس اتهاماً.

□ **يستأثر المسرح بمكان الصدارة في الإنتاج الأدبي المعاصر، وقد كان لكم فضل التبشير بميلاد الأدب المسرحي على يد توفيق الحكيم، فما رأيك في الإنتاج المسرحي الحديث للحكيم؟**

ــ نظراً لأن أكثر هذا النتاج باللغة العامية، فأنا لا أحبه ولا أطيقه، ولا أشهد منه شيئاً.

□ **لكن توفيق الحكيم يعتبر من المجددين في مسرحية «يا طالع الشجرة»، ومسرحية «شمس النار»، و«الورطة»؟**

ــ هذه مسرحيات أراد الحكيم أن يذهب فيها مذهب التمثيل اللامعقول في أوروبا، وما أحسبه وُفّق كل التوفيق.

□ **إذاً هل يتابع الدكتور إنتاج كُتّاب المسرح الجدد؟**

ــ لا أقرأهم لأنهم يكتبون بالعامية.

□ **لكن ألفريد فرج، وعبد الرحمن الشرقاوي، يكتبان بالفصحى؟**

ــ لا أقرأ لهم للأسف، لأنهم لا يرسلون لي مسرحياتهم.

□ **ماذا لو سألتك عن كتّاب مسرح جدد مثل نعمان عاشور، سعد الدين وهبة، يوسف إدريس، رشاد رشدي؟**

ــ ماذا تريد أن أقول وأنا لا أقرأ نتاجهم المسرحي، مع أنهم يستأثرون بالإنتاج المسرحي في حياتنا المعاصرة، ولكن للأسف كما قلت: إنهم يكتبون بالعامية.

□ **دكتور، في حديث لك في التلفزيون قلت إنك لا تستطيع أن تفهم عبقريات العقاد. هل لك من التفصيل قليلاً لتوضيح هذا الرأي؟**

ــ لا، هو العقاد له في «عبقرياته» أنواع من الفلسفة غريبة! فهو عندما يكتب عن عمر بن الخطاب، لا يعرض تاريخه، وإنما يحاول أن يحلل شخصيته تحليلاً فلسفياً، وفي مذهبه الفلسفي كثير من الغموض، فهذا هو السبب في أني لا أكاد أفهم هذه «العبقريات»، لما فيها من هذه الفلسفة التي تحتاج إلى إيضاح.

□ **دكتور، أريد رأيك الصريح بنتاج العقاد، وما أهم ما أضافه الى تراثنا الفكري والثقافي في رأيك؟**

ــ أضاف أشياء كثيرة. أضاف دواوين شعر حسنة، جيدة، وأضاف كتباً في النثر وفي النقد، وأضاف هذه المقالات الأدبية

الكثيرة التي نُشرت في الصحف وجُمعت في بعض المجلدات، ثم له أبحاث لا بأس بها.

□ بصفتك رئيساً لمجمع اللغة العربية، هل أنت راضٍ عن نشاطه؟ وما الصورة المثلى التي ترى أن يسير عليها المجمع؟

ـ أما أنا فمعتقد أن المجمع يبذل ما يستطيع بذله من الجهد، وكل ما يُطلب من المجمع هو أن يحافظ على سلامة اللغة العربية الفصحى، وأن ينقل إليها مصطلحات العلوم الحديثة على اختلافها، لنتمكن أخيراً من تعليم هذه العلوم في الجامعة باللغة الأجنبية، وبالإنكليزية خاصةً، وهذا نقص لا بد من إكماله، وأؤكد لك أن المجمع يبذل أقصى جهد في تعريب هذه المصطلحات، ويكفي أن تنظر لما نشره المجمع من هذه المصطلحات التي عُرّبت.

□ دكتور، بمناسبة الحديث عن المجمع، هل العضوية فيه مقتصرة على المصريين؟

ـ إطلاقاً، فمحمد الفاسي مدير جامعة الرباط في المغرب، وكذلك هناك عبد الله كانون مغربي أيضاً، وحسن حسني عبد الوهاب من تونس، وكذلك فاضل عاشور، والأمير مصطفى الشهابي من سورية، وللعراق والسعودية أعضاء في المجمع.

□ دكتور، ما هو الشرط الذي يجب أن يتوفر في عضو مجمع اللغة العربية؟

ــ هو أن يكون من العلماء الذين يحسنون اللغة العربية، ويعرفُ ذلك من خلال نتاجاتهم.

□ **دكتور، أنت في حوارك هذا أنحيت باللائمة كثيراً على اللهجات العامية، وتطالب الناس بأن يتحدثوا ويكتبوا باللغة العربية الفصحى، مع أن واقع الحال يسير بعكس ما تطلبه. فالعامية أصبحت مهيمنة على معظم ما يقدم في الإذاعة والتلفزيون والمسرح، والقصص، بل والصحف، ألا تعتبر كل ذلك أدباً؟**

ــ كلا لا أعتبره أدباً بل انحطاطاً للأدب!

□ **لنضرب مثلاً في أزجال بيرم التونسي، وصلاح جاهين، والأبنودي، وهي جميعاً بالعامية؟**

ــ للعامية أزجالها وأشعارها، لكن هذا شيء، وأن تتغلب العامية على الفصحى وتصبح لغة الأدب فهذا شيء لا يحتمل.

□ **إلى أي حد استطاعت الحركة الأدبية أن تنهض بتوثيق عُرى الأخوّة بين أبناء الوطن العربي؟**

ــ إلى الآن لم تنجح كل النجاح، لسبب بسيط، وهو أن كثيراً من الشباب يكتبون بالعامية، وفي بعض البلاد العربية، أُهمل الأدب إهمالاً يوشك أن يكون تاماً، فمع الأسف الشديد الأدب ضعف في هذه الأيام، وأرجو إن شاء الله أن تعود له قوته، وإذا عادت له قوته، فلا شك أنه سيحقق أحسن شكل من أشكال روابط الأخوة العربية.

□ **ألاحظ من خلال هذا الحديث أن الدكتور طه حسين متشائم جداً لمكانة الأدب العربي، ووصفه بالانحطاط أكثر من مرة؟**

ــ في مصر الآن لا أشك في هذا.

□ **ما هو السبب المباشر الذي أدى الى هذا الانحطاط في رأيك؟ وكيف يمكن أن نتصدى له؟**

ــ بحسن تعليم العربية في المدارس والجامعات، لو تعلم شبابنا اللغة العربية تعليماً جيداً في مدارسهم الابتدائية والثانوية، وفي الجامعة، لم يهملوا الأدب العربي، ولم يتحولوا عنه الى اللهجات العامية..

□ **يريد الدكتور أن يقول إن سبب انحطاط الأدب في عالمنا العربي هو انتشار العامية؟**

ــ قطعاً!

□ **نحن نعرف رأي الدكتور طه حسين في مكانة الأدب العربي القديم، ومكانته في الآداب العالمية، فأين يضع الأدب العربي المعاصر بين الآداب العالمية؟**

ــ أنا أعتقد أن الأدب العربي القديم كان أدباً عالمياً بأدق معاني هذه الكلمة بعد الأدبين اليوناني واللاتيني، بل إنه انتشر أكثر من انتشار الأدب اليوناني واللاتيني، فهو قد ظهر في جزيرة العرب، وانتشر في الشرق الى الهند تقريباً، ثم في الغرب الى الأندلس، وهكذا سيطر على العالم القديم كله.

أما الأدب المعاصر، ففي عصر من عصوره الأخيرة بدأ يصبح أدباً عالمياً، وتُرجمت كتبٌ لبعض الأدباء الى اللغات الأوروبية، وعُني بها النقاد، وقرأها القراء، وتُرجم بعض هذه الكتب الى كل اللغات الكبرى في أوروبا، ولكن الآن قد ضعف الأدب العربي في مصر، ويوشك أن يكون قد ضعف في غيرها من البلاد أيضاً.

.. وأنا أخشى أن تكون عالميته قد تأخرت شيئاً، وأرجو أن يسترد الأدب العربي المعاصر عالميته وقوته، وأن يصبح أدباً عالمياً بالمعنى الدقيق الواسع لهذه الكلمة.

□ **دكتور، كيف تقضي أوقات فراغك؟!**

ــ ليس عندي أوقات فراغ يا سيدي!

□ **اذاً كيف تقضي أوقات انشغالك؟**

ــ أقرأ. مع الأسف الشديد، صحتي لا تسمح لي الآن بالكتابة، ولذلك أنا أنفق وقتي في القراءة، قراءة في الآداب العربية، وقراءة في الآداب الأجنبية، ما استطعت الى ذلك سبيلاً في أكثر النهار، وشطراً من الليل.

□ **أليست هناك من هوايات معيّنة تمارسها إلى جانب القراءة؟**

ــ أسمع الموسيقى القديمة. الموسيقى الأوروبية.

□ **فقط؟**

ــ فقط.

□ **يعني لو سألتك رأيك في بعض موسيقانا العربية، ومطربينا العرب، هل هناك مجال للحديث في هذا الأمر؟!**

ــ لا.

□ **في حديث لك في التلفزيون أشرت إلى أنك تستمع الى محطة القرآن الكريم.**

ــ نعم. إني أستمع إلى ترتيل القرآن.

□ **الدكتور طه حسين رفض الحديث عن الطرب والمطربين العرب، مع أن ظاهرة الإقبال على الأغاني صارت منقطعة النظير، فما تفسيرك لهذا؟**

ــ تفسيري أن الحياة الآن توشك أن تدع الجد إلى الهزل، والجهد الى الدعة، والعمل الى البطالة، فالشباب يسمعون الغناء في الراديو، ويشاهدون التلفزيون، ويذهبون الى المسارح، ويستمعون إلى المغنين على اختلافهم، وبخاصةً للسيدة أم كلثوم، وهذا كله هو الذي يصرفهم عن القراءة، وعن التعمق في القراءة، وهو الذي يصرفهم عن الأدب الجدي.

وإذا كان لا بد لي من نصيحة، وما أكثر ما وجهتها حتى أصبحت حديثاً معاداً، فهي أن يُعنى الشباب العربي بقراءة الأدب العربي القديم، ما استطاع الى ذلك سبيلاً، وأن يقرأ الآداب الحديثة إذا

كان يعرف لغة أجنبية، فليس هناك من سبيل إلى الرقي، إلا هذا.. قراءة التراث القديم للمحافظة على شخصيتنا العربية، وقراءة النتاج الأدبي الحديث في العالم لنعرف العصر الذي نعيش فيه، وليكن أدبنا ملائماً للبيئة العالمية التي نعيش فيها.

□□□

عباس محمود العقاد

عام ١٩٦٣ كنتُ أتابع نشاطات الوفود الكويتية في القاهرة وأرسل بها لإذاعة الكويت، وكان أغلب النشاط ـ حينذاك ـ منصبّاً على المشاركات في اجتماعات جامعة الدول العربية . .

وحينما كان الأستاذ صالح شهاب ـ وكيل وزارة الإعلام لشؤون السياحة في الكويت ـ في زيارة للقاهرة لحضور مؤتمر يتعلق بالسياحة العربية، حاورته عن مهمته في ذلك المؤتمر، ثم تناولنا طعام العشاء معاً، فأخبرني أنه سيذهب غداً ـ الجمعة ـ إلى ندوة العقاد، فرجوته أن أصحبه لحضور تلك الندوة.

وفي الموعد المحدد وقفت بنا السيارة أمام ١٣ شارع سلطان سليم في مصر الجديدة . . وبحكم العمل الإعلامي كان لا بد لي من فتح جهاز التسجيل لتوثيق ما كان يدور من مناقشات، لكنهم حالوا بيني وبين ذلك، وسُمح لي بتدوين الملاحظات فقط، فكتبت أول ما كتبت أسماء الحضور وهم: الرسام صلاح طاهر، الشاعر مصطفى حمام، الباحث محمد خليفة التونسي، مدرس

الفلسفة والصحافي أنيس منصور، الأديب علي أدهم، الشاعر العوضي الوكيل، وصديق العقاد الأقرب طاهر الطناحي، الناقد فؤاد دوارة، والقاص يحيى حقي، وغيرهم ممن لم أتمكن من معرفتهم، وكانت هناك سيدة وحيدة جلست في الصفوف الخلفية لم تتكلم وكانت آخر من دخل وأول من خرج.

وبدأ العقاد حديثه مقترحاً على الحضور أن يختاروا موضوعاً يكون محوراً للنقاش. . طلب أحد المغاربة من العقاد أن يحدثهم عن فلسفته في اختيار العبقريات، وهل تنطبق كلمة عبقري على جميع من اختيروا، ثم هل العبقريات عبارة عن تاريخ لمن اختارهم، أم هو تحليل لشخصياتهم؟

أخذ العقاد يشرح بصوته الجهوري، ولم يكن مسهباً في الكلام. كان يتكلم بثقة متناهية بالنفس، وبإيجاز شديد. . ثم انتهت المدة المتفق عليها لشرحه، وبعدها بدأت التساؤلات حول الموضوع المطروح.

أتذكر أن أحدهم سأل العقاد عن الشخصية التي تعاطف معها أكثر من بين الشخصيات التي كتب عنها، فأجابه قائلاً: يا مولانا، لا يجوز للباحث أن يستسلم لعواطفه أثناء البحث الأدبي أو العلمي وإلا لكان منحازاً على حساب الحقائق، ومع ذلك فهناك جوانب كثيرة في شخصية كلٍ منهم قمينة بالتعاطف معها، ويظهر ذلك التعاطف بشكلٍ أو بآخر أثناء البحث.

وكان آخر سؤال وُجِّه للعقاد عن سر اهتمامه الشديد بالشاعر ابن الرومي الذي أولاه عناية فائقة في ما كتبه عنه رغم أنه مُصنف

ضمن الشعراء الشعوبيين وعُرف بهجائياته المقذعة، فقال العقاد: يا مولانا البحث في هذا الأمر يحتاج إلى جلسة خاصة. وكانت هذه إشارة لنهاية الندوة.

كان الناقد فؤاد دوارة قبل أسابيع من التقائي به في هذه الندوة يفاوضني حول استعداده لإعداد برنامج أدبي يقوم هو بوضع الأسئلة والإعداد له وأُقدمه أنا للإذاعة في الكويت، فوجدت أن وجوده في هذه الندوة فرصة سانحة على أن يكون العقاد هو الضيف الأول، فلم يُكذب الرجل خبراً واتجه نحو الأستاذ العقاد طالباً منه أن يكون ضيفاً على الإذاعة الكويتية، فأبدى له استعداداً وحدد له موعداً واشترط أن يطلع على الأسئلة قبل التسجيل وأن يكون هو أي فؤاد دوارة ـ من يضع الأسئلة، فلم أُمانع.

وبعد صعوباتٍ حالت دون اللقاء أكثر من مرة، وتأجيل الموعد عدة مرات كان هذا الحوار..

□ □ □

□ من أين نبدأ الحوار مع قامة بحجم العقاد؟

ــ لستُ أنا الذي أُحدد بداية عملٍ تقومون أنتم به!

□ إذاً لتكن البداية عن ذكرى يوم مولدكم؟

ــ شوف يا مولانا، شهادة الميلاد المستخرجة من الجهات الرسمية كُتب فيها أنني ولدت في اليوم الأول من شهر يوليو عام ١٨٨٩، ولكنني لا أنا، ولا الذين يحتفلون بذكرى ميلادي نأخذ بهذا التاريخ!

□ متى تحتفلون إذاً؟

ـ نحتفل في يوم ٢٨ يونيو.

□ كيف هذا وشهادة ميلادكم الرسمية في أول يوليو؟

ـ أقول لك يا مولانا: أنا لا أثق بشهادة دار المحفوظات، وإنما ثقتي أكبر بوالدتي التي أخبرتني أنها وضعتني قبل أول الشهر بيومين، وقالت إن والدي لم يكن قد تسلّم مُرتبه إلا بعد يومين من ولادتي، مما مكنها من شراء ما كانت تحتاج إليه من لوازم ما بعد الولادة! إذاً تاريخ ميلادي هو ٢٨ يونيو عام ١٨٨٩ حسب شهادة والدتي وهي أكثر دقة من شهادة الحكومة.

□ أين كان مكان ولادتك؟

ـ أصل الأسرة من دمياط، لكنني ولدتُ في أسوان.

□ أستاذي الكريم، كثيراً ما يقترن اسم العقاد بتحصيله الدراسي المتواضع رغم عطاءاته التي تبزُّ عطاءات أعتى الأكاديميين؟

ـ متواضع؟! صحيح أنا من أسرة متواضعة، ولكن التحصيل المتواضع الذي يتكلمون عنه ويقصدون به السنوات التي يقضيها البعض بين جدران مبانٍ يُطلق عليها مدارس!! نعم أنا قضيت سنوات الابتدائية في أسوان، وبمناسبة التحصيل المتواضع، زاولت أعمالاً متواضعة أيضاً، في الجمعية الخيرية

الإسلامية، والأوقاف، والسكة الحديدية، ومصلحة التلغراف، ثم ارتقيت بالعمل كموظف بالقسم المالي في قنا، وانتقلت إلى الزقازيق، وأخيراً قررت الاستقالة من الوظيفة الميري - أي العمل الحكومي - والتحقت بمدرسة الفنون والصنايع في القاهرة، لكن في هذه السنوات أي منذ أن أنهيت الابتدائية عام ١٩٠٣ وحتى عام ١٩٠٧ وبعيداً عن جدران مباني المدارس قرأت العشرات بل المئات من الكتب التي كانت تستعصي قراءتها على أساتذة ونُظّار كانوا يقبعون داخل تلك المدارس، وهم يجترون معلوماتٍ جِدُّ متواضعة إذا ما قورنت بما اكتسبته بمجهوداتي الذاتية، فهم يجلسون لمدة سويعاتٍ محددةٍ في الأسبوع، بينما كان زمن القراءة عندي مفتوحاً على مصراعيه. وإلى جانب إحاطتي بعيون أمهات الكتب التراثية والإسلامية كان لدي إصرارٌ على تعلم اللغات الأجنبية.

□ أي لغات؟

ـ تعلمت الألمانية، والإنكليزية، والفرنسية، بعيداً عن جدران المدارس لأن التعلم في تلك المرحلة بالنسبة لي كان صادراً عن إلحاح الرغبة في الارتقاء، وليس مفروضاً بحسب الأوامر والنواهي داخل جدران تلك المدارس.

□ معذرةً أستاذنا، أنا عندما ذكرت التحصيل العلمي المتواضع إنما كان هدفي من باب الافتخار بك ليس إلا!

ـــ وأنا عندما أجبتك على سؤالك من باب إيماني بالحقائق التي أراها وأؤمن بها ليس إلا!

□ **في سنوات الإعداد هذه، هل كان لكم أي نشاط فكري أو ثقافي؟**

ـــ كان متواضعاً هو الآخر، أبيات شعرية في مناسبات مختلفة، كلمات تكتب هنا وهناك، مراسلات لبعض الصحف والمجلات!

□ **هل كان ذلك تمهيداً لاحتراف الكتابة؟**

ـــ وإن كنت أتحفظ قليلاً على كلمة ـ إحتراف ـ كنت أتمنى كلمة ألطف، ولكنني عملت فعلاً بجريدة الدستور التي كان يصدرها محمد فريد وجدي الذي كان يتوسم بي خيراً في ما أكتبه، ولم أخيب ظنه، كان ذلك في عام ١٩٠٧، وفي عام ١٩٠٨ التقيت بسعد زغلول الذي كان يعمل ناظراً للمعارف فأعجبت به أيما إعجاب، وبعد فترة على صداقتنا أجريت له لقاءً كان له صدىً مثير في الأوساط السياسية والأدبية.

□ **معنى ذلك أن الأبواب كانت مفتوحة أمامك في القاهرة؟**

ـــ كنت أتمنى أن يكون ذلك، لكن الرياح جرت بعكس الأماني!

□ **كيف؟**

ــ يا مولانا، أنا كنت ومازلت، وسأبقى ما بقي لي يوم من العمر، نهماً جداً لقراءة الكتب، ولذلك فإن معظم ما أحصل عليه نظير عملي يذهب إلى أصحاب المكتبات، وتكالبت عليَّ الظروف المالية عام ١٩٠٩، فبعت أعز ممتلكاتي وهي كتبي، وعدت إلى أسوان وظللت فيها قرابة العامين ثم رجعت إلى القاهرة عام ١٩١١ لأعمل في جريدة البيان.

□ ولكن المتتبع لخط مسيرتك الأدبية والفكرية يجد أن هذه الحقبة هي من أكثر سنوات الخصب والعطاء في حياتك؟

ــ ليس إلى هذا الحد. . ولكن في عام ١٩١٣ ـ ١٩١٤ كنتُ والمازني وعبد الرحمن شكري نكتب في مجلة عكاظ نقداً أدبياً جديداً مختلفاً عما كان يسود في الساحة آنذاك.

□ ـ مقاطعاً ـ يقال إن التقاءك بالمازني وشكري جعلك تشكل معهما تنظيماً أدبياً ثلاثياً فتح العديد من المعارك التي أشعلت الساحة الأدبية وقتذاك؟

ــ صبراً. . صبراً يا بني، لا تتعجل الأمور. عندما التقيت المازني وشكري استنبطنا مدرسة جديدة في النقد الأدبي أطلقنا عليها «مدرسة الديوان». . وليس تنظيماً ثلاثياً، هذا الأمر لم يتم بين يوم وليلة وإنما أخذ منا سنوات من البحث والدرس والتمحيص، وهذا الذي تسميه تنظيماً ثلاثياً أدبياً، أنا أسميه مدرسة في النقد الأدبي أعطيناه من عمرنا قرابة العشر سنوات لنصدر بعد ذلك في عام ١٩٢١ كتاب الديوان الذي ضمنّاه نقدنا لما كان سائداً من

شعر ونثر في تلك الحقبة، فتناولت أنا أشعار شوقي بالنقد والتحليل، وأخذ المازني جانب النثر فتناول أعمال المنفلوطي، ولأن الناس لم يعتادوا هذا الشكل من أشكال النقد رأوا أن ما كتبناه في الديوان إنما هو فتح نار المعارك التي أشعلت الساحة الأدبية كما ذكرت في سؤالك.

□ **ولكنك يا أستاذ، إلى جانب خصومتك مع شوقي دخلت في معارك وخصومات مع آخرين، مثل أمين الرافعي، ومكرم عبيد، وتوفيق دياب، بالإضافة إلى معركتك السياسية مع حكومة محمد محمود التي سميتها وزارة «القبضة الحديدية»؟**

ــ أضيف إلى ما ذكرته من خصومات أخرى لم تذكرها، لكي تكتمل الصورة عند سامعيك: لقد حاربت الشيوعية والشيوعيين، وحاربت حركة التبشير، وحاربت الصهيونية، وحاربت من يتاجرون بالدين من كل الطوائف والأديان، وتصديت لطغيان من يكتنزون المال، أما خصوماتي السياسية فحدّث ولا حرج. هل تريد المزيد؟!

□ **أستاذنا.. كانت لك منابر صحافية كثيرة تكتب فيها آراءك الجريئة.. فأيٌ من هذه المنابر كان الأثير لديك؟**

ــ كتبت في الدستور، والأهالي، وروز اليوسف، وكوكب الشرق، ومصر، والمؤيد، وغيرها من المنابر. هذا كان في العقود الأربعة الأولى من هذا القرن.. أما بعد ذلك فقد كتبت

في معظم المنابر التي استمرت في الظهور حتى وقتنا الراهن، وإنني لأعتز بكل هذه المنابر.

□ **ألم تحاول إصدار صحيفة خاصة بك؟**

ـ نعم.. أصدرت جريدة الضياء ولم يُكتب لها العمر الطويل لأسباب سيطول شرحها.

□ **أستاذنا، ما صحة ما يقال من أن حواراً عاصفاً دار بينك وبين مصطفى النحاس، وقال لك في نهايته: «أنا زعيم الأمة فما عساك أن تصنع يا عباس يا عقاد؟».**

ـ حدث ذلك فعلاً!

□ **فماذا كان ردّك؟**

ـ قلت له: أنت انتُخبت من بضعة أشخاص، ولكنني كاتب الشرق.

□ **ثم تركت حزب الوفد إثر ذلك؟**

ـ نعم.

□ **في أي عام حدث ذلك الصدام؟**

ـ في عام ١٩٣٧.

□ **رغم علاقتك التي كانت مميزة بسعد زغلول، ورغم**

أنك كنت من أقوى الأسلحة التي يستخدمها حزب الوفد في مواجهة خصومه؟

ــ لم أكن سلاحاً يُستخدم كما تشير، إنما كنت أنطلق في ما أكتبه عن حزب الوفد بدافع من قناعات ذاتية لا يُمليها عليَّ أحد، فأنا يا مولانا قد ارتبطت بحزب الوفد بالمعنى الدقيق لكلمة ارتباط أثناء ثورة ١٩١٩، وظللت من أشد الناس إخلاصاً لأفكار سعد زغلول مدافعاً عنها، وبتاري كان باطشاً بخصومها.

□ **لكنك اختلفت مع سعد زغلول؟**

ــ بحدة ـ لم يحدث قط أن حدث بيننا خلاف! كنا على اتفاق تام حول الخطوط العريضة لسياسة الحزب.

□ **أستاذنا.. كان رأيك مختلفاً لرأي سعد زغلول بشأن كتاب علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم»؟**

ــ هذا شيء آخر لا علاقة له بسياسة الحزب. سعد زغلول كان رئيسي كزعيم للحزب، ولكنه كان يحترم ما أطرحه من آراء حول الكثير من الأمور التي قد لا تلقى صدىً عنده، فهو بالنسبة إلى كتاب علي عبد الرازق الذي أحدث ضجة كبرى وصدرت ضده فتاوى تحريم من العديد من المؤسسات الدينية والمدنية والقانونية، أدلى بدلوه بشأن ذلك الكتاب بما يتماشى مع قناعاته الذاتية أو ربما كان مسايراً للتوجهات الدينية في البلاد، فرأى أن قرار الأزهر بطرد علي عبد الرازق من مشيخة الأزهر ومن وظيفته قاضياً قرار صحيح، بينما كنت أنا مدافعاً عن علي عبد الرازق

إيماناً مني بتعزيز مكانة حرية الرأي، وهذا ما فعلته كذلك في دفاعي عن الدكتور طه حسين عندما تعرض للمحاكمة بسبب كتابه «في الشعر الجاهلي».

□ **ما دمنا نخوض في الحديث عن المعارك، فمن المناسب أن نذكر معركتك الشهيرة في البرلمان!**

ــ يا مولانا، لقد اهترأت هذه الحكاية اجتراراً، وأكل عليها الدهر حتى أُتخِم!

□ **ولكنه التاريخ، والواقعة حدثت في الثلاثينيات ونحن الآن في الستينيات وهي حادثة مفصلية في تاريخ أديب كبير بحجم العقاد؟**

ــ إذا كنت مصّراً على هذا الموضوع فقل أنت لمستمعيك ما تعرفه عنه وأنا أصحح أي خطأ في الوقائع، باستثناء واقعة دخولي إلى السجن فهذه معروفة للجميع!

□ **ما أعرفه يا سيدي: أنه جرت محاولة من القصر لتعديل الدستور الذي جاءت به ثورة «١٩١٩»، وأن الملك كان يطمح أن تكون له صلاحيات لم يكن دستور الثورة يتضمنها، مما كاد أن يدفع بمصطفى النحاس إلى تقديم استقالته، وكنتُ أنت عضواً في هذا البرلمان فقلت قولتك الشهيرة: إنني أضع أكبر رأس في الدولة تحت قدمي؟!.**

ــ هناك ما هو غير دقيق في ما قلت مع أن ما قلته في البداية كان

قريباً من الحقيقة، ولكن ما قُلته أنا في البرلمان حدث فيه لغط!! فأنا قلت بالحرف الواحد: «ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعدٌ أن يسحق أكبر رأس في البلاد في سبيل صيانة الدستور وحمايته»!

□ **فماذا حدث بعد ذلك؟**

ـــ القصة معروفة!

□ **هل صحيح أن المحقق سألك: من تقصد بأكبر رأس في البلاد؟ فقلت له: من ذا الذي في رأسك؟. فقال لك: الملك! فقلتَ له: إذاً نحن متفقان؟!.**

ـــ أرجو أن تقلب صفحة على هذا الموضوع لنتجه نحو موضوع آخر.

□ **مجرد سؤال صغير يتعلق بنفس الموضوع: يُقال أنك عندما خرجت من السجن توجهت إلى قبر سعد زغلول وعاهدته على السير في نفس الطريق ما حييت؟**

ـــ هذا صحيح.

□ **نعود إلى المعارك الخفيفة.. أستاذنا أنت اختلفت أيضاً مع الدكتور طه حسين؟**

ـــ يا مولانا قلتم لي إن عنوان برنامجكم هذا «أديب الأسبوع». فأنا أقترح عليكم تغييره إلى «معارك العقاد» [يقهقه] نعم،

اختلفت مع الدكتور طه حسين في مسألة التجديد في الفكر المصري، لكنه اختلاف مع الاحتفاظ بالود والتقدير!!. وجرت بيننا بعض المماحكات الخفيفة بين الحين والآخر، ولكنها كانت محببة لم تؤد إلى خصومة في ما بيننا.

□ **هل كنتما تلتقيان في صالون مي زيادة؟**

ــ كنا نلتقي كثيراً في العديد من المناسبات.

□ **المعروف أن الدكتور طه حسين قد بايعك أميراً للشعراء؟**

ــ الدكتور طه كان يحدثني كثيراً عن قصيدة «ترجمة الشيطان» وقال لي أكثر من مرة، وربما كتب أنه لم يقرأ مثلها في الآداب الأجنبية القديم منها والحديث، ومنذ وفاة شوقي عام ١٩٣٢ وهو يجهر بمبايعتي لإمارة الشعر، وحدث في عام ١٩٣٤ أن كُلفت بمهمة تأليف نشيد العلم والتي قُلت فيها:

قد رفعنا العلم .... للعُـلا والفِـدا

في عنان السـماء

حيي أرض الهرم .... حيي مهد الهدى

حيي أم البقـاء

إلى آخره، فأُقيمت لي حفلة تكريم في حديقة الأزبكية وأُلقيت فيها الكلمات، ومما قاله الدكتور طه حسين في تلك المناسبة: إذا سألتموني لماذا أنا مؤمن جداً بشعر العقاد فليس عندي سوى

جواب واحد هو أنني عندما أسمع شعره ساعة أخلو إلى نفسي كأنني أستمع إلى خلجات نبض الحياة في قلب مصر. ثم طالب الحضور بمبايعتي أميراً للشعراء.

وإن كنت أذكر له هذا الموقف بالشكر والعرفان، فإن رأيه هذا لم يكن يمثل لي أدنى طموح.

□ أستاذنا هل هناك من متسعٍ للحديث عن بعض خصوصيات شخصية عامة بحجم عباس محمود العقاد؟

ــ تكلم عن أي شيء إلا ما يتعلق بالمرأة في حياتي، باستثناء تلك الكردية الجميلة التي أورثتني مما أدين لها بالفضل فيه. أقصد والدتي!

□ أستاذنا يقال إنك رفضت العديد من الجوائز ومنها دكتوراة فخرية من إحدى الجامعات، وأنك قلت لمانحيك إياها: لتتقدم لي جامعتكم ببحثٍ حتى أمنحها أنا درجة الدكتوراة! فهل هذا صحيح؟

ــ أنت تقول في سؤالك «يُقال»، فما أكثر ما يُقال! ومع هذا فأنا عندي ما يكفي من الجوائز، إنها أكثر من تسعين جائزة.

□ أكثر من تسعين جائزة؟

ــ نعم إنها كتبي التي أرجو ألا تعتبرها متواضعة هي الأخرى كتواضع تحصيلي الدراسي كما يقال؟!

□ **أستاذي الكريم لا أملك في نهاية هذا اللقاء إلا أن أتقدم إليك بالشكر والاعتذار. . وأترك لك الميكرفون لتقول كلمتك الأخيرة للسادة المستمعين. .**

ــ كلمتي الأخيرة ستكون ـ أيضاً ـ هي معركتي الأخيرة في هذا اللقاء، وسوف أوجزها بثلاثة أبيات شعرية أعارك فيها أولئك الذين يكرهون الحياة، لأقول لهم: هذه هي الحياة، كرهتموها أم أحببتموها، فهي بالنسبة لي أفضل من الموت! ولهذا أقول لكم:

قالوا الحياة قشورٌ قُلنا فأين الصميمُ؟
قالوا «شقاءٌ» فقلنا نعم فأين النعيمُ؟
إن الحياة حياةٌ ففارقوا أو أقيموا!

□ □ □

عبدالله الطريقي

المتتبع لقصة حياة عبد الله الطريقي وما فيها من كفاح، يجد أن كل عناصر الدراما قد اكتملت في حياة هذا الرجل لتغدو عملاً روائياً، أو من الممكن أن تكون سيناريو لفيلم سينمائي تتجسد فيه العصامية بأجلى معانيها، نظراً لما احتوت عليه من الأحداث الثرية في تطوراتها، والتي يندر حدوثها.

وعبد الله الطريقي الذي خرج من مدينة «الزلفى» - في نجد - ليشقّ طريقه مقتحماً المجهول في رحلة بدأها من نقطة الصفر، وتدرج بها في سلم معارج الحياة، فكان من أوائل من طرقوا الأبواب وبعنف عندما ذهب الى الولايات المتحدة الأميركية في الأربعينيات إلى يوم انبثقت على يديه - بمشاركة مع وزير البترول الفنزويلي - منظمة الأوبك.

□ □ □

كان آخر منصب تولاه الدكتور عبد الله الطريقي هو وزير النفط

في المملكة العربية السعودية، وبعده أنشأ مكاتبه الاستشارية في عدة عواصم عربية ومنها الكويت، حيث تيسّر لي أن ألتقي معه في عدة مناسبات.

كان الطريقي عاشقاً لعروبته، حاملاً همها ومشغولاً بكل ما له علاقة بتطوير الإنسان العربي، وكان يجتذب في مجالسه أعداداً كبيرة ممن كانوا يتفاعلون مع أحداث الستينيات، وقد كانت تلك الحقبة حافلة بالأحداث.

. . . كنت أقدم برنامجاً إذاعياً باسم «جولة في الدولة» ألتقي فيه بشخصيات فاعلة ومؤثرة، وكنت أحرص على اختيار أولئك الذين لديهم ما يقولون للمستمعين، خاصةً وأن فترة أواسط الستينيات قد حفلت بأحداث سياسية مثيرة، وعندما استضفت الطريقي في إحدى حلقات برنامجي، كان الرجل عبارة عن ثورة متأججة، وكانت الكلمات تخرج من فمه كحمم البراكين من شدة حماسته وصدقه.

□ □ □

وسألته يوماً:

□ **لماذا تبدو وكأنك محبط في ما تطرحه من آراء؟!**

ــ بعدما تخطيت هذه المرحلة من عمري، وهذه السنين من التجارب، بتُّ أشعر بملل شديد من هذه الحياة التي أعيشها كفرد من أبناء هذه الأمة العربية ذات المجد العريض والتاريخ النبيل،

وكل ما يتبع ذلك، وكل ما قيل عنها في الكتب من كرم ضيافة ونبل في الأخلاق، وإيمان بالله ورسوله، وتضحية بالغالي والنفيس في سبيل مجد الإسلام والعروبة، والحفاظ على كرامة العرب. . بتُّ الآن لا أشعر بهذه الأشياء موجودة حقاً في هذه الحياة، فقد غيرنا بأنفسنا ما غيّر الله فيها، وتحولنا إلى زرع غير ذي نفع، كبيرنا لا يعطف على صغيرنا، والوطنية أصبحت عندنا هي المكاسب الشخصية للفرد، وأصبح ذوو السلطة لا همَّ لهم إلا السيطرة ليصلوا إلى الحكم بأية وسيلة باسم الامة ومجدها، وعندما يتربعون على الكرسي يكون همهم الأول والأخير الاحتفاظ بهذا الكرسي، ولو ارتفع على جماجم الناس.

□ أليس هناك جانب مشرق يقابل هذه الصورة القاتمة التي أشرت إليها؟!

ـ يا سيدي إن الله عز وجل قال في حقنا: «. . . **خير أمة أُخرجت للناس. تأمرون بالمعروف. وتنهون عن المنكر. .**» ومع ذلك فنحن نعيش عيشة غير راضية مليئة بالتناقضات: أغنياء وفقراء، تغوص ركبنا بالذهب، وبطون أغلبيتنا جائعة، لقد أصبح كل شيء مستورداً حتى الإنسان، إننا لا نستطيع أن نقوم بوظيفة «كناسين» في الشوارع، لا لأننا نستطيع استيراد الكناسين ونتفرغ للأعمال الدقيقة كما يفعل أهل سويسرا مثلاً أو ألمانيا، بل نفعل ذلك لمجرد أننا لا نريد أن نفعل حتى أبسط الأعمال، والكسل آخذ منا كل همه حتى دفعنا عن الإقدام على القيام بأي عمل جليل لنحفظ به الثروات للأجيال القادمة، علماً أن لنا من

القوة لو أن اقتصادياتنا النفطية والثروات الطبيعية الأخرى الزراعية، بل والصناعية قد تركزت في استراتيجية محددة لكنا في صفوف الدول المتقدمة في العالم، لكن وضعنا اليائس والبائس جعلنا نتقن التسول في المحافل الدولية، ونشكو إسرائيل التي لا تزال مستمرة كالنار في الهشيم تلتهم الرطب واليابس لتحقق أمبراطوريتها من النيل والفرات ويثرب وأنطاكية، وليس مستبعداً عليهم أن يقتلعوا أسس المسجد الأقصى، ويخرجوا الإسلام جملةً وتفصيلاً من الأراضي المقدسة في فلسطين!!

□ دكتور عبد الله، أين الخلاص من هذه الصورة التي باتت تحتل مكان الصدارة في مفرداتك، وكتاباتك، ومحاضراتك؟!

ـ لكي لا نكون مبالغين في اليأس، لابد من النظر إلى الإمكانات الحقيقية للأمة العربية، فهذه الامة تملك أعظم الأنهار، نهر النيل الذي يخترق السودان ومصر، ونهري دجلة والفرات في العراق، ثم إن الأمة العربية هي مجموعة الشعوب الواقعة في قطعة الأرض الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، ومن أواسط أفريقيا والبحر العربي إلى البحر المتوسط وتركيا، ومن الشرق إيران والخليج العربي، ومن الجنوب البحر العربي، وأفريقيا السوداء، ومن الغرب المحيط الأطلسي، وهذه الأرض ـ العربية ـ تحتوي على الصحراء الكبرى، وصحراء جزيرة العرب، وكما هو معروف فإنها تحتوي على ما يتجاوز الـ «٦٠٪» من احتياطي النفط في العالم.

□ هل يعتبر النفط المصدر الرئيسي لاقتصاديات العرب؟!

ــ على المدى المنظور نعم، لكن الأراضي العربية تحتوي على الفوسفات، وهي مادة ثمينة لها أهمية كبرى في الصناعات، ويمكن أن يُصنع منها أجود المخصبات، وتعد المغرب والجزائر وتونس ومصر والأردن، من أهم البلدان المصدرة لمادة الفوسفات في العالم، وهناك رواسب الحديد الموجودة في موريتانيا والجزائر ومصر، وهذه لها أهمية في تطوير الصناعات الثقيلة. كذلك يوجد في الوطن العربي أراضٍ خصبة صالحة للزراعة في كل من السودان والعراق وسورية ومصر والمغرب والجزائر، وتعتبر دلتا نهر النيل من أخصب الأراضي الزراعية، وأكثرها إنتاجاً في العالم. كما أن الموقع الجغرافي للوطن العربي يسهل لأهله الاتصال في جميع الاتجاهات، والتعامل مع جميع الشعوب تجارياً واقتصادياً وثقافياً، فالطيران إلى آسيا وأفريقيا من أوروبا وأميركا لا بد أن يمر من مطارات البلاد العربية وفي أجوائها. كما أن قناة السويس هيّأت أقصر طريق بحري للوصول من أميركا وأوروبا إلى آسيا وأستراليا والعكس.

□ كيف من الممكن استثمار ما جئت عليه آنفاً لتأخذ الأمة العربية موقعها الصحيح بين الأمم المتطورة؟!

ــ كأنك تقول: لماذا نحن هكذا رغم كل ما لدينا من مقومات؟! وإجابتي على سؤالك هذه ستكون غريبة بعض الشيء، ولكننا لو

رجعنا إلى أصولنا وإلى حضارتنا الأصيلة وإلى ثقافتنا التي لا يزال كثيرون منا حتى الآن يسخرون ويرددون أن القوة كل القوة لدى الحضارة الغربية!!.. وما نحن إلا أتباع مقلدون قاصرون عن الوصول إلى الأهداف التي كثيراً ما نتكلم عنها ولا نطبقها!!..

أريد من هؤلاء أن يفكروا كما يلي:

يقول الله عز وجل: «**إن أمتكم هذه أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون**».

هذا كلام إلهي، نحن أمة واحدة، فلماذا نخالف ما أراده الله لنا بالفرقة والتشرذم؟! فالله جل وتبارك يقول: «**أمرهم شورى بينهم**».. ونحن أبعد ما نكون عن الشورى، شعارنا دائماً التصفيق، والتطبيل والنفاق لمن بيدهم الأمور، انعدمت بيننا قولة الحق، بل انعدمت الثقة بين أصحاب القرار في الوطن العربي، فأصبح الواحد منهم يخاف على نفسه، فيحصنها بالعزلة بدلاً من الاندماج والوحدة، أو على الأقل الاتفاق الفعلي وليس الشكلي على المصالح المشتركة لأبناء الأمة الواحدة. والغريب أيضاً أن معظم قادتنا كثيراً ما يرددون الكلام عن وحدة الصفوف، ولكنهم لا يفعلون، ولو فكروا قليلاً وبعقلانية بعيدة عن العاطفة، لظهر لهم بوضوح أن لا أمل في التقدم والتطور إلا بقيام تنسيق عربي مشترك في مختلف القطاعات، وأهمها الاقتصادية بقيام سوق عربية مشتركة، وإني لأقسم لو أن المسؤولين العرب قد قرأوا التاريخ بإمعان ووقفوا أمام تلك الأيام التي كانت الحضارة العربية

مزدهرة فيها، لاكتشفوا أن السبب في ذلك الازدهار يرجع إلى تعاونهم وفتح مجال حرية الإبداع على مصراعيه، حتى أصبحت الأمة العربية تصدر العلوم والفلسفة والفكر والثقافة إلى الأمم الأخرى، ولكنهم للأسف لم يطلعوا على التاريخ ولم يتعظوا حتى من الحاضر القريب، فكانت النتيجة أننا نعيش الآن في مراحل من الذل والهوان!!

□□□

كنت سعيداً إلى أبعد حدود السعادة في هذا الحوار، ولكن سعادتي لم تكتمل، فبينما كنت أقوم بعملية «المونتاج» وهي عملية ضرورية لضبط وقت البرنامج، بحذف بعض الزوائد من التسجيل وإضافة موسيقى مقدمة البرنامج ونهايته، في هذه الأثناء كان في غرفة المونتاج إلى جانب مهندس الصوت من يترددون بين الحين والآخر على تلك الغرفة، وكان من المقرر إذاعة البرنامج في الساعة الرابعة من يوم الجمعة، وفي مساء يوم الخميس أي قبل يوم واحد من إذاعة البرنامج، سلمت الشريط إلى جهة الاختصاص كي يأخذ طريقه إلى البث، وقبيل الساعة الرابعة كنت مع عدد من الأصدقاء ننتظر أمام الراديو لنستمع إلى الحوار مع الدكتور عبد الله الطريقي، لكنني فوجئت ـ ومن معي ـ بأن البرنامج لم يظهر، وقُدمت مكانه فقرات غنائية. وفي اليوم التالي، استدعيت إلى ما يشبه المجلس التأديبي نتج منه توجيه إنذار وتعزير. ولما تقدمت بشكوى عند كبار المسؤولين، كانت الإجابة أن ما حدث لك ما هو إلا سلوك فردي واجتهاد من مسؤوليك في الإذاعة.

ولما طالبت بإعادة النظر في الحوار مع الدكتور عبد الله الطريقي، ومدى إمكانية بثه على الهواء في البرنامج الذي أقدمه، طُلب مني الشريط لكي تستمع إليه لجنة، وحتى هذه الساعة أي بعد مضي أكثر من ثلاثين سنة لم تجز اللجنة الشريط الذي أجريت فيه حواراً مع الدكتور عبد الله الطريقي!!

في عام ١٩٨٠ التقيت الطريقي في أبو ظبي، وكان بصحبة أحمد السويدي، وقد ظهرت عليه آثار الشيخوخة مع أنه لم يكن قد تجاوز الستين من عمره، وكنت أتصور أن تصاريف الحياة والتقلبات التي حدثت والتغيرات التي طرأت في العالم، قد لعبت دوراً في التأثير على أفكاره، ولكن ما أن تحاورت معه قليلاً حتى وجدت أن الرجل قد ازداد صلابة أكثر ممزوجة بمرارة في مذاق أحاديثه، فزيارة الرئيس المصري لإسرائيل قد تسببت له بطعنة كأداء، وكذلك الاحداث السياسية التي أعقبت تلك الزيارة مثل: كامب ديفيد وحرب لبنان الأهلية وغير ذلك، وبات واضحاً في مفردات الطريقي أنه يكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم وبأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى الرجوع إلى أحداث تاريخ الإسلام والعرب. وسألت الطريقي:

□ **كيف تقيم المرحلة الراهنة؟! وما هو السبيل إلى الخروج من المآزق التي تحيط بالأمة العربية؟!**

ــ لقد حبا الله أرض العرب بصفات مادية ومعنوية، كما اختارها الله لتكون محطة للوحي السماوي، والاتصال بين الخالق والمخلوق.

وهذه ثروة روحية عظيمة اتصفت بها أرض العرب، كما أن هذه الأرض تحتوي على الأماكن المقدسة لأعظم الأديان وأخطرها وهي اليهودية والمسيحية والإسلام. إن الله قد أعطى العرب كل شيء، فمنحهم الروح والمادة وما على العرب إلا أن يمنحوا أنفسهم العمل المخلص والجاد.

□ **وكيف السبيل إلى هذا المخلص والجاد؟!**

ــ لقد نزل الإسلام على سيدنا محمد، واستطاع صلى الله عليه وسلم بالرسالة السماوية أن يجمع شمل قومه على كلمة التوحيد. وقام العرب بمهمة نشر الإسلام خير مقام، ودخل إلى الإسلام شعوب متباينة الأهواء والطبائع، فصقلها في بوتقة الإيمان لتخرج أمة إسلامية واحدة خدمت الإنسانية، وجمعت تراث الشعوب التي سبقتها وطورتها وأضافت إليها علوماً جديدة حتى أصبحت قاعدة أساسية للحضارة العربية الحديثة. وإن تدفق النفط في عصرنا هذا يجب النظر إليه على أنه حدث أراد به عز وجل تعويض العرب عما لقوه من ضنك العيش، ليسعدوا في حياتهم المادية كما سعدوا من قبل بحياتهم الروحية، لكي يعم الخير بلاد العرب وبلاد المسلمين.

□ **لو كان لديك كلمة تتوجه بها لأبناء الأجيال القادمة، فماذا تقول؟!**

ــ أقول: إن تجربة جيلنا قد علمتنا أن لا مستقبل لهذه الأمة بدون تكاتفها وتعاضدها وتعاونها، ولا استمرار لهذه الأمة بدون

الشورى، على أن يكون شعارها: «إن أهل مكة أدرى بشعابها..» ولابد من قيام تعاون عربي يشمل أمور الدفاع والاقتصاد، ولابد أيضاً من احترام حقوق الإنسان في الوطن العربي، بغير هذه الأمور لا أظن أننا سنحقق أي شيء من أحلامنا.

□ ألا ترى أن على المثقفين العرب واجباً كبيراً يجب عليهم القيام به؟!

ــ نعم نعم، إن مسؤولية المفكرين العرب توجب أن يقولوا في المراحل الرئيسية كلمتهم في التبصير والتحذير، وأنا لست من أنصار تعذيب الذات، ولكنني من أشد الدعاة إلى نقد الذات، فلهذا تجدني أطرح آرائي وأعكس هويتي القومية ويقيني السياسي وقناعتي الموضوعية والعلمية بكل وضوح وصراحة.

□ لماذا نجدك لا تشير إلى الإنجازات النسبية التي تحققت خلال العقود الماضية؟!

ــ لأن تلك الإنجازات لم تكن لتتناسب مع الطموحات القومية ولا مع الجهود المبذولة أو الإمكانات المتاحة، فما تعني تسميه إنجازات، ماذا تحقق للأمة العربية؟!.. لم يتحقق تشابك عضوي بين اقتصاديات الوطن، وظلَّ التعاون الاقتصادي هامشياً في معظمه محدود الوزن والأثر، كما أنه لم يكن منبعثاً عن تخطيط تنموي متكامل، ولست أنا أول من طرق هذا الموضوع، ولكن إذا كنتُ أدلي بدلوي فيه فإني أعترف منذ البدء: بأنني قدمت الكثير من الأفكار والأطروحات، واجتهدت واجتهد

سواي، لكننا بكل أسف أخفقنا، وهذه الإخفاقات تكاد تشكل سلسلة لها أول ولا يبدو لها آخر.

□ **لماذا؟!**

ـ لأن موضوع الحديث عن الإنسان العربي ومشكلات الواقع العربي المعاصر معقّد ويكثر الكلام عنه، وتختلف الآراء فيه، وهذا أمر طبيعي بعد تلك الإخفاقات العسكرية والسياسية والقومية التي اصطبغت بها حياتنا في العقود الماضية.

□ **هل لك أن تُشخص مصادر الأزمة التي نعيشها؟!**

ـ ببساطة هي أزمة العقل العربي في عجزه عن مواجهة التحديات، وهي تشمل كافة القطاعات في وطننا. وبموجب القانون الطبيعي الذي ينص على أنه لا شيء يُخلق من نفسه، فإن أزمتنا لم تخلق نفسها، إنها ظاهرة تشمل المثقفين التقليديين متحجري التفكير من أهل اليمين أو أهل اليسار على السواء وما أكثرهم!

فهؤلاء قصدوا الغرب أو الشرق ارتياداً للعلم والمعرفة، فبهرتهم حضارة الغرب بقيمها ومفاهيمها، فأعجبوا بليبراليتها وانخرط البعض منهم في أيديولوجيتها الماركسية، وليس عليهم من ذلك حرج، ولكن الانبهار بلغ ذروته عندما حدثت المواجهة بين الحضارة الغربية وما نمرّ به نحن العرب في وضعنا الراهن، فخلق ذلك الوضع عقدة نقص عند بعض المثقفين العرب، إذ إنهم لم يروا سوى النموذج الغربي،

متعامين عن كل المقومات التاريخية والراهنة في واقعهم العربي والإسلامي، والذي من الممكن أن يُشكل هذا الواقع للأمة العربية قوة لا تقل عن قوة أي دولة متقدمة لو أن مثقفينا قد نهجوا النهج الصحيح بدلاً من السعي إلى حصولهم على مميزات خاصة، وإيثار ذواتهم على حساب موضوعيتهم.

□ هل أُسمي هذا اتهاماً للمثقفين؟!

ـ أرفض التعميم، فهناك الكثير من الشرفاء، ولكن دعني أذكر لك الواقع الذي كان سائداً منذ قرن ونصف قرن، يوم كانت الأزمة التاريخية هي الشغل الشاغل للجهد الفكري والثقافي الذي قام به رجلان هما: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وكيف استطاعا أن يشغلا الدنيا في تسليط الضوء على تلك الأزمة، فأين مثقفونا اليوم والعالم العربي قد غدا بؤرة للأزمات؟ ولا أبالغ إذا قلت إن الأخوة الأفارقة قد نظموا صفوفهم، وإذا ما قارنت أزمات أفريقيا بأزماتنا، فالبون شاسع بيننا وبينهم.

□ ما الذي قدمته لأمتك كمثقف؟!

ـ لست في موقف الاستجواب كي أجيب على سؤال مثل هذا، ولا أظنني من أولئك الذين يحبون الحديث عن أنفسهم، وعليك أن تبحث بنفسك عن الدوافع التي تدعوك إلى ملاحقتي منذ سنوات لتكتشف ماذا قدمت لأمتي!!

□ □ □

رحم الله الدكتور عبد الله الطريقي، ذلك الرجل الشريف الذي أحب أمته فأحبّته، ويتضح ذلك بجلاء عندما يُذكر اسم عبد الله الطريقي، فإنه لا يُذكر إلا بالتبجيل والتقدير والاحترام على الصعيدين الرسمي والشعبي، سواء في الوطن العربي أو في داخل وطنه المملكة العربية السعودية، حيث أمضى السنوات الأخيرة من عمره في مدينته الزلفى وعندما توفي جاءت وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية على مسيرته الحافلة بالعطاء المخلص.

□ □ □

عبد الرحمن الأبنودي

التقيته أكثر من مرة وفي أكثر من بلدٍ، مرةً أصطحبه لعدة أيامٍ في الامارات، ومرةً ألقاه في بيته في القاهرة، ومنذ سنتين زرتهُ في مستشفى في باريس، ونحن في تواصل دائم منذ ثلاثة عقود.

الصديق عبد الرحمن الأبنودي، استطعت من خلال حواراتي معه هنا وهناك أن أقدمه لقُراء روز اليوسف في هذا الحوار:

□ ونحن أمام عبد الرحمن الأبنودي، لا بد لحوارنا معه أن يتجه نحو طريقين، الأول أبنود في الصعيد، والثاني لندن، فبأي من هذين الطريقين نبدأ مسيرة الحوار؟

ـ هو يعني يا أبنود، يا لندن؟! أين القاهرة، وأين هذا العالم الواسع الذي سافرت إليه؟..

□ لأننا في أبنود نبدأ مع الشاعر، وفي لندن نبدأ مع الباحث!

ـ لكن الباحث والشاعر كلاهما يخرج من عباءة المفكر أو الأديب!

□ إذاً سنبدأ بلندن التي أقمت فيها لسنوات، هل لنا أن نعرف السبب؟

ـ أولاً: صارت لندن بالنسبة لي أبسط من قريتي أبنود، لأنني ذهبت فيها إلى أماكن لم يعتد العرب زيارتها.. والحقيقة أن فترة اغترابي في إنكلترا كانت مشتركة ما بينها وبين تونس حيث كنتُ أُعدُّ دراستي عن السيرة الهلالية، وكان في تونس الأستاذ طاهر كيكة ـ رحمه الله ـ ومن خلال موقعه وكيلاً لوزارة الثقافة التونسية، وشاء القدر أن يكون والده ممن عملوا وخاضوا في السيرة الهلالية، فكان متحمساً للتعاون معي وسهَّل لي الكثير من الاشياء في معرفة تضاريس تونس وجغرافيتها وقُراها الصغيرة وأطرافها البعيدة، فكنت أقضي فيها أشهراً في الصيف لجمع المعلومات ثم أذهب إلى إنكلترا، وكان لي هناك صديقٌ يرعاني ويحدب عليَّ هو الكاتب الكبير الطيب صالح، وكنت موزعاً بين محبين وكلاهما يغير من الآخر، كيكة يغير من الطيب ولندن، والطيب يغير من كيكة وتونس، وكنت أقضي بين هذين المكانين معظم أشهر السنة منغمساً من رأسي حتى أخمص قدميَّ، بل غائصاً «حتى شوشتي» بالسيرة الهلالية التي أنجزتُ منها سبعة أجزاء، وما زلت مستمراً فهي لا تنتهي! وأستطيع أن أقول بكل فخر: أن دراستي لهذه السيرة تُعدُّ الأكثر اقتراباً من أحداثها الحقيقية بعدما اختلطت فيها الكثير من المبالغات

والخرافات التي خضعت مع مرور الزمن للمخيال الشعبي.

□ ما بين لندن وتونس، ألم يكن لباريس نصيب في هذه الرحلات؟

ـ بالطبع، فلا غنى لباحث مثلي عن الثقافة الفرنسية، وعن مثقفي شمال أفريقيا الذين تأثروا بزخم الفكر والثقافة الفرنسية، فأصبح البعض منهم من عمالقة الأدب الفرنسي، بينما هم من أصول عربية.

□ ألم تتأثر بتلك الثقافات وأنت هناك؟

ـ نعم، وكتبت ديواناً هو «صمت الجرس»، له نكهة مختلفة عن دواويني السابقة، ربما لأنه لامس الحداثة، أو ما يُسمى بمدرسة الحداثة.

□ هل نضرب مثلاً ببعض أبيات من هذا الديوان؟

ـ أشكو إليك يا فارسي المجيد

يا من على جبلك بعيد مرتفع أو مستريح في ظل مهرك العنيد

يا مسلة الفرعون

تراب البيد

يا من على أعلى ما في الدنيا بتتسمع ميلاد البحر

وشمعة النور الوليد

□ هل لقي هذا الديوان إقبالاً من القراء؟

ـ طُبع أربع مرات، والأربع طبعات نفدت.

□ هل كان يحتوي على إسقاطات سياسية؟

ـ عندما نُشر هذا الديوان، تحايلت على الرقابة الخارجية وعلى الرخصة من الأزهر مستغلاً سقف الحرية الشكلية لطباعة الكتب، ربما كان من الممكن أن تكون على بعض قصائده اعتراضات فيما لو نُشرت في الصحف، أو أُذيعت في الراديو أو التلفزيون، لكن نشره كتاباً لم يُعرّضه للقمع.

□ هل تعرضت بعض دواوينك الأخرى للقمع؟

ـ طبعاً، أنا حياتي كلها سلسلة من المعاناة في هذا، والشاعر أو المبدع أو الكاتب عموماً الذي لا يعاني الاصطدام بهذه القوى القمعية، أو جهات سلطانية متعسفة تمنعه، يُخيل إليَّ أنّ إبداعه يكون أشبه بماء البئر، كلما تشرب منه تشعر بالعطش، أو مثل ريم البحر، يعني لا تصدقه بعينيك، وتأتي تُمسك به بيديك فلا تجده!.

□ هل هناك قمعيون اعترضوا طريقك؟

ـ لو لم يكن هؤلاء موجودين لما ظهرنا نحن، وقد عانيت منهم منذ الديوان الأول «الأرض والعيال»، وظللت أكدح لأشهر وأشهر لكي أُخرجه من براثن الجهات الرقابية، وقد فكرنا أنا وصلاح جاهين أن ننشئ داراً للنشر باسم «دار ابن عروس» على اسم الشاعر الشعبي أحمد بن عروس، وخططنا

بأن تهتم هذه الدار بإصدار الدواوين التي تُكتب بالعامية. وبعدما أصدرنا ثلاثة دواوين هي «الأرض والعيال» و«صياد وجنية» و«للسيد حجان»، ما كان منا إلا أن أقفلنا هذه الدار لأننا اكتشفنا أنا وصلاح جاهين أن الجري وراء الإجراءات الرقابية والقمعية، والإجراءات البيروقراطية لاستخراج نسخة لطباعة ديوان تجعلنا نمضي الأشهر وراء الأشهر، وتكون النتيجة الإحباط تلو الاحباط. ففشل المشروع.

□ **هل ما يتعرض له الشاعر عبد الرحمن الأبنودي من قمع، يكون له تأثير على ولادة قصيدته؟ بمعنى أنك تضع في اعتبارك تلك المواجهات التي أدت إلى تلك الإحباطات، مما يدفع بالقصيدة أن تتراجع ولو قليلاً، أي تحني هامتها لكي تجتاز العواصف؟**

ــ إن أجمل ما في هذه الدنيا هو أن الانسان يشعر بأنه يُصارع قوى حقيقية مرئية بالعين، ملموسة باليد فيستعد لها، بينما هناك قوى غير مرئية يخطط لها البعض ولا يواجه العدو الواضح الذي يكيل له الضربات، وأنا كلما عانيت من تلك الضربات ارتفع صوتي معلناً موقفي، وكل مواقفي الحقيقية ما تفجرت إلا في وجه عدو حقيقي يقف قبالتي. من هنا فإن القصيدة لا تخرج متخاذلة أو تحني رأسها للعاصفة، إنما تخرج لهدف محدد تسعى إلى تحقيقه، ولذلك أنا لا أؤمن بالشاعر الذي لا يقول كلمة مسؤولة، كلمةً هي أقرب ما تكون إلى الطلقة، بل هي الرصاصة التي تتفجر في وجه الفساد، فنحن جيل الستينيات تربينا على هذا الواقع.

□ ماذا تقول في الأجيال التالية عليكم؟

ـ تجد الكثير منهم الآن كُتاب رواية، كتاب مسرح، كتاب سينما، فنانين تشكيليين، ما يطرحونه من قضايا صارت تُمنع من أن تعانق فيها مشاكل الناس. البعض منهم رضخ ونسي أن الإبداع الملتزم هو جزء من التنفس لاستمرار الحياة. يعني يتوحد المبدع خارج الورق وما بعد الورق.

□ ألاحظ أن عبد الرحمن الأبنودي ما زال يُصارع خارج الورق وما بعد الورق!

ـ في الواقع أنا لم أعد أكتب، يعني قضية التعنيف والمسك بالخناق قد جعلتني في حالة من التحدي الدائم لأن العدو في حالة مصالحة مع الحكومات، والحكومات نفسها في حالة مهادنة، الدنيا كلها كالبركة الراكدة، والحياة ليس لها طعم كبير، وبالتالي تأثر إبداع نوعية المبدعين، لا شك في أن حالة فقدان الجدوى والطعم والمعنى من الكتابة في الوقت الحاضر في مرحلة أقرب ما يكون إلى القرار المؤجل. نمرُّ في فترة تأمل، فكما قال الشاعر ينطبق على هذه الفترة:

الشعر شارد في الجبل مني عملت أنا هجان ورحت وراه

فتشبيه الشعر الهارب في الجبال والشاعر يجري وراه.. أنا أظن أننا في ظل الأوضاع العربية الحالية نعيش في مثل هذه الحالة.

□ كيف انتقل عبد الرحمن الأبنودي المواطن المصري ابن أعماق الصعيد من تصوير معاناته كمصري، إلى

الجريان خلف القصيدة الهاربة منه والتي يتناول فيها هموم الوطن العربي بأكمله؟

ـ الإجابة تجدها في ديوان صدر لي هو «الاستعمار العربي»، أناقش فيه قصة العامل المصري وهجرته إلى العالم العربي، وماذا وجد فيه؟. أناقش فيه قضية فلاحينا المساكين الذين لم تكن تخطر على بال الواحد منهم أن يبتعد عن قريته حتى لو انطبقت السماء على الأرض، وفيهم أُناس لم يذهب الواحد منهم إلى المدينة التي تبتعد عن قريته بضعة أمتار، لتعلقهم بقراهم، ولتعلقهم بثقافتهم، التي ظلوا يحافظون عليها منذ قرون، وإذا بباب الهجرة يُفتح على مصراعيه، حيث هناك من يحرضهم على الخروج من عالمهم الواسع في قريتهم إلى العالم الأضيق في وطنهم العربي، وإذا بهم قد تغيروا وتغيرت أشياء وأشياء في حياتهم التي اصطبغت بالتراجيديا الإنسانية. هؤلاء الفلاحون الفقراء عادوا الى قُراهم يرتدون ملابس الشامواه، وماركات الكريستان ديور، وساعات من الماركات العالمية، فصارت حياتهم عبارة عن تلفزيونات وفيديوهات وكاسيت، وإذا بهذا البيت الطيني الجميل والصحي قد أصبح مبنياً بالخرسانات قبيحة الشكل، وأصبح الواحد منهم يجلس على «البلكونة» ويشرب مرطبات من معلبات وزجاجات المياه الغازية المختلفة، فاختلّت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية اختلالاً عجيب الشأن، وبالتالي اختلّ النسق الحضاري لهؤلاء البسطاء الذين كانت تحكمهم قوانين وأعراف محددة، وبدل ما كان الواحد يتحدث عن الزراعة والسنابل والخضروات الطازجة، صار يتفاخر بما

لديه من معطيات الحياة الاستهلاكية. عبد الرحمن الأبنودي لم يخرج من ريف الصعيد وقضية الإنسان في الصعيد، فديوان «الاستعمار العربي» يظهر لك الخلل الذي فصم عُرى البُنى الاجتماعية التي كانت قد تأسست على قيم نبيلة وعريقة لدى الإنسان المصري في الصعيد.

□ من خلال هذا الشرح، واضح أنك مُستَفز ومُحبط مما حدث لهذا الإنسان الفلاح. هل هذا الاستفزاز والإحباط ولَّد في داخلك قصيدة أو قصائد؟

ــ موضوع كهذا يدخل كفكرة ضمن دائرة علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد، لكن الذي لفت نظري وأزعجني أن هؤلاء الناس - أقصد الفلاحين - كانوا يعيشون على التراث، يعني عندهم مناطق إبداع محفزة منتجة مدهشة، وأنا أحد تلامذتهم، فضربوا بكل ذلك عُرض الحائط وخلَّفوا كل ذلك التراث وراءهم، فالواحد منهم صار يتسمر أمام التلفزيون لساعات وساعات ملتزماً الصمت، وبالتالي فإن مناطق الإبداع النشطة لديهم قد تعطلت عن العمل: فهذا الذي كان يقول: «أنا كل ما قول التوبة يابوي ترميني المقادير»، يأتي وينتظر الاغنية التي كتبتها أنا أو غيري ويتفرج عليهم مثل القرود، وهو في رأيه أنهم مثل القرود.

□ أو تلومهم. . أليسوا ضحايا؟

ــ أتفق معك. الفلاح لا ذنب له، رجلٌ انفتح أمامه باب رزق، ونحن قد حشونا دماغه بأفكارٍ طيبةٍ عن أمته العربية، وعن الأخوة

العربية، وعن القومية العربية، وعن الوحدة العربية، فذهب وعاد مختلفاً مفرطاً في أشياءَ كثيرة هناك. والبعض منهم دفع ثمناً غالياً، وهناك من عادوا جثثاً مكدّسة بصناديق اتجهت بهم من المطارات إلى المقابر. وهناك من فقدوا حقوقهم وعرقهم وتعبهم لسنوات وسنوات.

□ هل للشعر موقف ثابت؟

ــ ماذا تعني بالموقف الثابت؟!. الشعر أيام العهد الملكي كان يختلف عن الشعر الذي ظهر أيام عبد الناصر، ويختلف كذلك عن الشعر الذي ظهر أيام السادات. ثم إن الشعراء أولاد وأحفاد من سبقوهم ممن عبَّروا عن عصورهم، يعني بيرم التونسي يُعتبر والد فؤاد حداد، وعبد الله النديم يُعتبر والد التونسي، ونحن منذ أن وُجِدنا وَجدنا هذا الميراث مثل الراية، جيل يسلمها للأجيال التي تأتي من بعده، هذا جانب. من الجانب الآخر الثقافات حينما تذهب وتأتي مكانها ثقافة أخرى أيضاً تكاد أن تتشابه مع الحالة الشعرية، فثقافة الستينيات تختلف تماماً عن الثقافة المطروحة هذه الأيام. مثلاً: العصر الذي نعيشه يُعدّ عصر إعلانات الألبان والمشروبات، إعلان عن الاستهلاكيات بكل جدارة. بينما في أيامنا كانت المطبعة تعطيك كتاباً في كل ست ساعات، وكان الذي لا يقرأ يجد نفسه منعزلاً عن الناس، لأن الذين يقرأون يناقشون، أما الآن فالتعامل بالدولار والحديث عن الدولار، هو القاسم المشترك والغالبية العظمى من المستهلكين، والمؤسف أن الكتاب هو الآخر أصبح مرتفع الثمن، فأين يتجه

الإنسان؟. يتجه إلى الثقافة السهلة، ثقافة التسطيح والتهميش والتجهيل، ثقافة التلفزيون، أو ثقافة الاستهلاك.

□ **هل حدث تغير عند الشاعر الأبنودي، يعني هل هناك تغير ما بين أبنودي الستينيات وأبنودي التسعينيات؟**

ــ بصراحة، الأبنودي هو الأبنودي، متفاعل دائماً مع أحداث يومه، وبصراحة، الشاعر اليوم يحتاج إلى قدرات تفوق قدرة البشر لكي يخترق القشرة الاعلامية اللعينة، يا رجل أنا جئت إلى القاهرة لكي أدخل الجامعة أنا وصديقي الشاعر أمل دنقل، وما هي إلا أيام حتى وجدنا أنفسنا نذهب إلى رابطة الأدب الحديث، ونطرق أبواب كافة النشاطات الأدبية والفكرية والثقافية، بل ونُساهم في بعض فعالياتها. وعندما أرسل لي الوالد أربعين جنيهاً مصاريف للجامعة، وكنتُ قد تيقنت بعدما يئستُ ألاّ مكان لي في الجامعة ذهبت إلى سور الأزبكية المكتظ بشتى أنواع الكُتب، وكان هذا السور من معالم مصر الحضارية. الكتب القديمة بقرش أو بقرشين، وأغلى كتاب بخمسة قروش، فما كان مني إلا جئت بصندوق ضخم واشتريت بالأربعين جنيهاً كتباً، وأخذت الصندوق إلى الصعيد، وهذا هو الصندوق الذي نمّى ملكة الموهبة الشعرية لديَّ بالحصيلة الثقافية التي هيأتني لكي أكون شاعراً. فكيف يمكنني أن أتغير عما كنت عليه؟. لا يا صديقي أنا لم أتغير، بل ازددت تشبثاً بالقراءة وبالتعايش مع أحداث العالم التي تقذف لنا في اليوم الواحد بزخم من المعارف

التي لا حصر لها ولا نهاية. للأسف إن الكثير ممن يُفترض أنهم يسيرون على نهجنا لم يتتبعوا الأسس التي أسستنا وتأسسنا عليها.

□ من تقصدهم هم من أجيال التسعينيات والألفين؟

ــ نعم.

□ أليس من مسؤوليتك الأخذ بأيديهم؟. صلاح جاهين كان يفعل ذلك، وبيرم كان يفعل ذلك، وفؤاد حداد أيضاً، فهناك الكثير ممن يدينون لهم بالفضل!!

ــ ما أريد أن أقوله لك في المثل السابق على سؤالك، والذي جئت به على حكاية الصندوق هو أن في الستينيات لم يكن هناك من أحد يمدُّ يده لأحد، ولكن أنا أحياناً كنت أضم يدي إلى هؤلاء لأنهم حمايتي، لأنهم هم الدفاع عني، نحن في الستينيات كُنا نحارب ضدَّ عدة جبهات، الاستعمار من جهة، والصهيونية من جهة، والجهل والتخلف من جهة، والرجعية من جهة، كانت حياتنا ثورية في كل ما نعمل: على الصعيد العربي مصر كانت تتبنى مشروع القومية العربية، كان لا بد للعرب من أن يسمعوا «موال النهار»، و«أبو المسيح»، والأغنيات التي سهرنا ليالي وأسابيعَ وأشهراً مع عبد الحليم حافظ لنظهرها للناس. هذه الأشياء الحقيقية لم أكن أنا الذي كتبتها، الواقع كتبها من خلالي، يعني فترات تصنع المعبّرين عنها. فالظروف الموضوعية هي التي دفعت بي أن أستقيل من وظيفة كاتب جلسة في المحكمة في

الصعيد، وكل واحد من أبناء جيلي إما استقال أو ترك دراسته وجاءوا، القصّاص قصاص، والرسام رسام، والشاعر شاعر، والصحافي صحافي، وكانت تدفعنا دوافع أكبر منا.

□ وهل اختفت تلك الدوافع؟

ـ بكل أسف مات الكثير من الدوافع، وهذا أمر محزن، عدوّنا الذي هو المحور الرئيسي استسلمنا أمامه قُطراً بعد قطر، حتى أصحاب القضية أنفسهم انتهوا إلى شيع وأحزاب والتفتوا إلى خصوماتٍ بين بعضهم البعض، والعدو سائرٌ وفق تنفيذ مخططاته المدروسة.

□ أيائس أنت؟

ـ لا أريد تكرار الكلمات المعلّبة «لاحياة مع اليأس، ولا يأس مع الحياة»، ولكني أتساءل أين هو الهدف، أين هو المشروع الذي أفنينا شبابنا في العمل على تحقيقه؟. لا يوجد!!.. فالآن أنت ممكن أن تأتي وتجمع حولك عدداً من الشعراء وتتحدث إليهم في الصناعة الشعرية. «يا ابني هذا البيت مكسور!!»، «يا ابني هنا الموسيقى الشعرية مختلّة»، «يا حبيبي عليك باللغة، اللغة هنا ضعيفة».. أو: «إن هذه لغة صلاح جاهين فابحث لنفسك عن لغتك الخاصة».

إذا كان ما تقصده بسؤالك عن الذين آخذ بأيديهم فأنا كثيراً ما أفعل ذلك، ليس في مصر وحدها فحسب، ولكن في كل مكان في الوطن العربي. غير أن الأهم من كل هذا وذاك أن الحوافز قد

ماتت تماماً هي الأخرى، لأن مرحلة وجود عبد الناصر كانت شيئاً مهماً لتحفيز الناس على السير معه في المشروع، رغم أننا كنا نصارع حتى ضدَّ عبد الناصر نفسه لأننا كنا نحلم بأكثر، وأثبتت الأيام أننا كنا على حق، وأن عبد الناصر كان لا بد أن يضع جذوره داخل الناس ويتفرغ من أجل تقوية الجيش، يعني الجيش الشعبي، وليس أن يأتي رئيس بعده ويدوس على كل شيء ويمسح كل شيء. ولكي يُخلد نفسه سار في اتجاه معاكس للمشروع الذي أفنينا شبابنا من أجل تحقيقه. للأسف هذا الذي أوصلنا إلى تطحلب النبات السلطوي الفوقي، أي طالع إلى فوق الماء، وليس ضارباً جذوره في الترعة.

□ عبّرت عن ذلك؟

ـ الحواجز أكبر من كل الأحلام

واسمك من اسمي واسمك

من جهلي وجهلك واسمي واسمك

مش حتعلمني أكتر ما تعلمت

روح علّم أبو الواد والبت

إلي حيرميهم فيلم العبرة

يصيبه بكرة

ولحد دلوقت مايعرفش ازاي يكتب وازاي يقرا

ازاي يعشق وازاي يكره

ولا عنده فكرة عنك

أو عن بكرة

لا أنا ولا انت نجحنا في تغيير الفكرة

□ هل هذا الإحباط حال ما بينك وبين القصيدة، لتتجه إلى كتابة الأغنية؟

ــ بالعكس، أنا مؤمن بالأغنية لأنها أكثر تأثيراً من القصيدة، أولاً، الأغنية تطارد السامع في التاكسي، وعند الحلاق، وفي الشارع، وفي المقهى..

ثانياً، الأغنية الواحدة أطبع بريعها ديواناً كاملاً من الشعر، وهي فنٌ خفيف الوزن تنتقل إليك، وتكون طيّعة بين يديك، وفي وقت لا يستغرقك الكثير.

ثالثاً، الأغنية أخطر من القصيدة، لأن القصيدة لا يستمع إليها أحد إلا إذا نشرتها أو انتقلت بين الناس لتلقيها عليهم بنفسك. الأغنية لبست الكاكي وحملت السلاح في فترات النضال.

□ ماذا عند دور الأغنية في ١٩٧٣، أعني في معركة العبور؟

ــ بصدق أقول: ظهرت ظواهر غنائية أشبه بالمكروبات، أشبه بالخلايا السرطانية في الجسم، والذين تولوا أمرها أدعياء معدومو الثقة، ومعدومو الهدف، صنعوها بلا خوف على الأوطان، بلا

خوف على البشر، فتحولت إلى فن استهلاكي مثل زجاجات المياه الغازية، مثل السجائر. يعني أنت تدخن السيجارة وترمي عُقبها ثم تسير، فليس هناك من يفكر في أن يدخن هذه الأعقاب من بعدك.

فالأغنية أيام النضال في التجربة التي عاشها الأبنودي مع بليغ حمدي، مع عبد الحليم حافظ والنابعة من الفلكلور المُطور، هي شبيهة أيضاً بالأغنية التي ارتدت الكاكي وناضلت.

□ ما تريد الوصول إليه من كل هذا هو الصدق أم اللاصدق في الأغنية؟

ــ تماماً، يعني نحن بدأنا بأغان مثل «آه يا ليل يا قمر» و«عدوية» و«تحت الشجرة يا وهيبة»، و«آه يا اسمراني اللون»، كل هذه الأغاني لقيت نجاحاً منقطع النظير لأنها تحمل طابع الصدق. وفي أيامنا في عزِّ الظلام الحالك أُغني موال «النهار» وأقول: أبداً بلدنا للنهار، وأرفض الهزيمة.. ما أريد الوصول إليه أن الإنسان عندما يدخل معركة قد يخسر بعض الشيء، ولكن لا يمكن أن يكسر إيمانه بالشيء الذي دخل معركةً من أجله. هذا ما أريد أن أقوله. نحن لعبنا هذا الدور، نحن ربطنا بين الناس وبين إيمانهم بعقيدتهم للغد، فكانت الأغنية المرتدية الكاكي الصادقة لا الأغنية «الهبلة»، لا الأغنية الاستهلاكية، ولذلك لا أحد يجدني الآن في هذه السوق، فأنا لا أنتظر أن تفتح أجهزة الإعلام الرسمي أبوابها لواحد مثلي، لأنها لا تُسوّق إلا الزيف والتطبيل والدجل.

□ **هل ما تقوله ينطبق على الأغنية فقط؟**

ـــ غالبية فنون صناعة الإعلام الرسمي، سواء في المسرح أو السينما، أفلام المقاولات، ومسارح الضحك والتهريج، وصناعة نجوم يُطبلون للنظام. أنا مؤمن بدور الفن إيماناً كبيراً.

□ **ما العمل اذاً في ظل هذه الأوضاع؟**

ـــ لن نقف مكتوفي الأيدي، أنا أنجزت «الليلة المحمدية» وكانت متميزة عن السائد والرائج في الأسواق، وعندما تُتاح ليَّ الفرصة أُقدم أشياء تليق بالمجتمع الذي أُحبه، وأحب أن أعطيه ما يستحقه من الفن. في ما مضى كُنا نقضي ما يقرب من العام أنا وعبد الحليم وبليغ على أغنية واحدة، إلى أن يخرج عبد الحليم ويغني «الهوى هواي» بعد سنة من العمل المتواصل.

□ **لا شك في أنك افتقدت عبد الحليم وبليغ؟**

ـــ الأمة العربية كلها افتقدتهما، عبد الحليم ـ الله يرحمه ـ كان يؤمن بعمل الورشة، والفرق بينه وبين الآخرين مثلاً: عندما يهاتفني هاني شاكر ويقول لي: نريد منك أغنية ومعي الملحن فلان الفلاني، ويأتي هذا الملحن ثم يأخذ الكلام ويبدأ بالتلحين، ويذهب ليلحن الكلمات. . عبد الحليم لم يكن يفعل ذلك، كان يهاتفني في الثالثة صباحاً ونلتقي نحن الثلاثة ونتداول في ما وصل إليه اللحن من نغمات، أو تغيير في الألفاظ، أو في الآلات، لذلك كنتُ كثيراً ما أنفجر وأصرخ. يا ناس عايز أرتاح! يا ناس عايز أنام! ولكن عندما يظهر العمل للناس ونتذوق جميعاً

حلاوة النجاح، يهون بعد ذلك كل شيء. صدقني إذا قلتُ إن أغنية واحدة مع عبد الحليم حافظ كانت تحول بيني وبين قراءة «٢٠٠» كتاب، أو من الممكن أؤلف ثلاثة كُتب.. كنت أقول دائماً: إن قصيدتي إذا نشرتها إحدى الصحف فإن عدد قُراء تلك الصحيفة لا يتجاوز عشرات الآلاف من القُراء، لكن قصيدتي التي يوزعها عبد الحليم حافظ تصل إلى ملايين الناس، بل إنها تبقى خالدة.

□ أستاذ أبنودي، ممكن أسألك سؤال آخر؟

ــ «اسمع بقا يا خال، أنا تعبت وقلتلك كلام كتير. خلاص بقا».

□ □ □

المؤلف

- ولد الدكتور نجم عبد الكريم عام ١٩٤٠، وهو كويتي من أصول عراقية.
- في مطلع الستينيات كان ضمن مؤسسي فرقة المسرح العربي بقيادة زكي طليمات، إذ شارك في تمثيل مسرحية «صقر قريش»، إلى جانب تقديمه العديد من البرامج الإذاعية.. وصدر قرار بتعيينه نائباً لرئيس الإذاعة الشعبية.

أوفد في بعثة لإتمام دراسته الجامعية في القاهرة، وهناك عُيّن مندوباً لإذاعة الكويت، وإذاعة أبو ظبي.

وكان يوافي الإذاعة الكويتية ببرامج «أديب الأسبوع»، وإذاعة أبو ظبي ببرنامج «مع أهل الفن».

- بعدما أتمّ دراسته عاد إلى الكويت ليعمل رئيساً لقسم السينما، فرئيساً لقسم المنوعات في تلفزيون الكويت.
- وفي عام ١٩٧٥ تقرر إيفاده إلى جامعة جنوب كاليفورنيا في

لوس أنجلوس للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه في الإعلام، وبعد أن أتمّ دراسته عاد إلى الكويت عام ١٩٨٠، وانتُدب إلى جامعة الكويت للتحضير لقسم الإعلام، إلى جانبَ قيامه بتدريس مادة «سايكولوجية الرأي العام والإعلام» في كلية الآداب.

- قدم العديد من البرامج التلفزيونية التي تتسم بالطابع الأدبي لكل من تلفزيون الكويت وتلفزيون أبو ظبي، كما أخرج بعض المسرحيات مثل «بني صامت» و«حكمت محكمة السلطان».

فهرس الأعلام

أ

ع

ل

م

ن

فهرس الأماكن

ي



نجم عبد الكريم

شخصيات عرفتها وحاورتها

أحاديث في الفكر والسياسة والفن

«شخصيات عرفتها وحاورتها» كتاب يضم مجموعة من لقاءات وحوارات نجم عبد الكريم التي أجراها في خلال مسيرته العملية والعلمية الطويلة والغنية. وإزاء حشد الشخصيات وتنوعها كان لا بد بدايةً من تقسيمها إلى جزءين، ثم تبويبهما بناءً على الترتيب الأبجدي لأسماء أصحابها دون اعتبار للموضوعات (سياسة، فكر، أدب، دين، فن إلخ).

في الجزء الأول من هذا الكتاب حوارات مع: إبراهيم العرّيض، الشيخ أحمد حسن الباقوري، أدونيس، أنيس منصور، تحية كاريوكا، جاك بيرك، جلال طالباني، حمد الجاسر، سعدالله ونّوس، سعيد حارب، طه حسين، عباس محمود العقاد، عبدالله الطريقي وغيرهم.

رياض الريس للكتب والنشر

RIAD EL-RAYYES BOOKS

ISBN 978-9953-21-531-0

9 789953 215310